

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 52 AUGUST 1981.

الفيصل العدد (٥٢) ـ شوال ١٤٠١ هـ السنة الخامسة ـ آب (أغسطس) ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

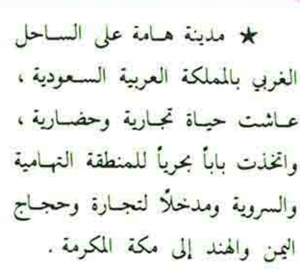
الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٥٢) شوال ١٤٠١ هـ السنة الخامسة - آب (اغسطس) ١٩٨١ م

هذا العدد



★ مدينة هامة على الساحل الغربي بالمملكة العربية السعودية، عاشت حياة تجارية وحضارية، واتخذت باباً بحرياً للمنطقة التهامية والسروية ومدخلاً لتجارة وحجاج اليمن والهند إلى مكة المكرمة.

وهي اليوم تشهد حركة عمرانية وتعليمية وثقافية تأخذ بيدها لتلحقها بركاب أمهات المدن السعودية.

إنها مدينة «القنفذة». طالع ص (٣٥) ★





★ «زحف القارات».. كتاب يحكي بإيجاز ملامح من النظرية القديمة الجديدة (زحف القارات)، على شكل قصة بوليسية علمية، ويصف خطوة بخطوة الأدلة العلمية التي تثبت نظرية زحف القارات.

خلاصة هذه النظرية في كلمات:

«القارات في حالة زحف، ونزوح، وانفصال، وانتقال من مكان إلى آخر». طالع ص (٨٣) ★



★ كما يتجدد النوع من خلال التزاوج بين الأفراد، كذلك يجدد الجسم ذاته ويعوض ما يفقد من خلاياه وأنسجته.

إلا أن بعض هذه الخلايا لا تعمر في داخلنا نفس السنين التي نعيشها.. بل تموت كل يوم بعشرات الملايين، ولو استمرت هذه العملية دون تجدد أو تعويض.. فقل على حياتنا السلام! طالع ص (١١٩) ★





حسن إبراهيم الفقيه

★ من مواليد «بيسة الساحلية» ـ ضواحي مدينة القنفذة في المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٨ هـ .

★ بكالوريوس آداب ، ويعد للماجستير في النحو العربي .

★ عمل مدرساً ، فمديراً لمدرسة ابتدائية ، ثم متوسطة ، فمساعد مفتش .

★ يعمل حالياً مفتشاً مركزياً في مديرية تعليم منطقة القنفذة .

★ يعد دراسة عن الآثار في تهامة .

د . تركي رابح

★ من مواليد مدينة الجزائر عام ١٩٣٢ م .

★ دكتوراه الفلسفة في التربية .

★ دكتوراه الدولة في التربية .

★ يجيد الفرنسية ، وشيئاً من الفارسية .

★ عمل رئيس تحرير لجريدة «المجاهد» ، فرئيساً لقسم علوم التربية .

★ عمل مسؤولا للإعلام والتوجيه طوال سنوات الثورة الجزائرية في جبهة التحرير الجزائرية (الوفد الخارجي) .

★ عضو الأمانة العامة لاتحاد التربويين العرب ـ بغداد .

★ يعمل حالياً أستاذاً لأصول التربية والتخطيط التربوي في جامعة الجزائر .

★ له ثمانية مؤلفات منها خمسة تحت الطبع ، وله دراسات نشرتها المجلات العربية .

★ عضو اتحاد الكتّاب الجزائريين .

د . محمد فرغلي فراج

★ من مواليد منفلوط ـ مصر عام ١٩٣٧ م .

★ دكتوراه في علم النفس .

★ عمل أستاذاً مساعداً بجامعة القاهرة ، وأخصائياً نفسياً اكلينيكياً بمستشفى «مهمان» بالقاهرة ، وأخصائياً نفسياً بالتدريب المهني (وزارة الصناعة) مصر ، وأخصائياً نفسياً اكلينيكياً بالولايات المتحدة الأميركية .

★ يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً في علم النفس ـ كلية التربية ـ أبها .

★ اشترك في عدة مؤتمرات لعلم النفس .

★ له عدد من المؤلفات في علم النفس ، إلى جانب عدد من البحوث والمقالات العلمية .

★ عضو في جمعية علم النفس المصرية ، وجمعية علم النفس الأميركية (APA) ، وجمعية تقدم العلاج السلوكي (AABT) .

د . [illegible] الحاج بكري

★ من مواليد اللاذقية ـ سورية ، عام ١٩٤٧ م .

★ دكتوراه في هندسة أنظمة الحاسبات والاتصالات (جامعة آستن في برمنجهام ـ إنجلترا) .

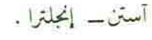
★ عمل مدرساً (غير متفرغ) في قسمي الهندسة الكهربائية والدراسات التكميلية بجامعة آستن ـ إنجلترا .

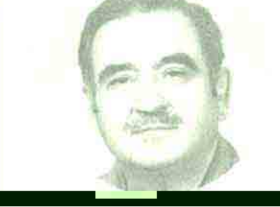
★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً (زائر) بكلية الهندسة ـ جامعة الرياض .

★ عضو جمعية المهندسين الأميركية ، وجمعية المهندسين البريطانية .

★ ألقى عدداً من المحاضرات في بعض المؤتمرات الخاصة بالحاسبات والاتصالات في جامعات الرياض ، الظهران ، لانكستر بإنجلترا .

★ له عشرة بحوث منشورة باللغة الإنجليزية في المجلات المتخصصة البريطانية والأميركية ، وعدد من المقالات في الثقافة العلمية العامة باللغة العربية .





علي دمر

★ خريج كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٥٥ م .

★ يدرس اللغة العربية منذ ربع قرن .

★ له ستة دواوين مطبوعة أولها (رعشات) عام ١٩٤٦ م ، وآخرها (إشراق الغروب) عام ١٩٧٨ م ، وله شعر كثير لم يطبع في دواوين .

★ أعد رسالة ماجستير مخطوطة بعنوان (مناقشات ودراسات مع العروضيين القدماء والمحدثين) .

★ كما أعد رسالة دكتوراه مخطوطة بعنوان (موسوعة العروض ومصفاة الشعر) .

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يرودنا به مندوبونا، والله الموفق **



- **موسوعة جديدة عن الصحافة ستصدر في الرياض.**
- **معرض متنقل عن الثقافة العمانية.**
- **اكتشافات أثرية في كل من مصر والإمارات العربية المتحدة.**
- **ندوة عالمية عن الآثار الفلسطينية بجامعة حلب.**
- **العثور على مخطوطة لجابر بن حيان بالكويت.**
- **«الفهرست» و«شؤون عربية» مجلتان جديدتان، الأولى في بيروت والثانية في تونس.**



- **المعرض الثاني عن عسير يقام في جنيف.**
- **صدور كتاب في الهند عن قصة «الفضة عبر التاريخ».**
- **العثور على مخطوطة عربية في روسيا.**
- **اكتشافات أثرية في كينيا وتركيا.**
- **وفاة المؤرخين الفرنسيين فرانسوا بورد، وموريس بومون.**



موسوعة جديدة في الصحافة

ستتولى (**دار الرفاعي**) **للنشر بالرياض** نشر **موسوعة جديدة** تحمل عنوان «**دراسة في الصحافة الأدبية**» وذلك بالاتفاق مع المؤلف **الدكتور سيد محمد سيد** أستاذ الصحافة بجامعة الرياض. وتتكون هذه الموسوعة من **عدة مجلدات** ستنشرها دار الرفاعي خلال **عدة سنوات** منها:

★ «الزيات والرسالة».

★ «هيكل والسياسة الأسبوعية».

★ «حمد الجاسر وصحافته الأدبية».

★ «عبد الحميد بن باديس وصحافته الأدبية».

وستغطي هذه الموسوعة **أبرز الصحف الأدبية** التي **صدرت في الوطن العربي** بعد **الحرب العالمية الأولى** وكانت ذات أثر بالغ في الصحافة والأدب، وتعد هذه الموسوعة الثانية في تاريخ الصحافة، فقد سبقتها **موسوعة الدكتور عبد اللطيف حمزة** التي شملت **سبعة مجلدات عن الجرائد اليومية بمصر**.

نادي الطائف والمسابقة الثقافية

أعلن **نادي الطائف الأدبي** عن **مسابقته الثقافية الخامسة** لعام ١٤٠١ هـ، وذلك في مجال (**القصة القصيرة**)، (**الشعر**)، (**البحث والمقالة**)، (**الرسم والنحت**). وقد اشترط النادي في ذلك شروطاً عدة أهمها:

★ الحداثة في كل لون.

★ آخر موعد ٣٠/١١/١٤٠١ هـ.

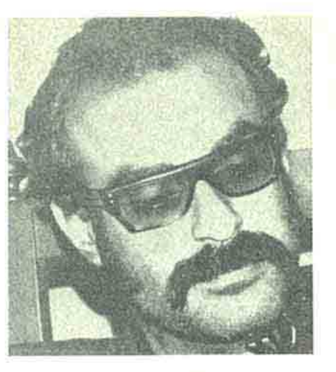
ووضع لكل لون من تلك الألوان شروطاً معينة. وقد رصدت جوائز قيمة للفائزين بهذه المسابقة.

الواقع الثقافي الخليجي في ندوة

نظم **مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض الندوة الثانية** لدراسة **واقع الثقافة العربية الإسلامية واتجاهاتها**



★ عزيز ضياء ★



★ قاسم حداد ★

المعاصرة في دول الخليج، شارك فيها ممثلون عن الدول الأعضاء والممثلة في دول الإمارات العربية المتحدة والكويت وقطر والعراق والبحرين وسلطنة عمان، بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية. وتهدف هذه الندوة إلى دراسة الواقع الثقافي لدول الخليج وتبادل وجهات النظر في واقع الحركة الثقافية فيها وتنمية الثقافة العربية الإسلامية ونشرها.

تعليمات الحج

اهتماماً بوفود بيت الله الحرام فقد **أصدرت وزارة الحج والأوقاف كتاباً** محتوياً على الأسس والأحكام العامة التي ينبغي للحاج أن ينفذها وأن يكون على علم بها، وكذا ذوي العلاقة بالحج وخدمة الحجاج.

* كتب جديدة *

● «**أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري**»، **جمع ودراسة محمد علي مغربي**، صدر عن **إدارة النشر بتهامة** ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**».

● «**نبت الأرض**»، تأليف **الدكتورة فاتنة أمين شاكر**، صدر عن **إدارة النشر بتهامة** ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**».

● «**القواعد والنظريات الموسيقية**»، تأليف **حمزة محمد البشير**، صدر عن **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون**، توزيع مؤسسة الجريسي.

● «**دورة مع الشمس**»، **مجموعة مقالات** وضعت في كتاب تأليف **عبد الكريم الجهيمان**، صدر عن **جمعية الثقافة والفنون بالرياض**.

● «**ضياع**»، **مجموعة شعرية للشاعر ماجد الحسيني**، صدرت عن **النادي الأدبي بالرياض**.

● «**النثيرة والقصيدة المضادة**»، تأليف **محمد ياسر شرف**، صدر عن **النادي الأدبي بالرياض**.

● «**تأملات بين الفكر والمجتمع**»، **مجموعة مقالات** وضعت في كتاب، **تأليف عبد الله بوقري**، صدر عن **نادي الطائف الأدبي**.

● « **دراسة في السياسة الداخلية للمملكة العربية السعودية** » ، تأليف **السيد أحمد حسن دحلان** ، صدر عن **دار الشروق بجدة** .

● « **بناء المجتمع الإسلامي ونظمه** ـ دراسة في علم الاجتماع الإسلامي » ، **للدكتور نبيل محمد توفيق السمالوطي** ، صدرت عن **دار الشروق بجدة** .

● « **إمارة آل الرشيد** » ، بحث علمي أعده **الدكتور عبد الله صالح العثيمين** ، صدر عن **عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض** .

● « **المعايير التخطيطية للخدمات التجارية** » ، صدر عن **وكالة وزارة الشؤون البلدية والقروية لشؤون تخطيط المدن** .

كما **صدرت الكتب التالية** عن (**تهامة**) ضمن **سلسلة الكتاب العربي السعودي** وسلسلة **الكتاب الجامعي** :

★ « **النجم الفريد** » ، **مجموعة قصصية** ترجمة **عزيز ضياء** « سلسلة الكتاب العربي السعودي » .

★ « **الملامح الجغرافية لدروب الحجيج** » ، تأليف **سيد عبد المجيد بكر** .

أسبوع ثقافي

أقامت **كلية الخليج التكنولوجية** أسبوعاً ثقافياً اشتمل على أمسية شعرية أحياها كل من :

★ الشاعر علي عبد الله الخليفة .

★ والشاعر قاسم حداد .

وكذلك على ندوة حول الصحافة حاضر فيها الدكتور هلال الشايجي والسيد علي سيار ، وندوة أخرى عن (المرأة) تحدثت فيها كل من سلوى الجابر ، وهدى المحمود ، ويعد هذا الأسبوع من نشاطات الكلية التي تقيمها كل سنة .

معرض الربيع

أقيم في (المنامة) **معرض الربيع للفنون التشكيلية** وذلك تحت إشراف **جمعية الفن المعاصر البحرينية** ، اشترك فيه أكثر من أربعين فناناً بأعمال مختلفة .

* كتب جديدة *

● « **تقاسيم ضاحي بن وليد الجديدة** » ، **ديوان شعر**

كلمة

(١٠) الحركة الأدبية في المملكة

ونأتي للنقطة الأخيرة من مجموعة النقاط التي حاولنا من خلالها رصد نشاط الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، هذه النقطة المتمثلة في ظهور عدد من دور النشر السعودية التي استطاعت أن تسهم في طبع عدد من الأعمال الأدبية والفكرية والثقافية لأقلام سعودية .

ويأتي ظهور دور النشر في وقت ارتفعت فيه الأصوات الأدبية مطالبة بإنشاء دور نشر تتولى طباعة ونشر أعمالها .

ومن دور النشر التي برزت من خلال مجموعة من الإصدارات المختلفة : المكتبة الصغيرة للأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، ودار ثقيف ، مؤسسة تهامة للنشر ، دار العلوم ، دار المريخ ، دار عكاظ ، دار الفيصل الثقافية ، دار اللواء ، هذا إلى جانب دور النشر القائمة منذ عدة سنوات مثل : دار اليمامة للشيخ حمد الجاسر ، ودار الشروق للأستاذ محسن باروم ، ودار النشر السعودية للأستاذ محمد صلاح الدين .

كما أسهمت النوادي الأدبية في نشاط الإصدارات بشكل ملموس ، رغم المآخذ على بعض هذه النوادي من حيث مستوى هذه الإصدارات .

والسؤال : هل استطاعت دور النشر هذه تحقيق الانتشار المطلوب للكتاب السعودي ؟

هذا السؤال يطرح قضية التوزيع التي تمثل أكبر عقبة أمام الكتاب السعودي .

والملاحظ أن هذه القضية لم تحل بالصورة التي يتوق إليها الأدباء ، فقد قام أغلب نشاط دور النشر ، والنوادي الأدبية على التوزيع الداخلي ، باستثناء نشاطها الجيد في معارض الكتب داخل المملكة وخارجها .

إذن فقد حققت دور النشر التي قامت الهدفين التاليين :

١ ـ إصدار مجموعة من الأعمال لأدباء سعوديين ، وبعض الأدباء العرب .

٢ ـ توفير الكتاب السعودي من خلال تمثيلها في معارض الكتب ، وقد كانت هذه المعارض تقام في غياب الكتاب السعودي .

وتبق مشكلة « التوزيع » كقضية عامة لم تتمكن دور النشر من التغلب عليها .. وهي قضية لو خطط لها ، وصاحب هذا التخطيط التصميم والإصرار على مواجهتها لأثمرت ، وآتت أكلها .

إن دور النشر السعودية بقليل من الاهتمام ، والاتصال بدور التوزيع والمكتبات في العالم العربي يمكن أن تحقق للكتاب السعودي الانتشار المطلوب على مستوى جماهير القراء العرب .

ومن المعروف وجود دور توزيع عربية تتطلع إلى توسيع نشاطها سواء بتوزيع الكتاب السعودي في بلدانها ، أو توزيع الكتاب العربي في المملكة ، وهذا يضع على دور النشر السعودية مسؤولية تاريخية ووطنية ، إذ ينبغي عدم الوقوف عند إصدار الكتاب السعودي وتوزيعه في الداخل في وقت تعددت فيه وسائل المواصلات بصورة تجعل قضية توزيع الكتاب السعودي ميسورة وممكنة .. وهذا ما لا يستبعد على طموح وهمة دور النشر السعودية .

ونأمل بهذه الحلقات العشر السريعة أن نكون قد سلطنا الأضواء على بعض جوانب الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، وهي مجرد محاولة متفائلة ترنو إلى حركة أدبية سعودية فاعلة ومتجاوزة حدودها الإقليمية .. والله الموفق .

علوي طه الصافي

للشاعر **علي الشرقاوي** ، صدر في **البحرين** .

● « **مرايا الظل والفرح** » ، **مجموعة قصص قصيرة لفوزية رشيد** ، صدرت في **البحرين** .

● « **الرمل والياسمين** » ، **مجموعة قصص قصيرة لعلي عبد الله خليفة** ، صدرت في **البحرين** .

● « **هذي أنا ... القبرة** » ، **ديوان شعر** للشاعرة **إيمان أسيري** ، صدر في **البحرين** .

● « **قصص صمد بهرنجي** » ، **مجموعة قصص للأطفال ترجمها** عن الفارسية **عبد القادر عقيل** ، وهي من تأليف **الكاتب الإيراني صمد بهرنجي** .

● « **الماء سائل متكامل الصفات** » ، دراسة **للدكتور علي الفيومي** ، صدرت عن **كلية البحرين الجامعية** .



معرض للتراث المحلي

أقيم بقاعة المعارض **بمركز رعاية الشباب بدولة الإمارات العربية المتحدة معرض للتراث** استمر أسبوعاً ، وقد احتوى على مختلف أنواع الأشغال اليدوية المرتبطة بالبيئة التي قامت سيدات المنطقة بشغلها .

اكتشاف أثري

اكتشفت في منطقة (**القصيص**) **بدبي** وهي إحدى الإمارات المتحدة وأكبرها ، **آثار هامة** يرجع تاريخها إلى حوالي (**٣٠٠٠**) **عام** وتشمل عدداً من رؤوس السهام ، والأقراط النسائية ، وتماثيل لثعبان من البرونز ، وعقد زينة ، وخاتم حديدي .

إصدار مجلة دورية

سيصدر **مركز الدراسات والوثائق في أبو ظبي** ، في أوائل العام القادم ، مجلة دورية **تعكس تاريخ وتراث وحضارة دولة الإمارات** من خلال نشر الوثائق والمخطوطات والأبحاث التي يضمها المركز ، كما ستهتم **بإبراز عادات وتقاليد شعب منطقة الخليج** وتاريخ التيارات السياسية والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها المنطقة ، وستهتم أيضاً **بنشر الوثائق والمخطوطات المهمة التي يضمها المركز عن تاريخ الوطن العربي** .



★ علي الشرقاوي ★

※ كتب جديدة ※

● « **التصريح الأخير للناطق الرسمي باسم نفسه** » ، **مجموعة شعرية** للشاعر **حبيب الصايغ** ، صدرت عن **مؤسسة الخليج العربي للدراسات والنشر** بالتعاون مع دار الكلمة ببيروت .

● « **خطوة فوق الأرض** » ، **مجموعة شعرية** للشاعرة **ظبية خميس** ، صدرت عن **نفس المؤسسة** بالتعاون مع الدار اللبنانية .



※ كتب جديدة ※

● « **رعاية الأبناء بين الإسلام وآراء علماء النفس** » ، **دراسة** اشترك في إعدادها **جمع من أساتذة التراث الإسلامي وعلم النفس** ، صدرت في « **الجزائر** » **العاصمة** .



الندوة العالمية للآثار الفلسطينية

تعقد في شهر ذي القعدة (**بجامعة حلب**) **ندوة عالمية للآثار الفلسطينية** . وتعد هذه الندوة هي الأولى من نوعها ، وستستمر أسبوعاً . دعي إليها عدد كبير من ذوي الاختصاص وممن لهم اهتمام بالآثار والتاريخ من أساتذة الجامعات والباحثين المشتغلين بالآثار في مختلف بلدان العالم ، وذلك **بهدف بحث مشاكل الآثار الفلسطينية ووسائل حمايتها وصيانتها والتعريف بها والتأريخ لها** ، وذلك خلال الفترة من ٢١ / ١١ إلى ٢٦ / ١١ لعام ١٤٠١ هـ .

※ كتب جديدة ※

● « **حكاية جسدي** » ، **مجموعة قصصية** للقاص **جمال**





★ علي عبد الله خليفة ★ ★ يوسف المساعيد ★

بنورة ، صدرت عن **دار الكاتب بالقدس** .

● « **سقوط الجدار السابع** » ، تأليف **حسين البرغوني** ، **دراسة نقدية** وضعت في كتاب صدر عن **دار العامل برام الله** .

● « **أنت ، أنا ، القدس والمطر** » ، **ديوان شعر** للشاعر **أسعد الأسعد** ، صدر ضمن **منشورات الأسوار بعكا** .

● « **فلسطين وأوروبا . . . دبلوماسية المواجهة** » ، تأليف **خالد الحسن** « **أبو السعيد** » ، صدر في **بيروت** .

الكويت

« يوسف المساعيد »

انتقل إلى رحمة الله تعالى في مستشفى الصباح بالكويت إثر مرض مفاجئ الزميل الأستاذ يوسف عبد العزيز المساعيد رئيس تحرير مجلة « النهضة » الكويتية وجريدة « الرأي العام » عن عمر يناهز الثانية والأربعين عاماً قضاها في خدمة الصحافة العربية والإسلامية . رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان .

مسابقة في القصة القصيرة

أعلن في الكويت عن مسابقة للهواة في تأليف **القصة القصيرة** وذلك من إعداد **اللجنة العليا للترويج السياحي بوزارة الإعلام** بالتعاون مع **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب** . وقد وضعت لتلك المسابقة شروط أهمها :

★ يحق الاشتراك للجنسين المقيمين في الكويت والذين لا تتجاوز أعمارهم الخامسة والعشرين .

★ لا يجوز لمن سبق أن نشرت له أكثر من قصة الاشتراك في هذه المسابقة .

★ يجوز للمشترك الاشتراك بأكثر من قصة .

★ أن تكتب باللغة العربية الفصحى .

★ لا تقل كلماتها عن (١٥٠٠) كلمة .

★ آخر موعد هو يوم ١٩٨١/٧/٥ م .

هذا وقد رصدت جوائز قيمة للفائزين بهذه المسابقة .

صورة وتعليق



★ **كل سنة ، يخسر ٢٥٠ ألف طفل بصرهم بسبب فقدان فيتامين أ . تكاليف الوقاية يمكن ألا تتجاوز ٥ سنتات للشخص سنوياً** ★

مخطوطة لجابر بن حيان

عثر في **الكويت** على **مخطوطة نادرة لرائد الكيمياء العربية (جابر بن حيان)** الذي **يعد أول شخصية ظاهرة في العرب والإسلام** اشتغلت في الكيمياء ، وقد عثر على هذه المخطوطة التي تحمل عنوان «**مصححات سقراط**» وتقع في ثلاثين صفحة من الحجم الصغير .

*** كتب جديدة ***

● «**الحلقة الرابعة من أعمال الكاتب المسرحي يوجين أونيل**» ، **ترجمة الدكتور عبد الله عبد الحافظ، مراجعة الدكتور إسماعيل اللواني** ، صدرت **ضمن سلسلة «من المسرح العالمي» الكويتية** .

● «**همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**» ، **سبعة أجزاء بتحقيق وشرح الدكتور عبد العلي سالم مكرم** ، صدرت عن **دار البحوث العلمية** بالتعاون مع **جامعة الكويت (كلية الآداب)** .

سورية

*** كتب جديدة ***

● «**مغامرات الأصابع والعيون**» ، **مجموعة شعرية** للشاعر **بندر عبد الحميد** ، صدرت عن **اتحاد الكتّاب العرب بدمشق** .

● «**صبح الأعشى في كتابة الإنشا**» ، **للقلقشندي** السفر



● **اسم الكتاب :** الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور .

● اسم المؤلفة : الدكتورة نورية صالح الرومي .

● المطبعة العصرية ومكتباتها بالكويت ، ط. أولى ١٩٨٠ م .

رسالة نالت بها الباحثة درجة **الدكتوراه** ، صنفتها إلى بابين قدمت لهما بإيجاز ، **استهدفت الدراسة تفسير شعر هذه المنطقة في العصر الحديث موضوعياً وتقويمه فنياً** ، وتلافت الإسهاب في إيراد المقدمات التاريخية ، واهتمت بالاستشهاد بالنماذج وفحصها ، ونظرت إلى هذا الشعر بوصفه صورة لمزاج فني عام تصدر عنه بيئة الخليج في بلدانها المختلفة .

* * *

★ **الباب الأول :** تيار الشعر التقليدي : عقدت فيه فصولا خمسة :

● **الأول :** لشعر المديح الديني ، وفيه لاحظت تركز ما وصل إلينا منه في مديح **آل سعود** ، ومن اتصل بهم ، وأن الكثرة منه ولائد معارك وانتصارات عسكرية واستعرضت قصائد (**لابن مشرف**) و (**ابن عثيمين**) ، ووجهت الانتباه إلى أهمية ما تطلعنا عليه بعض هذه القصائد من رأي للمعارضة السياسية من خلال ما تفنده القصائد من حجج هذه المعارضة ، وهو جانب نفتقده في كتب التاريخ .

● **الثاني :** لشعر المديح السياسي ، الذي أخذ يزاحم المديح الديني مهتماً بعنصر جديد هو القومية ، والدعوة إلى الوحدة السياسية ، والتخلص من الاستعمار ، وتحقيق التطور الحضاري ، واستعرضت شعر (**خالد الفرج**) وإن نبهت إلى أنه لم يبتدع هذا الاتجاه ، فقد ظهر في فترات الاضطراب التاريخي ، كما أن له إشارات عند ابن مشرف وابن عثيمين . وتشير إلى أن شيئاً من شعر خالد الفرج ـ الذي قسمته إلى ثلاث مراحل قبل وأثناء وبعد إقامته بالبحرين ـ يعد وثائق سياسية بصرف النظر عن فنيته .

● **الثالث :** لشعر الغزل ، وهو إما في مقدمات القصائد ، سواء أكانت في المدح أو الحنين أو الإخوانيات ، وإما غزل تفرد له القصائد ، وقد لاحظت الباحثة عليه اهتمامه بالعاطفة في حال الفراق دون اهتمامه بها في حال اللقاء ، وإكثاره من ذكر الرقباء والوشاة والتخويف منهم ، وأن إشارته إلى المحبوبة لا تدل على امرأة بعينها حتى ما ورد فيه اسم المحبوبة فقد ورد اسماً رمزياً ، وأن أكثر معانيه مستقاة من القديم في مبالغات تحيلها صوراً ذهنية باردة .

● **الرابع :** لفنون أخرى ، مثل **الرثاء** وتشير إلى توجه أكثره إلى رثاء الحكام والعلماء وقلة ما قيل في رثاء الزوجات ، أو الأبناء ، مما يعبِّر عن إحساس صادق ، وترصد من ظواهر شعر الرثاء افتتاح القصائد بالغزل ، أو الوقوف على الأطلال ، وخلط المعاني الرمزية فيه ، مثل الحديث عن المياه والمطر

الأول ، **اختار النصوص** وعلق عليها وقدم لها **عبد القادر زكار** ، صدر عن **وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق** ضمن سلسلة « **المختار من التراث العربي** » .

● « **الفيلم السينمائي من الفكرة إلى الشاشة** » ، تأليف **فتيح عقله عرسان** ، صدر عن **وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق** .

● « **كوب من الشاي البارد** » ، **مجموعة قصص قصيرة** تأليف **نيروز مالك** ، صدرت عن **اتحاد الكتّاب العرب بدمشق** .

● « **لغة الشعر** » ، **دراسة** أعدها **أحمد يوسف داود** ، صدرت في **كتاب بدمشق** .

● « **تضاريس لوجه غير باريسي** » ، **مجموعة شعرية** للشاعرة **ربيعة الجلطي** ، صدرت عن **دار الكرمل للدراسات والنشر والتوزيع بدمشق** .

● « **فهرس المخطوطات المودعة في خزانة معهد التراث العلمي العربي** » ، صدر عن **معهد التراث العلمي العربي بسورية** .

● « **المعز لدين الله الفاطمي** » ، **دراسة للدكتور عارف تامر** ، صدرت عن **دار دمشق ودار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع** .

شؤون عربية

ذلك هو **عنوان المجلة التي أصدرتها جامعة الدول العربية حديثاً** ويرأس تحريرها **الدكتور أنيس صايغ** ، كما يساهم في تحرير أبوابها عدد من الكتّاب والمفكرين العرب من مختلف الأقطار .

* كتب جديدة *

● « **مدن معبد** » ، **ديوان شعر** للشاعر **محيي الدين خريف** ، صدر ضمن **منشورات عبد الكريم بن عبد الله** .

رمزاً للحياة ، وتشير إلى نمط آخر من افتتاحيات المراثي وذلك بالحديث عن الموت وفلسفته ممثلة بابن عثيمين وإن كانت تنبه إلى تخلف نظمه عن فلسفة الحياة والموت على نحو ما نجده عند الجاهليين والعباسيين .

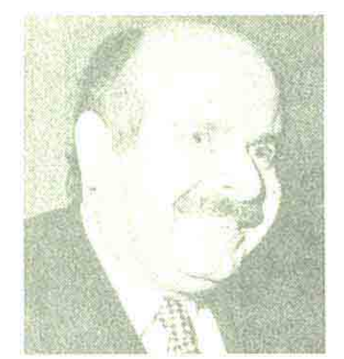
ومثل **الشعر الديني** الخالص من الاختلاط بأغراض أخرى ، ومنه **شعر المذهب الشيعي** الذي قل ما وصل إلينا منه ، فاستنتجت الباحثة أن روايته أسقطت من تاريخ هذه الفترة ، وهو لا يتحدث عن المذهب مباشرة لكنه يستعين على ذلك بمديح آل البيت وشيوخ المذهب ومثلت بشعر (**لعلي تقي الأحسائي**) . ومنه شعر الدعوة السلفية التي جددها الشيخ **ابن عبد الوهاب** ما بين نظم لمبادئ الإسلام ، أو رثاء للعلم ، أو إحساس بغربة الدين ومثلت له بشعر (**ابن مشرف**) الذي شخصت به أيضاً لاتجاه ثالث هو مدائح الرسول صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين ، ولو أنه منظومات تاريخية سطحية خالية من المسحة الفنية .

● **الخامس** : للدراسة الفنية فبينت التزام القصيدة بالشكل التقليدي ، وتمايز مفتتحاتها ما بين الغزل ، أو الوقوف على الأطلال ، أو وصف الخمر أو القهوة أو خلط رمزيها ، وبين الالتفات إلى الطبيعة وربط ذلك بمعاني القصيدة ، مما يمثل شيئاً من التجديد ، كذلك أشارت إلى هجوم الشاعر على موضوعه بدون مقدمات في قصائد كثرت كثرة ملفتة عللتها بتوالي الأحداث ، والمناسبات ، مما لم يمهل الشاعر فيقدم المقدمات . وكما احتذى هؤلاء الشعراء اللغة القديمة ، احتذوا الصور القديمة ، فكانت إما ذهنية تشبه صور **العصر العباسي** ، وإما عادية تشبه ما سبقه ، وتدور حول معان محدودة ومسبوق إليها ، مثل الشجاعة والكرم ، ولاحظت الدراسة تكرار الصورة ، وتراكم التشبيه ، وتفكك اللوحات ، ثم استطردت إلى إثبات صفة الاحتذاء لشيء من هذا الشعر في القصيدة برمتها وزناً وقافية وموضوعاً ، ومثلت لمن برعوا في ذلك بابن عثيمين وإن كانت سمت ذلك براعة في السرقة .

* * *

★ **الباب الثاني** : تيار التطور المواكب للظروف التي استجدت **بظهور النفط** ، وتدفق الأموال ، وزيادة الاحتكاك بالعالم الخارجي ، والسرعة التي تم بها ذلك ، مما أكد ثقة الجيل الجديد بذاته ، وأدى إلى ضرورة تعبيره على أحاسيسه الجديدة ، وقد عقدت الباحثة في هذا الباب فصولاً ثلاثة :

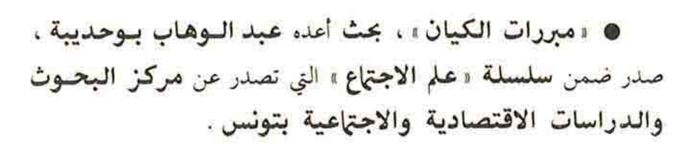
● **الأول** : عودة الذاتية وإن كانت مخلصة للشكل التقليدي وأنموذجها (**صقر الشبيب**) ومفتاح فهمه هو فقره وعماه اللذان عزفا النغم الذاتي في قصائده على اختلاف أغراضها ، ووضحت أن شقاءه بعماه تطور إلى شقائه بغيره من العميان أيضاً ، وتابعت الاستشهاد بالنماذج على صدوره في تشبيهاته وصوره عن هذه المحنة ، وعن المفارقة المأساوية بين دلالة اسمه ، وحقيقة حاله ، فأكثر الحديث عن النور ومشتقاته ، كما اعتمد لإظهار المفارقة على مقارنة نفسه بالطيور والحيوانات ، **وأوضحت أن اعتماد الشبيب على محفوظه من القديم أدى**



★ د. أنيس صايغ ★

★ محيي الدين صبحي ★

● «مبررات الكيان»، بحث أعده عبد الوهاب بوحديبة،



صدر ضمن سلسلة «علم الاجتماع» التي تصدر عن مركز البحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية بتونس.

كما صدرت الكتب التالية عن الدار العربية للكتاب بتونس:

★ «ملامح الشخصية العربية في التيار الفكري العربي المعاصر»، تأليف محيي الدين صبحي.

● «مفكرة عاشق ـ قصائد للقدس»، ديوان شعر للشاعر هارون هاشم رشيد.

● «شهادة من الميدان ـ وثائق عن حرب فلسطين ١٩٤٨م»، تأليف شكيب الأموري، صدر عن الدار التونسية للنشر والتوزيع.

مصر

اكتشاف مدينة أثرية

اكتشفت مدينة أثرية كاملة بصحراء المعادي القريبة من القاهرة يقدر عمرها بحوالي (٨) آلاف سنة ويرجع تاريخها إلى **العصر الحجري الحديث**، وتعتبر أقدم كشف أثري يعثر عليه في مصر حتى الآن. هذا وقد عثرت بعثة الآثار المصرية التي اكتشفت تلك المدينة على

إلى كثرة التقديم والتأخير في نظمه.

● **الثاني**: التيار الوجداني والرومانسي وفيه تورد الدراسة موكباً من شعراء المنطقة علامات على التطور من الذاتية إلى الشعر الوجداني فالرومانسي بمختلف اتجاهاته فتشخص (**بإبراهيم العريض**) لتطور النغم الذاتي من الفردية الخالصة إلى الإنسانية العامة مصنفة شعره إلى رومانسي النغم كما في ديواني (**العرائس**) و(**الدموع**) وقصصي التفاصيل نثري الأسلوب كما في (**أرض الشهداء**) وتلاحظ أن نغمه الذاتي يدور حول تجربة عاطفية واحدة، وأنه يكثر من اللجوء إلى الطبيعة مفتتناً بها، وأنه يمثل تطوراً للغة الشعرية بدلالاته الرومانسية، وإن كان مبقياً على الجانب التقليدي، ممثلاً في المفردات القديمة، والصور المألوفة.

ثم تتبعه الدراسة بالشعراء الرومانسيين فتختار منهم (**فهد العسكر**) فتشخص بشعره ولع الوجدانيين باتخاذ الطبيعة وسيلة للتعبير عن الموقف من الحياة ومشكلاتها. ثم (**أحمد العدواني**) ممثلاً لغزو الاتجاه الفكري لشعر الوجدان، وتعميقه الموقف من الحياة إلى نظرة تفلسف وتنقد. ثم (**غازي القصيبي**) مستدلة بشعره على ولع الرومانسيين العرب بنقل الدلالات اللغوية، والإيغال في الصور المجنحة. ثم (**خليفة الوقيان**) ممثلة بشعره لأحاسيس الغربة والقلق وعدم الرضى عن الواقع والحلم بعوالم مثالية. وتورد لكل منهم أمثلة جيدة.

● **الثالث**: الاتجاه الواقعي بين الفن والالتزام، ويوضح التمهيد له أن التناقضات التي أحدثها ظهور النفط أسلمت إلى إحساس عميق بالغربة المكانية والزمانية والنفسية، مما أدى إلى إنكار الواقع والدعوة إلى تغييره، وتبين أن استقراء دواوين هذا التيار يؤكد أنه يركز الإحساس بالمتناقضات في تجربة واحدة مبالغ فيها، هي مواجهة السلطة القائمة مواجهة ذاتية وفردية، مما لا يعبر باتزان عن هموم هذه البيئة. أما المواجهة الحضارية الحقة لقضايا هذه البيئة فتتمثل في شعر (**علي السبتي**) الذي تستعرض شيئاً منه تشخيصاً لشعر الالتزام الاجتماعي، و(**محمد الفايز**) الذي يظهر في ملامح مختلفة تتسم بالرمزية، وتفكير العواطف الذاتية، فيبدو في ديوانه (**مذكرات بحار**) ذا وجه إنساني عام، وآخر متصل بنفسه.

وتوضح الباحثة أن استخدامها لمصطلحات الذاتية والوجدانية... إلخ، هو بمفهوم عربي هذه التسميات حيث إنها لم تشتمل على كل خصائصها المعروفة في مفهومها الغربي الدقيق.

★ ★ ★

وفي الختام لا يفوتني أن أشير في دائرة الضوء إلى أن قارئ هذه الدراسة سيستفيد ولا شك من منهج الباحثة، ومن نتائجها، لكني أستبعد أن يستمتع بقراءة كثير من النماذج، وهذا ما يضاعف تقديرنا لجهد الدكتورة فقد كانت تدقق النظر في شرائح أكثرها بعيد عن الجمال.

قدم للكتاب الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد.

عصام الغزالي ـ الرياض







★ د. إبراهيم مدكور ★ ★ د. عبدالقادر القط ★

بقايا مساكن و (٢٢) مقبرة تحتوي على هياكل عظمية كاملة لأشخاص في وضع القرفصاء بالإضافة إلى مجموعة من الأدوات المصنوعة من الحجر على شكل سكاكين ورماح وأدوات صيد.

التراث العلمي العربي في ندوة

عقدت في القاهرة ندوة حول «**التراث العلمي العربي بين الشرق والغرب**» شارك فيها عدد من **أساتذة التراث العربي** منهم:

★ الدكتور إبراهيم مدكور.

★ الدكتور أحمد الحوفي.

★ الدكتور أحمد هيكل.

وذلك تحت إشراف **المجلس الأعلى للثقافة**.

* كتب جديدة *

● «**علم النفس والجريمة**»، **تأليف محمد فتحي**، صدر عن **دار المعارف بالقاهرة** ضمن **سلسلة «كتابك»**.

● «**الوسيلة الأدبية**»، تأليف **الشيخ حسين محمد المرصفي**، **تحقيق الدكتور عبد العزيز الدسوقي**، صدر **المجلد الأول عن الهيئة المصرية العامة للكتَّاب**.

● «**الشعر الحر والمسرح**»، **دراسة للدكتور عبد القادر القط**، صدرت في **القاهرة**.

● «**المرأة والإسلام**»، ج٢، تأليف **غادة الخرساني**، صدر في **القاهرة**.

● «**فن المقال الصحفي**»، بقلم **الدكتور عبد العزيز شرف**، صدر ضمن سلسلة «**كتابك**» التي تصدرها **دار المعارف بمصر**.

● «**مواكب الحياة**»، **ديوان شعر** للدكتور **عزت شندي موسى**، صدر عن **المجلس الأعلى للثقافة**.

● «**ما أبقت الأيام**»، **ديوان شعر** للشاعر **أحمد مصطفى حافظ**، صدر عن **المجلس الأعلى للثقافة**.

الأردن

جائزة «عرار» لشاعر فلسطيني

قدمت رابطة الكتَّاب الأردنيين جائزتها السنوية «جائزة عرار» التي تمنح لأي أديب عربي يكون لصوته صداه على مدار السنة العربية، قدمتها **للشاعر الفلسطيني الدكتور «وليد سيف»** صاحب ديوان «**وشم على ذراع خضره**» وصاحب الملحمة الشعرية الجديدة «**تغريبة زيد الياسين**». وفور تسلم الدكتور سيف لتلك الجائزة تبرع بها إلى لجنة النشر في الرابطة لدعم نشاطاتها ونشر نتاج الشعراء الشباب.

المهرجان السنوي لرابطة الكتَّاب

أقامت **رابطة الكتَّاب الأردنيين** مهرجانها السنوي الرابع بعمان وذلك خلال الفترة من ٢١ يونيو (حزيران) إلى ٢٥ منه عام ١٩٨١م، ألقيت فيه ثمان عشرة قصة وضعها عدد من كتّاب القصة أمثال: وليد سليمان، إبراهيم خليل، أحمد عودة، هند أبو الشعر، كما ألقيت فيه ست عشرة قصيدة لعدد من الشعراء أمثال: إبراهيم نصر الله، أحمد جبر، رجاء أبو غزالة، عطاف جانم، وتسعة بحوث لعدد من الكتَّاب أمثال: الدكتور محمد شاهين، والدكتور وليد مصطفى والسيد حيدر رشيد وغيرهم.

* كتب جديدة *

● «**النحاة والحديث النبوي الشريف**»، **دراسة للدكتور حسن موسى الشاعر**، صدرت عن **وزارة الثقافة والشباب الأردنية**.



العراق

* كتب جديدة *

● «**مقدمة في علم الآثار**»، **دراسة** أعدها **الدكتور تقي الدباغ**، صدرت في **كتاب عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية**.

● «**الشعر العراقي في القرن السادس الهجري**»، **دراسة** أعدها **مزهر السوداني**، صدرت في **بغداد**.

● «**خمسة مداخل إلى النقد الأدبي**»، كتاب من **تصنيف ويلبر سكوت، ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور عناد غزوان إسماعيل، وجعفر صادق الخليلي**، صدر عن **دار الرشيد ببغداد**.

● «**ديوان عبد المحسن الصوري**»، ج١، **تحقيق مكي**

السيد جاسم وشاكر هادي شكر، صدر عن دار الرشيد، ضمن سلسلة «كتب التراث».

● «الحملة على برنامج العراق النووي.. لماذا؟»، دراسة من تأليف حسن محمد طوالبه، صدرت في بغداد.

● «الاستراتيجية العربية لمحو الأمية»، صدر عن الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ببغداد.

● «تعليم الكبار في البلدان النامية»، صدر عن الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ببغداد.

● «القواعد والفوائد»، تأليف الإمام أبو عبد الله العاملي المعروف بالشهيد الأول، تحقيق وتقديم وشرح الدكتور عبد الهادي الحكيم، صدر عن جمعية منتدى الشعر في النجف الأشرف.

● «فهرسة المخطوط العربي»، إعداد ميري عبودي فتوحي، صدر عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية ضمن سلسلة «المعاجم والفهارس».

● «ابن طفيل: قضايا ومواقف»، تأليف مدني صالح، صدر عن وزارة الثقافة والإعلام.

● «فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين ـ دراسة مقارنة»، للدكتور محمد شريف أحمد، صدرت عن دار الرشيد ببغداد.

● «تحديد المجالات البحرية للدول الساحلية في الخليج العربي»، دراسة للدكتورة حنان جميل سكر، صدرت عن كلية الآداب بجامعة بغداد.

● «كتاب الأدوار»، من كتب التراث العربي في الموسيقى، تأليف صفي الدين عبد المؤمن الأموي البغدادي، تحقيق وشرح وتعليق هاشم الرجب، صدر عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

لبنان

جائزة مارون عبود

خصصت (دار رواد النهضة للنشر) اللبنانية جائزة سنوية تحمل اسم «جائزة مارون عبود» تقدم سنوياً في الأسبوع الأول من شهر



★ مارون عبود ★

حزيران (يونيو) ـ أي في الذكرى السنوية للأديب الراحل ـ وتمنح لصاحب أفضل أثر ينشر على مدار السنة حاملاً خصوصية لبنانية مميزة سواء في الإنتاج الإبداعي من قصة ورواية ومسرح وشعر أم في النتاج النقدي.

الفهرست

ذلك هو عنوان أحدث مجلة صدرت في بيروت، فقد صدر عددها التجريبي الأول حافلاً بموضوعات شتى تهم الدارسين في الدوريات العربية خاصة وأن معظمها غير متوفر في الأسواق. المجلة علمية متخصصة، ستصدر شهرياً ويرأس تحريرها السيد ميشال نوفل.

* كتب جديدة *

● «تاريخ الضنية السياسي والاجتماعي في العهد العثماني»، دراسة أعدها قاسم صمد، صدرت عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ضمن السلسلة التاريخية.

● «الخطابة وإعداد الخطيب»، للدكتور عبد الجليل عبده شلبي، صدر عن دار الشروق.

● «السلاح النووي والصراع العربي الإسرائيلي»، دراسة أعدها الدكتور سلمان رشيد سلمان، وضعت في كتاب صدر عن دار ابن خلدون ببيروت.

● «الحلم والعنقاء»، مجموعة شعرية للشاعر الدكتور ميشال سليمان، صدرت عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

كما صدرت عن دار الأندلس الكتب التالية من تأليف الدكتور مصطفى ناصف:

★ «الصورة الأدبية».

★ «قراءة ثانية لشعرنا القديم».

★ «نظرية المعنى في النقد العربي».

● « الإشارة إلى أدب الإمارة » ، تأليف المرادي (أبوبكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني) ، دراسة وتحقيق الدكتور رضوان السيد ، صدر عن دار الطليعة .

كما صدرت عن دار المسيرة ضمن سلسلة « الورود الصغيرة » القصص التالية من تأليف ياسين رفاعية :

★ « الغيمة البيضاء » .

★ « الزهرة الصغيرة » .

★ « الفيل الهرم » .

★ « الحطاب وشجرة الأرز » .

● « الذين أدركتهم حرفة الأدب » ، دراسة لطاهر أبو فاشا ، صدرت عن دار الشروق ببيروت .

● « مدخل إلى علم الضرائب . . . النظرية العامة في الضرائب وأنماط الأنظمة الضريبية » ، دراسة من تأليف الدكتور علي مقلد ، صدرت عن دار المنشورات الحقوقية ببيروت .

● « منهجية ابن خلدون التاريخية » ، دراسة للدكتور محمد الطالبي ، صدرت ضمن سلسلة « قضايا أدبية » التي تصدر عن دار الحداثة ببيروت .

● « أصول البلاغة » ، للإمام كمال الدين ميثم البحراني المتوفي سنة ٦٧٩ هـ ، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين ، صدر عن دار الشروق ببيروت .

● « العائلة في الإسلام » ، تأليف أبو الحسن بني صدر ، صدر عن دار التوجيه الإسلامي ببيروت .

● « زاد المعاد في هدي خير العباد » ، ج ٥ ، تأليف ابن قيم الجوزية ، تحقيق وتعليق وتخريج شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، صدر عن مكتبة المنار الإسلامية ومؤسسة الرسالة .

● « الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني » ، دراسة للدكتور عمر عبد الرحمن الساريسي ، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

تاريخ الثقافة العمانية في معرض

رغبة في التعريف بتاريخ الثقافة العُمانية وبكل معطياتها ، أعدت الجهات المختصة معرضاً عالمياً متنقلاً ، أقيم في (لندن) بقاعة الاحتفالات الملكية تحت عنوان « تاريخ الثقافة والحرف التقليدية العمانية » .

ويعد هذا المعرض الأول من نوعه حيث حضره أكثر من (٧٥٠٠) شخص فكان الإقبال عليه كبيراً ، ثم نقل المعرض بعد ذلك إلى (باريس) ثم إلى (لشبونة) ، وهكذا سينتقل إلى العواصم الأخرى .

نافذة

وأطل فجر العيد

نعم . . فقد أطل فجر العيد ، وأشرق بنوره . . فملأ الأرض ضياءً وأملاً .

أقبل العيد بالجديد من الثياب ، والجديد من النفوس ، والجديد من الأيام .

ولكن أحقاً هذي الثياب الجديدة قد خلعناها على نفوس جديدة ؟

أحقاً تحولت نفوسنا . . بعد معاناة خلال شهر الصيام ؟

أو تخلصت من شهواتها ، وتطهرت من معاصيها وخطاياها ، بعد أيام قضيناها صائمين ، شاكرين مسبحين ؟

أترانا قد قوينا على أن نروض هذه النفس الطاغية . . على الاحتمال ، والصبر ، وننقيها من البطر والغرور والخيلاء ؟

لقد فرَّط الكثير منَّا في حقه ، وحق مجتمعه ، وحق خالقه . . فهل كان الصيام لنا مسلكاً ومنسكاً لنثوب إلى رشدنا وننتصر لإنسانيتنا وآدميتنا .

لا يكفي المسلم أن ينطلق في عيده . . يلهو ، ويلعب ، ويتزاور ، ويتهادى ، فالعيد الحقيقي للمسلم حين تصفو نفسه ، وتشف روحه إلى آفاق الخير . . حين يسامح فلا يعاقب ، ويعفو فلا ينتقم .

العيد بما ترمز إليه معانيه أن نخرج من شهر رمضان وقد استجمعنا قوانا وشجاعتنا على مصارحة أنفسنا بأخطائنا ومشاكلنا ، أن نعوض ـ وكلنا عزم وتصميم ـ ما فاتنا من أيام فرّطنا خلالها في حقوقنا السليبة .

العيد حقاً . . حين ننفض عنّا غبار الهوان وننتصر على ضعفنا وتفككنا ، فما أحوجنا أن نتفيأ ظلال الإسلام الوارفة .

عيد المسلمين الحق . . هو ذلك اليوم الذي نحرص فيه على إشاعة السلام والحب والتعاون والعطاء . . ذلك اليوم الذي نقطف فيه ثمرة جهدنا المشترك فننقذ إخوة لنا في الإسلام مشردين . . محرومين . . مطاردين في جميع أنحاء العالم يهددهم الجوع والعري والدمار .

إنَّ عيدنا الحقيقي يوم نعقد العزم على أن نملك زمام الأمور بأيدينا . . يوم ننتصر في صراعنا مع العدو ، فنضيء لبني أمتنا جوانب الطريق نحو غد مشرق يتحقق فيه تحريرهم واستقلالهم .

إلى ذلك الغد نصبو ، وإلى ذلك العيد نغدو .

حينئذ يطفح البشر في وجوهنا ، حينئذ يتحقق عيدنا ، حينما نتصافح ونقول لبعضنا :

كل عام وأنتم بخير .

أسامة أحمد السباعي



فـرنـسـا

جاك دي بوربون والأكاديمية الفرنسية

انتخب **الدبلوماسي والكاتب (جاك دي بوربون)**، البالغ من العمر (٦٩) عاماً، عضواً جديداً **في الأكاديمية الفرنسية**. وبوربون ينتمي إلى عائلة (آل بوربون) التي حكمت فرنسا بعد ثورة ١٤ تموز (يوليو) عام ١٧٨٩م، **ويعد العضو الأربعين في الأكاديمية** وسبق وأن حصل عام ١٩٥٧م، **على جائزة من الأكاديمية** التي أصبح عضواً فيها الآن وذلك **عن روايته** التي كتبها تحت عنوان «**ملح الأرض**».

معرض عن الاكتشافات الأثرية في مصر

أقيم في **باريس** معرض عن **الاكتشافات الأثرية المصرية التي ت أثناء الحملة الفرنسية على مصر** وذلك (**بمتحف الفن الحديث**) تحت شعار «**عصر علم الأثريات المصرية الفرنسية**».

من بين تلك الاكتشافات فك رموز الهيروغلوفية، وتمثال لعجل «أبيس» إلى جانب بعض اللوحات الفنية التي تصور حضارة مصر القبطية وكذا مجموعة من الأحجار الكريمة المعروفة باسم «لازوردو تقيز».

معرض لأعمال أورلي

أقامت **الأوساط الفنية الفرنسية معرضاً** ضم **روائع الفنان الإسباني** الشهير (**برنار فان أورلي**) الذي يعتبر في مقدمة الفنانين الذين عاشوا في بلاط «مرغريت دوتريش» ابنة إمبراطور بلجيكا «ماكسيميلان» والذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي، كما ضم المعرض أيضاً مجموعة من التماثيل والبُسُط. والمعروف أن فان أورلي رسام إسباني ولد عام ١٤٨٨م، وتوفي عام ١٥٤١م، وتعتبر **لوحته** التي رسمها وتحمل عنوان «**مارغريت دوتريش**» من أشهر أعماله.



● التلفزيون ذو الكريستال السائل ●

في ٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٠م، أعلنت **شركة توشيبا اليابانية** عن أحد منتوجاتها الجديدة: **جهاز تلفزيون ذو شاشة من الكريستال السائل** ويعتبر هذا الجهاز بداية جيل جديد من التلفزيونات.

في هذا الجهاز الجديد يتم عرض الصورة على شاشة من الكريستال السائل، عوضاً عن شاشة الأنبوب الإلكتروني، الذي يمثل قلب جهاز التلفزيون. والكريستال السائل مركب عضوي ذو تركيب كيميائي معقد، وخواصه تقع بين السوائل والجوامد. وقد تم سابقاً استعمال الكريستال السائل في شاشات الحاسبات الإلكترونية المكتبية وفي الساعات الرقمية.

شاشة الكريستال السائل التلفزيونية صغيرة جداً لا يزيد طولها عن ١,٦ بوصة (حوالي ٣,٥ سنتمترات) وعرضها ١,٢ بوصة (حوالي، سنتمتر). والجهاز كله لا يتجاوز وزنه (٣٠٠) غرام فقط، ويمكن تشغيله ببطارية عادية (٦ فولتات).



● مدينة فوق البحر ●

ظهرت مؤخراً «**جزيرة صناعية**» ضخمة بالقرب من **ميناء «كوبيه»**، أكبر ميناء دولي **في اليابان**، وقد أطلق عليها اسم «**جزيرة الميناء**»، وذلك لأنها أنشئت أصلاً بسبب توسع مرافق الميناء. هذه الجزيرة من صنع الإنسان وتغطي مساحة قدرها ٤٣٦ هكتاراً، وقد تكلف انشاؤها (٢٤١٠) ملايين دولار أميريكي، واستغرق حوالي (١٥) سنة كاملة. تم تدشين هذه الجزيرة في آذار (مارس) ١٩٨١م، ورافقها معرض على مقياس كبير.

تمتد هذه الجزيرة مسافة ٣ كيلومترات طولا و٢ كيلومتر عرضاً، وقد استهلك بناؤها ٨٠ مليون متر مكعب من التربة والرمال. وقد عمد

وقد حصل عليها (لوران) تقديراً لأعماله الأدبية التي بلغت حتى الآن حوالي (٥٠) عملاً، إضافة إلى أعمال أخرى أهمها تأسيس مجلة (**الباريسية**) عام ١٩٥٠ م، ورئاسة تحرير **مجلة (الفنون)**، من أشهر أعماله «**الأجساد الهادئة**» و«**الحماقة**».

أما (بونو فوي) فقد صدرت له عدة دواوين من بينها «**حلم في نانتير**» و«**الضباب الأحمر**» كما صدرت له عدة دراسات نقدية نال عليها جائزة تقديرية عام ١٩٧١ م.

وفاة فرانسوا بورد

توفي **أشهر مؤرخ فرنسي في العالم متخصص في تاريخ العصر الحجري القديم** «**فرانسوا بورد**» عن ثمان وستين سنة، فقد ولد (بورد) في عام ١٩١٩ م، وحصل على الدكتوراه في العلوم عام ١٩٥١ م، وعين في جامعة (بوردو) **مديراً لمعهد التاريخ المتخصص في فترة العصر الرابع في تاريخ الأرض**، كما كان عضواً في المجلس الأعلى للأبحاث الجيولوجية، وقد قام بعدة دراسات للبحث عن آثار العصر الحجري في كل من إسبانيا، وأستراليا والولايات المتحدة. **صدر له أكثر من مائتي كتاب علمي** في هذا المجال، وكان يكتب تحت اسم مستعار هو «**فرانسيس كارزاك**». وقد حصل قبل وفاته على جائزة **الفنون والأدب** التي تمنحها **الأكاديمية الفرنسية**.

وفاة موريس بومون

توفي عن (٨٩) عاماً المؤرخ الفرنسي «**موريس بومون**»

ملتقى الفنانين العالميين

احتفل في **فرنسا** بمرور ستين عاماً على إنشاء المقهى الشهير الذي أطلق عليه اسم **مقهى «القمة»** والذي كان يلتقي فيه **كبار الفنانين والرسامين العالميين والشخصيات الشهيرة**، وهذا المقهى يماثل شهرة مطعم «مكسيم»، والمعروف عنه أنه كان مكاناً تعقد فيه الندوات والمناقشات بين كبار الفنانين والرسامين أمثال (بيكاسو، وسلفادور دالي، وأندريه جيد) كما كانت تعزف فيه السيمفونيات الشهيرة لكبار الموسيقيين العالميين.

جوائز الأكاديمية الفرنسية

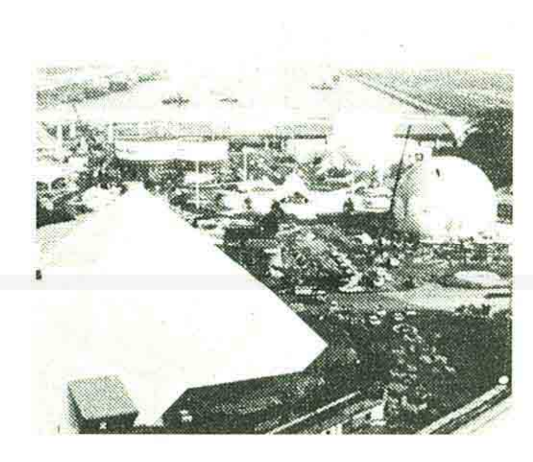
منحت **الأكاديمية الفرنسية** جوائزها الأدبية هذا العام في **الأدب والشعر**لكل من:

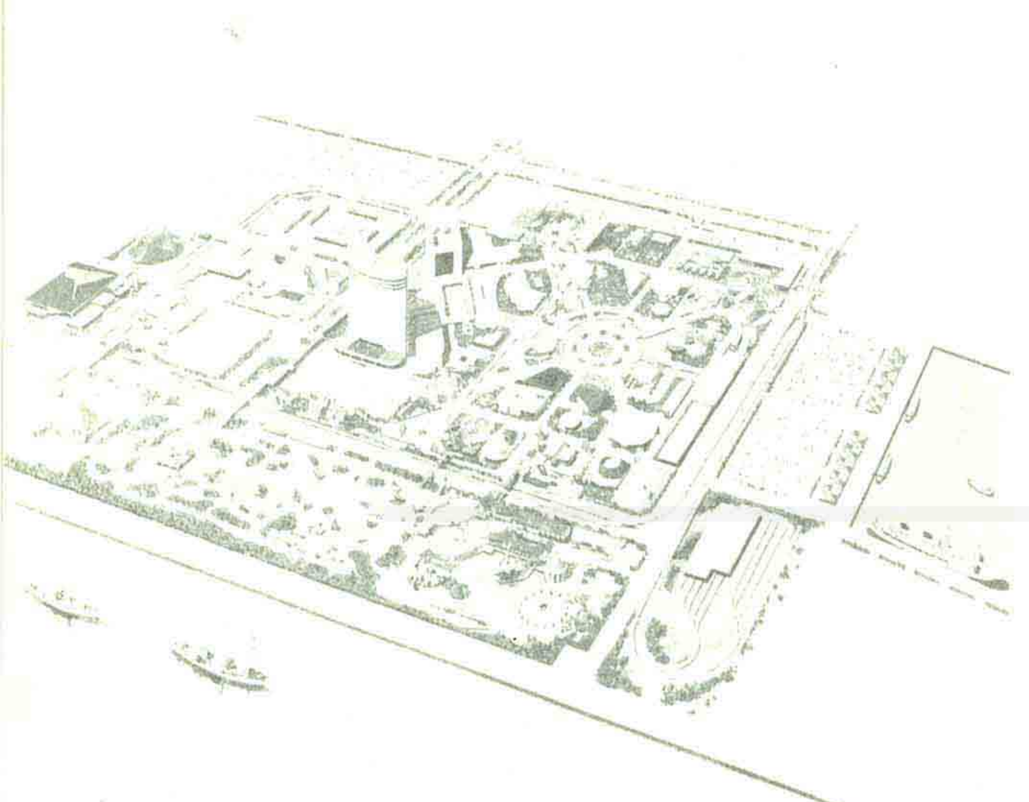
★ الأديب **جاك لوران** وقيمة الجائزة (مائة ألف فرنك).
★ والشاعر **أيف بونو فوي** وقيمة الجائزة (٢٥ ألف فرنك).

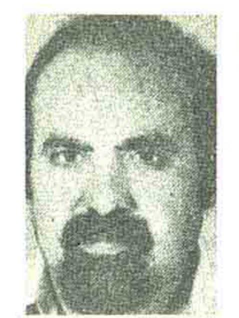
المهندسون إلى نقل الأتربة اللازمة من **جبل روكو** الموجود في شمال المدينة بواسطة سيور ناقلة إلى الشاطىء.

(الصورة رقم ٩) الجزيرة الصناعية قيد الإنشاء في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٠ م.

(الصورة رقم ١٠) المخطط العام لموقع الجزيرة الحديثة.







★ د. حسن طافش ★

والمتخصص في كتابة تاريخ الصناعة الألمانية وأستاذ التاريخ المعاصر (بجامعة باريس) وفي (المعهد الدولي للدراسات التجارية في جنيف).

فقد ولد (موريس) في عام ١٨٩٣م، وخلال الفترة من ١٩٤١م، إلى عام ١٩٥١م، شغل منصب أستاذ الجغرافيا الاقتصادية والصناعية، ثم عين في أثناء الحرب العالمية الثانية رئيساً للجنة تاريخ الحرب، من أشهر كتبه «**فشل السلام**» و«**انتصارات ومآسي الجمهورية الفرنسية الثالثة**» و«**جذور الحرب العالمية الثانية**».



معرض عن عسير

أقام **الدكتور حسن طافش** الأستاذ **بكلية التربية بأبها معرضه الثاني** عن **منطقة عسير** وذلك بمدينة (**جنيف**) خلال الفترة من ١ أغسطس (آب) ١٩٨١م، ولمدة ثلاثة أسابيع، ويمثل ذلك المعرض **التراث الشعبي وطرز المباني ومناظر طبيعية عن المنطقة**.

معرض عالمي لرسوم المجلات

أقيم في **مدينة (شتوتغارد)** في ألمانيا الاتحادية **معرض عالمي لرسوم المجلات** اشترك فيه فنانون من إنجلترا، فرنسا، ألمانيا، النمسا، ضم المعرض (١١٠) صور رسم أغلبها بقلم الرصاص أو الفرشاة، وضم تخطيطات ورسوماً مائية لمناسبات مختلفة أطلق عليها اسم: «**رسوم أوروبا ١٩٨١م**».

* أحدث الكتب *

● «**قصة الفضة عبر التاريخ**»، كتاب صدر عن **معهد الإدارة المالية والأبحاث بالهند**.

اكتشاف مخطوطة عربية

اكتشف فريق من الباحثين المشتغلين بإحياء التراث العربي والإسلامي في «**أكاديمية العلوم السوفياتية**» (**بكازان**) **نسخة خطية نادرة** من **كتاب عربي في علم الفلك**، هذه النسخة تتضمن معلومات جديدة ودقيقة في حسابات لمدار ومكان الأرض، وكذلك الأجرام السماوية الأخرى، وهذه المخطوطة **تحمل عنوان** «**نزهة الحدائق**»، ومصنفها العالم الفلكي **غياث الدين الكاشي**.

* أحدث الكتب *

● «**سيرة حياة إسحاق نيوتن**»، دراسة للكاتب **ريتشارد ويستول**، صدرت في **لندن**.

● «**مونتجمري**.. حياته **العسكرية والشخصية**»، دراسة أعدها **نيجل هاميلتون**، صدرت **بلندن**.

● «**حياة جون دون**»، دراسة بقلم **جون كاري**، صدرت في **لندن**.

● «**أوروبا والشرق الأوسط**»، مجموعة مقالات وضعت في كتاب بقلم **ألبرت حوراني**، صدر في **لندن**.

● «**نشأة الشرق الأوسط الحديث**»، **مجموعة مقالات** وضعت في كتاب **بقلم ألبرت حوراني**، صدر في **لندن**.



معبد لرصد النجوم

اكتشفت **بعثة الآثار الأمريكية معبداً في كينيا** يتكون من (١٩) عموداً يشبه إلى حد كبير المرصد الدولي القديم الموجود في بريطانيا والمعروف باسم «**ستوبنهينغ**»، وقد لاحظ العلماء بعد دراسة الزوايا المثبت عليها أعمدة المعبد أنها تتجه نحو نجوم ومجرات معينة، وأن سكان هذه المنطقة يلجأون إلى أعمدة المرصد لتحديد موقع النجوم.



العثور على كنز من النقود

عثرت **بعثة آثار فرنسية** على **كنز من النقود اليونانية** يرجع تاريخه إلى عام (**٢٣٠ ق.م**) وذلك بالقرب من مدينة (**جلنار**) بتركيا، وهذه المدينة كانت لها مكانة تاريخية وسياسية حيث كان يحتلها (**الحثيون**) حتى نهاية **الاحتلال البيزنطي**.

قصدت بهذا المقال أن أبرز حقيقة هامة ، وهي أن الإسلام عقيدة إنسانية سمحاء ، توافق طبيعة الإنسان ، وتعبر عن فطرته وبساطته وتلقائيته ، وأنه يجافي التصنع والجمود ، والشكلية . . وأصدق برهان على ذلك ما نجده في نظرة الإسلام إلى الطفولة ، المرادفة للفطرة والبراءة والتلقائية ، وهي مفاهيم تحاول الاتجاهات التربوية الحديثة أن تؤكدها بشتى الطرق ، وأن تقيم عليها أساليب التعليم وبرامجه .

فماذا كانت النظرة إلى الأطفال ، وإلى الطفولة ، فيما **قبل الإسلام** ؟ وكيف أصبحت هذه النظرة في العقيدة الإسلامية ، ولدى المفكرين والعلماء المسلمين **في عصور الإسلام** الزاهرة ؟ ثم كيف ضاعت هذه النظرة الأصيلة في **عصور التدهور والظلام** ، حتى انبعثت من جديد ، **في عصر التنوير** ، ولدى علماء التربية في العصر الحديث ؟



المفهوم الإسلامي للطفولة واتجاهات التربية الحديثة

بقلم : د . محمد سلامة آدم

الطفل رجل صغير

إن أقدم المفاهيم التي وصلتنا عن الطفولة هو المفهوم الذي يعتبر الطفل صورة مصغرة من الكبير الراشد ، فالطفل في المجتمعات البدائية ، ينشأ بين أبناء قبيلته ، يقلد أعمال الكبار ، ويتشرب المهنة التي تحتكرها القبيلة لنفسها . ومع تلقينه سر المهنة ، يتلقن فنون التعامل مع الغرباء ، الكبار ، وسرعان ما ترتسم على وجهه سمات الرجال ، ويحمل على كتفيه الصغيرتين عظائم الأمور ، ويحاسب حساب المكلف المسؤول .

ونجد تجسيداً لهذا التصور في **التربية اليونانية القديمة** ، وبصفة خاصة **التربية الأسبرطية** . فقد كانت « أسبرطة » لا تكف عن المعارك بينها وبين جاراتها ، وكان أهم ما يشغل أهل المدينة توفير سبل الحماية لمدينتهم ، فاهتمت التربية بتحقيق القوة الجسدية لدى الأطفال ، وغرس الشجاعة في نفوسهم ، واعتياد حياة المشقة والخشونة ، وتحمل الآلام ، وباختصار ، الاتصاف بأخلاق الرجال منذ سنوات العمر الأولى . ولذلك قدمت التربية الأسبرطية الرياضة البدنية والتدريبات العسكرية على القراءة والكتابة والموسيقى .

وعلى خلاف ذلك ، كانت « **أثينا** » مدينة تجارية ، فاهتمت التربية فيها بتعليم الحساب ومبادئ القراءة والكتابة ، وقدمت ذلك على الرياضة البدنية والتدريبات العسكرية .

يقول **أفلاطون** فيلسوف اليونان الشهير (٤٢٣ ــ ٣٤٧ ق . م) : إنه يمكن للطفل أن يهيئ لحياة الكبار بصورة مبكرة ، فيما بين الثالثة والسادسة .

الطفل والخطيئة الأصلية

وحينما ظهرت المسيحية ، لاقى المؤمنون بها كثيراً من العنت والاضطهاد ففزعوا إلى الأديرة والصوامع ، يلوذون بها من عالم مليء بالشرور والآثام . وكان المسيحيون الأوائل يسيئون الظن بالنفس البشرية ، وأنها تحمل بين طياتها بذور الخطيئة الأولى التي تورط فيها « **آدم** » عليه السلام . . . « لأنك سمعت لقول امرأتك ، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك ، **قائلاً** : لا تأكل منها ، ملعونة الأرض

بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك . . » (تكوين ، ٣ : ١٧) . ومن هنا كان أسلوب «الآباء» في تربية الأبناء معاناة المزيد من التعب والمشقة ، وتحمل الآلام ، وأخذ النفس بالشدة والقسوة والصبر على المكاره . فهذا هو سبيل التطهير وسبيل خلاص النفوس مما تحمل من آثام وشرور .

لهذا كان العقاب الجسدي وسيلة ضرورية ، ومشروعة ، وكان هذا العقاب قاسياً ، ومتنوعاً ، بل إن هناك نوعاً من العقاب النفسي أو الروحي يتمثل في منع الطفل من الجلوس على كرسي ، أو على مقعد أثناء الدرس خشية أن ترفع هذه الكراسي ، من هامات التلاميذ ، فتفسح المجال للغرور والكبرياء .

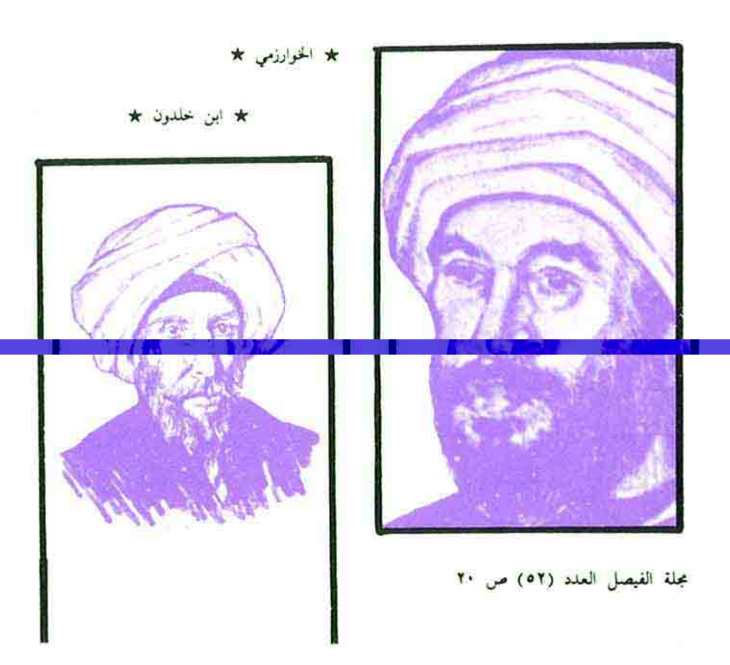
كل مولود يولد على الفطرة

فلما جاء الإسلام ، حرر الإنسان من فكرة الخطيئة الأصلية ، وجعله مسؤولا عن نفسه وعن سلوكه ﴿ **ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ١٦٤) و ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ (سورة المدثر ، الآية ٣٨) . وعلى ذلك ، فلا صلاح الأبناء يغافر سيئات الآباء ، ولا تقوى الآباء بشافعة عن فساد الأبناء ، ﴿ **واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٤٨) . وحتى الأنبياء ، لا تغني نبوتهم عن خطيئة يرتكبها أبناؤهم . وهذا هو ، «نوح» عليه السلام ، حينما عصاه قومه ، وابنه معهم ، شاقاً عليه عصا الطاعة ، فكان بينهم «من المغرقين» ، رغم شفاعات نوح إلى ربه :

﴿ **رب إن ابني من أهلي** ﴾ (سورة هود ، الآية ٤٥) .

﴿ **يا نوح ، إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح** ﴾ (سورة هود ، الآية ٤٦) .

والفكرة الإسلامية الأساسية ، هنا ، أن الله خلق الإنسان ، وسواه ، على أحسن صورة ، ثم وهبه العقل الذي يميّز به الحق والباطل ، والخير والشر ، والجميل والقبيح ، وهذا هو قانون الفطرة السليمة : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ (سورة النحل ، الآية ٧٨) .



★ الخوارزمي ★

★ ابن خلدون ★

مجلة الفيصل العدد (٥٢) ص ٢٠

والفطرة ، في اللغة ، هي الخِلْقَة التي خُلق عليها المولود في رحم أمه ، وهي الطبيعة السليمة التي لم تُشَبْ بعيب . ويرفع الإسلام من شأن الفطرة ، والبساطة والتلقائية ، بل إنه يعتبر الإسلام نفسه دين الفطرة ، أي الدين الذي يلائم طبيعة الإنسان ، ويستجيب لحاجاته ، ويشبع دوافعه ، ويحقق تطلعاته : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾ (سورة الروم ، الآية ٣٠) . ولعله من هذه الآية جاء الحديث الشريف : « **كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** » .

الفطرة والعقل

وقد أورد **الإمام أبو حامد الغزالي** (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) حديثاً عن **النبي صلى الله عليه وسلم** مؤداه أن «أول ما خلق الله العقل» .

ويقول الغزالي : «إن العقل الذي يقصد إليه الرسول الكريم ، هو العقل الغريزي أو العقل الفطري ، الذي يفارق الإنسان به البهائم» .

والعقل فيما يرى حجة الإسلام نوعان ، أو مستويان :

المستوى الأول

● « **العقل المطبوع** » وهو العقل الغريزي الفطري الذي وهبه الله استعداداً طبيعياً للمعرفة والتعلم ، وبهذا الاستعداد الطبيعي يميّز الصبي عدداً من المبادئ العقلية الأولية أو البديهية ، وهي التي تسميها الفلاسفة «المبادئ الضرورية للمعرفة» مثل : الاثنين أكثر من الواحد ـ وأن الشخص الواحد ، أو الشيء الواحد ، لا يكون في مكانين في وقت واحد ـ وأن هذا العقل الفطري يستطيع أن يميّز بين «الجائزات» وبين «المستحيلات» .

المستوى الثاني

● « **العقل المسموع** » وهو الذي تحصل به المعلومات الكسبية ، أي التي تكتسب من خلال التجربة أو الفعل مستعيناً بذلك بملكة العقل الفطري من مبادئ عقلية أولية ضرورية ، وفطرية .

فالنفس الإنسانية مؤهلة بما وهبها الله من فطرة سليمة ، وعقل غريزي أن تصل إلى طريق الرشاد ، إن هي أحسنت استخدام هذا

العقل ، واستجابت إلى فطرتها السليمة . وأما إذا أساءت استخدام هذا العقل وتنكرت لفطرتها السليمة ، فإنها تحيد عن الطريق السوي ، وتقع عليها التبعة ويحق عليها الحساب :

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٢٨٦) .

﴿ ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾ (سورة الشمس ، الآيات ٧ ـ ١٠) .

الصبي أمانة عند والديه

والإسلام لم يترك الطفل يتصرف بما وهبه الله من عقل ، دون أن تتوفر للطفل الرعاية والتوجيه والتربية السليمة .

ولعل من أجمل النصوص التي خلفها لنا الإمام الغزالي هي تلك التي يجعل فيها تربية الطفل « أمانة » في عنق والديه ، وفي عنق المعلم على السواء ، يقول الغزالي :

« الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نُقش فيه ، ومائل إلى كل ما يُمال إليه . فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه كل معلم له ومؤدب ، وإن عُوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي ، وهلك وكان العذر في رقبة القيّم عليه والوالي له . . . » .

كذلك لم يدع الإسلام الطفل أسير فرديته ، وإنما ربطه بإخوته من المؤمنين وجعل بينه وبينهم وشائج متينة من القربى والتقوى ، والبر والتعاون ، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً :

﴿ فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٠٣) .

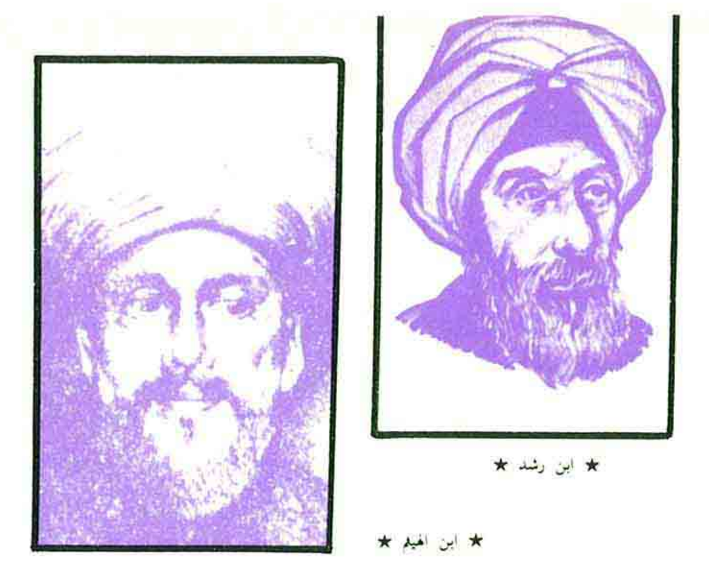
﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ (سورة التوبة ، الآية ٧١) .

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٢) .

لا ترهقوا الطفل بكثرة العلم

ويدعو الغزالي إلى التخفيف عن كاهل الأطفال ، فلا نثقل عليهم في طلب العلم ، ولا نقدم إليهم منه إلا ما استعدت له نفوسهم ، وألا نقسو عليهم في العقاب . فإذا أراد المعلم أن يزجر الصبي فبطريق التعريض لا بطريق التصريح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ .

كما رسم **ابن خلدون** (٧٣٤ ـ ٨٠٨ هـ) طريقة سليمة للتعامل مع الأطفال تحبب إليهم العلم والتعلم ولا تنفرهم فيه ، فنقدم المعرفة إليهم في البداية « على سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية ، وأن نقدم المبادئ الأولية البسيطة قبل أن نقدم النتائج والغايات التي ينتهي إليها العلم » .



★ ابن رشد ★

★ ابن الهيثم ★

ليلعب الطفل لعباً جميلاً

كما التفت الغزالي إلى أن اللعب حاجة أساسية بالنسبة إلى الطفل ، وضرورة من ضرورات نموه الجسمي والعقلي والوجداني ، وأن الحياة لا يمكن أن تكون للعلم وحده ، فالعمر كله لا يتسع لجميع العلوم . كما أن إرهاق الطفل بالعلم يميت القلب ، وينغص العيش ، وعلى ذلك فإن الغزالي يدعو إلى تخصيص وقت يلعب فيه الطفل بعد أن يؤدي واجبه من الدرس : « فإذا ما انصرف الصبي ، فليؤذن له أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب . . فإن منع الصبي من اللعب ، وإرهاقه بالعلم ، يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش . . » .

وزن طبع الصبي وسبر قريحته

والطريف أننا نجد عالماً من علماء المسلمين يدعو منذ عشرة قرون إلى ما يعرف اليوم بفن « **التوجيه التعليمي** » وهو ذلك الفن الذي يعتمد على قياس ذكاء التلاميذ وتحديد قدراتهم ، واستعداداتهم العقلية ، ومعرفة ميولهم واهتماماتهم النفسية ، ثم توجيههم بناء على ذلك كله إلى نوع التعليم المناسب وهذا العالم هو **الطبيب الفيلسوف ابن سينا** (٣٧٠ ـ ٤٤٨ هـ) .

يقول ابن سينا : ليعلم مدبر الصبي أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية ، لكن ما شاكل طبعه وناسبه ، وأنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد ، بالطلب والمرام ، دون المشاكلة والملاءمة ، إذن ما كان أحدٌ غفلاً من أدب أو عارياً من صناعة ، وإذن ، لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف وأرفع الصناعات . . ولذلك نرى واحداً من الناس تواتيه **البلاغة** . . وآخر يواتيه **النحو** . . وآخر تواتيه **الخطب** . . وآخر يختار علم **الهندسة** . . وآخر يختار علم **الطب** . .

فينبغي ، إذن ، لمربي الصبي ، إذا رام اختيار الصناعة ، أن يزن أولا طبع الصبي ، ويسبر قريحته ، ويختبر ذكاءه ، ويختار له الصناعات بحسب ذلك .

الركود الثقافي والتدهور الفكري

لكن فترة طويلة من الركود الثقافي ، والتدهور الفكري تمر بالشرق العربي وكذلك بالغرب الأوروبي فيما يعرف بعصور الظلام والانحطاط ، تلك العصور التي استحال فيها الطفل — في المشرق والمغرب — أداة لحمل أسفار وكتب الأقدمين ، فثمة « متن » أو متون قليلة عليها شروح وتخريجات كثيرة ، وعلى الطفل أن يحفظ كل ذلك عن ظهر قلب ، وهي الطريقة التي عرفت باسم « **الطريقة التلقينية** » ، ولكن أوروبا تستيقظ فجأة من سباتها العميق ، وجمودها المدرسي ، على أثر الترجمات التي وصلتها لبعض كتب العرب عن طريق **إسبانيا وصقلية** ، ومن خلال الاحتكاك الفعلي في **الحروب الصليبية** . فكتب **ابن سينا والخوارزمي وابن الهيثم** تصبح من المراجع الأساسية ، وآراء **ابن رشد** ، وغيره من فلاسفة العرب والمسلمين تغدو موضع نقاش مستمر ، فكان ذلك إيذاناً بنهضة جديدة تعم سائر أوروبا وتمهيداً لعصر التنوير ، عصر العقل ، والروح العلمي ، الذي بشّر به **جاليليو وبيكون ولوك** وغيرهم .

عقل الطفل صفحة بيضاء

وكان « لوك » الفيلسوف الإنجليزي (١٦٣٢ — ١٧٠٤ م) هو صاحب العبارة التي تقول إن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء ، وهي عبارة تذكرنا بكلام الإمام الغزالي الذي سبقت الإشارة إليه . إلا أن « لوك » يأخذ بتفسير حسي مادي لنشاط العقل . فليس هناك في رأي « لوك » أصدق من الحس مصدراً للمعرفة ، ولسنا ، في رأيه ، في حاجة إلى مبادئ أولية مغروسة في عقولنا بالفطرة . فنحن ندرك معنى الحلو والمر ، ونفرق بينهما ، دون الحاجة إلى مبدأ الذاتية أو « عدم التناقض » الذي يحكم باستحالة أن يكون الشيء هو وضده في آن واحد . فالتجربة وحدها هي التي ستنقش على صفحة العقل المعاني والمبادئ جميعاً .

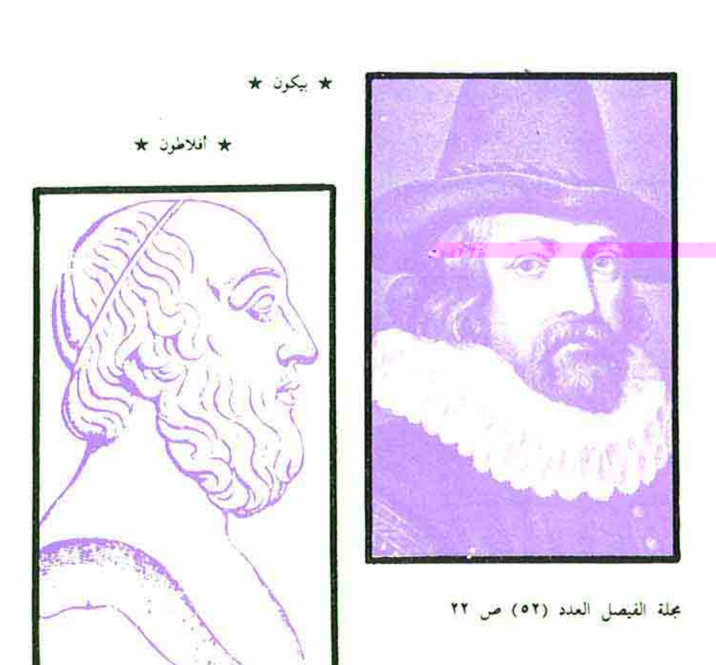
ومن سوء الحظ فإن أفكار « لوك » في الاعتماد على الحواس والملاحظة وإقامة التجارب لم تفهم فهماً سليماً ، والسبب في ذلك يرجع إلى ظهور نظرية أخرى وجدت من يدعو لها ويروجها وهي التي تعرف باسم « **نظرية الملكات** » . ومؤدى هذه النظرية : أن عقل الطفل يتكون من عدد من الملكات ، المنفصل بعضها عن بعض ، كملكة الإحساس ، وملكة التفكير ، وملكة الذاكرة ، . . . إلخ ، وأن الممارسة هي التي تشحذ هذه الملكات وتقويها . فأعادت هذه النظرية التأكيد على أهمية المعارف النظرية ، وحشو الذهن بها بدعوى أن في ذلك « تدريباً » هذه الملكات ، وصقلاً لها ، وتهيئة للعقل لحسن استعمال هذه المعارف في المستقبل ومن هنا شجعت هذه النظرية ، مرة أخرى ، على أسلوب التلقين والحفظ والتسميع .

ولعل من الطريف أن نلاحظ أن **ابن خلدون** في (القرن الثامن الهجري) كان ينقد طريقة حشو الذهن بالمعارف بحجة « المران على التعليم » ، فهو يعيب على معلمي عصره تقديمهم إلى الطفل « المسائل المقفلة من العلم » ، ثم يطالبون بإحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون ذلك مراناً على التعليم ، وصواباً فيه . . وتكون النتيجة — كما يقول ابن خلدون — أنك « تجد طالب العلم منهم ، بعد ذهاب الكثير من أعمارهم ، في ملازمة مجالس العلم ، سكوتاً لا ينطقون ولا يفاوضون ، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة . . » ، أما الطريق السليم في نظره ، فهي طريق « **المحاورة والمناظرة** » لأنها « أيسر طرق اكتساب ملكة الحذق في العلوم » .

اتجاهات التربية الحديثة

وبينما كانت « نظرية الملكات » تمارس تأثيرها ، وتجد من يدعو لها ويؤيدها بين رجال التربية والتعليم ، إذا بفيلسوف كبير يتصدى لها بكل قوة ، حينما يلاحظ أن الطفل ينوء بعبء ثقيل من المعارف والمحفوظات التي توشك أن تفسد عليه طبيعته ، بل وحياته ، سواء في حاضرها أو في مستقبلها . وهذا الفيلسوف هو « **جان جاك روسو** » (١٧١٢ — ١٧٧٨ م) صاحب **كتاب « إميل »** الذي أطلق فيه صيحته المشهورة : « **إن الطبيعة تتطلب منهم أن يكونوا أطفالا قبل أن يصبحوا رجالا** » .

ولذلك أخذ « روسو » طفله « إميل » بعيداً عن أبويه ، وعن المجتمع وعن المدارس ليربيه وفق قانون الطبيعة . ومن هنا بدأت تباشير الاتجاهات الحديثة في التربية . وظهر مربون يحققون دعوة روسو « في الاستماع إلى نداء الطبيعة في تعليم الأطفال ، في مقابل حشو الذهن



★ بيكون ★

★ أفلاطون ★

بالمعارف النظرية الجافة . وكانت دعوة روسو في العودة إلى « نبع الطبيعة » عودة إلى المفهوم الإسلامي للطفولة ، المرادفة للفطرة ، والتلقائية ، وتفاوت الطباع ، وتيسير كل امرئ لما خلق له . وقد وجدت هذه الدعوة صدى عظيماً ، ووجهت اهتمامات المربين وجهة مختلفة تماماً ، بدأت بها صفحة جديدة في الفكر التربوي وفي الطرق التعليمية التي تبدأ من « عند » الطفل نفسه .

ويمكن أن نلخص أهم معالم الاتجاهات الحديثة في تربية الأطفال فيما يلي :

(أ) إن عقل الطفل لا يستطيع أن يقوم بنفس الوظائف ، أو يعمل بنفس الكيفية التي يعمل بها عقل الراشد ، وإن نمو الطفل النفسي بصفة عامة يمر بمراحل متعاقبة متمايزة ، الأمر الذي يستوجب اختلاف أسلوب التنشئة الاجتماعية وطريقة التربية ، وكيفية التعامل مع الطفل بصفة عامة ، من مرحلة نمائية إلى مرحلة أخرى .

(ب) إن من الخطأ النظر إلى الأطفال على اعتبار أن ما يصلح لواحد منهم يصلح بالطبيعة للآخرين ، وبعبارة أخرى أن ننظر إلى الأطفال ، كما لو كانوا متماثلين في التكوين ، ومن ثم نعاملهم بدون تفريق .

(جـ) لا ينبغي النظر إلى الطفل كما لو كان جهازاً « ميكانيكياً » جامداً ، نحركه فيتحرك ، ونصب فيه من المعلومات والمعارف فيتقبلها حتى يمتلئ ؛ فلقد وجد أن للطفل فاعلية خاصة ، تحكمها استعدادات عقلية معينة ، وحاجات ودوافع بيولوجية ونفسية واجتماعية خاصة ، وأننا لا نستطيع أن نعطيه إلا بمقدار ، أي في حدود طاقته على الاستيعاب والفهم ، وفي ضوء حاجاته ودوافعه الخاصة كما أننا لا نستطيع أن نطلب منه أيضاً إلا بمقدار .

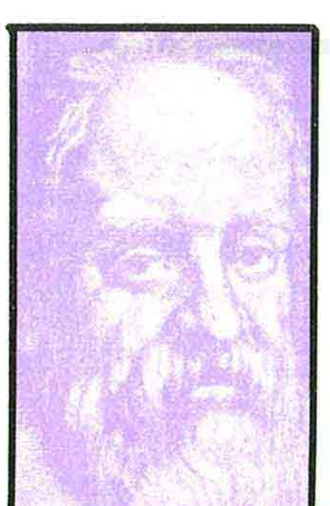
(د) ومن أهم معالم الاتجاهات الحديثة في تربية الأطفال ، أن نطلق استعدادات الطفل من عقالها تمارس نشاطها الذاتي وابداعها ، وأن تعبّر بحرية عن إمكاناتها الخاصة ، ثم علينا بعد ذلك ـ كآباء وأمهات ومربين ومثقّفين ـ أن نتلقف كل هذا ونوجهه ، الوجهة السليمة التي تلائم منطق النمو من ناحية ، وتتمشى مع قيم المجتمع وثقافته من ناحية أخرى .

(هـ) إنه لا يمكن أن ننشئ طفلاً سوياً متكاملاً ، بعيداً عن الجماعة ، والاندماج معها ، فالطفل كائن اجتماعي تواق إلى الاتجاه إلى الجماعة والتشبه بها والانتماء إلى عضويتها .

وقد دفع هذا كثيراً من المربين إلى أن يجعلوا من المدرسة صورة مصغرة من الحياة الاجتماعية ، كما تحدث خارج جدران المدرسة . بل نادى بعضهم بأنه لا ينبغي أن تكون جدران المدرسة حاجزاً يحول دون اتصال الأطفال بما يجري خارجها ، والمشاركة في مختلف ألوان النشاط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي بالصورة التي تلائمهم ، وبالقدر الذي يربطهم بمجتمعهم وبيئتهم لممارسة أدوارهم الاجتماعية بنجاح في مستقبلهم القريب .



★ ابن سينا ★



★ جاليليو ★

والخلاصة

إن المفهوم السائد عن الطفولة في العصور القديمة كان يجعل من الطفل صورة مصغرة من الرجل ، وإن على المربي أن يهيئه لحياة الكبار منذ الصغر . وحينما ظهرت المسيحية ، ومعها فكرة الخطيئة الأولى ، فإنها تصورت الطفل حاملاً ، منذ بداية ميلاده ، لبذور الشر والانحراف ؛ ومن ثم فإن على المربي أن يتعهده بالتقويم والإصلاح ، منذ الصبا الباكر ، فيأخذه بالشدة والقسوة ، ويدربه على تحمل المتاعب والآلام كسبيل لتطهير النفس وخلاصها من الآثام .

ولقد كانت نظرة الإسلام إلى الطفولة مرادفة للفطرة ، والتلقائية وتفاوت الطباع ، واختلاف القدرات ، ومن ثم ؛ فإن على المربي أن يأخذ الطفل بما يلائمه من العلوم والفنون والصناعات بعد أن يزن طبع الصبي ، ويسبر قريحته ، ويختبر ذكاءه ، كما يقول ابن سينا ، ودون أن يكلف الصبي بما يزيد على طاقته ، وبحيث يترك له وقتاً للراحة واللعب ، كما يقول الغزالي ، لأن منع الصبي من اللعب ، وإرهاقه بالعلم ، يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش .

وبالرغم من مرور قرون طويلة من الركود الثقافي والتدهور الفكري ، سواء في المشرق العربي الإسلامي ، أو في المغرب الأوروبي المسيحي ، إلا أن الفكر التربوي الحديث الذي بشر به « روسو » في القرن الثامن عشر واستمرت مبادئه الأساسية حتى وقتنا هذا ، جاء معبّراً أصدق تعبير عن المفهوم الإسلامي للطفولة ، ومؤكداً لسلامة النهج التربوي الإسلامي .

فأحرى بعلمائنا في التربية أن يعيدوا النظر في تراثهم وأن يستخرجوا جواهره المكنونة ، وأن يعبروا عما فيه من أصالة ، وأن يقيموا فلسفاتهم التربوية بدءً من هذا التراث ، وأن يشتقوا برامجهم وطرقهم التربوية من بعض العناصر الإيجابية التي نجدها في تراثنا ثم يطوعونها لمعطيات العلوم التربوية والنفسية المعاصرة .

كل أعداء الفصحى من الصليبيين سواء أكانوا أوروبيين أم كانوا عرباً من مصر ولبنان من أمثال وليم ولكوكس الإنجليزي وسبيتا الألماني وسلامة موسى ولويس عوض المصريين وسعيد عقل وأنيس فريحة اللبنانيين يتهمون اللغة العربية الفصحى بالازدواجية والانفصام ، ويقصدون بهما وجود لغتين : إحداهما العامية الدارجة التي يتخاطب بها العرب جميعاً فيما بينهم ، والأخرى الفصحى المقصورة على القلم والكتاب .

★ أنيس فريحة ★

ازدواجية

يقول **سلامة موسى** في كتابه « **البلاغة العصرية** » صفحة ١٤٧ : « يجب ألا يكون للمجتمع لغتان : إحداهما كلامية أي عامية ، والأخرى مكتوبة أي فصحى كما هي حالنا في مصر » .

ويقول **أنيس فريحة** في صفحة ٤٠ من كتابه « **نحو عربية ميسرة** » : « تنحصر مشاكل اللغة العربية الأساسية في أربعة أمور : وجود لغتين مختلفتين : عامية وفصحى » إلخ .

وقد سبقهما **ويلهلم سبيتا** فقال في كتابه المسمى « **قواعد اللغة العامية في مصر** » :

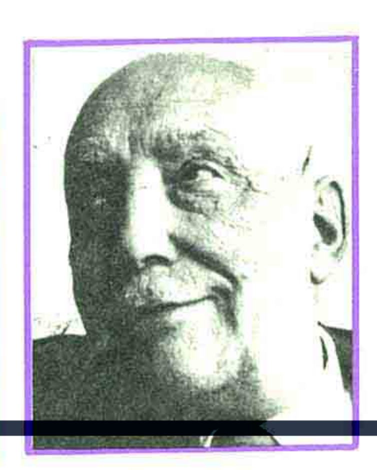
« كل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يعرف إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة » .

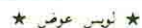
ويقول **سعيد عقل** في مقال له منشور بجريدة « النهار » البيروتية :

« نواجه معركة اللغة فنخوضها غير هيَّابين . **إن ناموس الإفصاح يقضي بأن يحل لسان النطق محل لسان الكتاب ، ولسان الكتاب هذا الذي حنا عليه لبنان وأبلغه أشده ولقن العرب كيف اطلاع التحفة فيه .. إلخ** » .

هؤلاء أربعة من أئمة الدعاة إلى العامية وغيرهم مثلهم مجمعون على أن عيب العربية والعرب وجود لغتين في مجتمعاتهم : إحداهما لغة الخطاب الدارجة ، والثانية **لغة الكتاب** التي لا يحسنها إلا من تعلموها وأتقنوها . وهؤلاء أنفسهم لا يتحدثون فيما بينهم بالفصحى ، وإنما يتحدثون بالعامية التي هي لغة تخاطبهم في البيت والسوق والنادي والمدرسة وفي المعهد والجامعة .

وهذي دعوى من دعاوى أعداء الفصحى الكثيرة ، إذ يزعمون أن العرب وحدهم دون كل الأجناس يستعملون لغتين متغايرتين : عامية وفصحى ، وأما غيرهم من الأمم فلهم لغة واحدة في الخطاب والكتاب .





★ سلامة موسى ★

★ لويس عوض ★

وقبل أن نفند هذه الأبطولة نقول لأصحابها مجاراة لهم : قبلْنا دعواكم وسمعنا أن لدى العرب دون الناس لغتين : عامية وفصحى ، فماذا ترون ؟ .

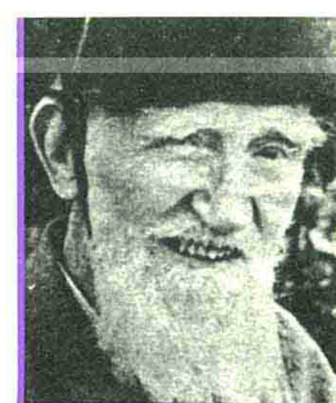
ويرون أن ندع الفصحى لأن الشعب لا يحسنها ، ونأخذ العامية ونتخذها لغة العلم والكتابة ، وبذلك نقضي على ما يسمونه « الازدواجية » .

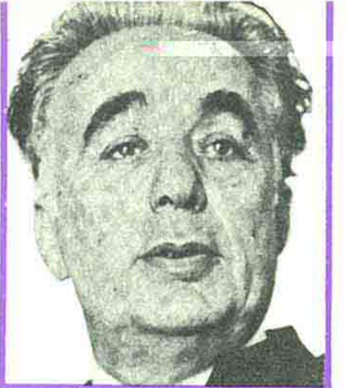
والآن ، وقد رأوا التمسك بالعامية على زعمهم أنها لغة الشعب ولغة الحياة نسألهم : أي عامية نختار ؟ .

يجيب سعيد عقل : عامية زحلة ، وليس ما نسبناه إليه قالة لم يقلها ، بل كتب منذ زمن مقدمة ديوان شعر بعامية زحلة .

وإذا رضينا بأن نجعل كل شعوب الأمة العربية عامية زحلة لغة الأدب والعلم والكتابة والفلسفة والفن فهل يفهمونها ، عندما كتب سعيد مقدمة ذلك الديوان بعامية زحلة مات في كل لبنان ، بل لم يُعرف في « شتورة » التي لا تبعد عن زحلة غير ميل .

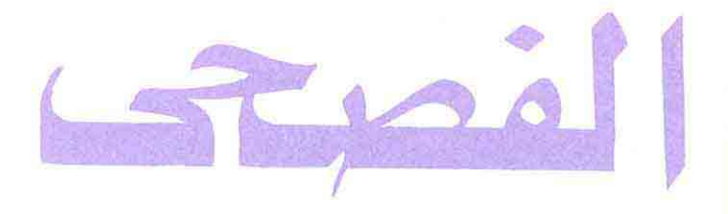
ولن يرضى سلامة موسى بعامية زحلة ، بل هو يختار عامية شارع







★ برناردشو ★ ★ سعيد عقل ★



الفصحى

بقلم : احمد عبد الغفور عطار

الدواوين قرب ميدان «لاظ أوغلي» لأنه كان يسكن فيه سنة ١٩٣٦م ، وما بعدها ، وهي تختلف عن عامية شبرا وباب الحديد .

وهكذا يختلف الدعاة ولا يتفقون على لغة واحدة من هذه العاميات الكثيرة ، وكلها لا يمكن أن تكون لغة القلم والكتاب .

ونحن لم نكتب هذه الكلمة لتفنيد أبطولة الدعوة إلى العامية ، وهذا نتركها لنواجه دعواهم أن العرب وحدهم هم الذين لهم لغتان : فصحى للكتابة والعلم ، ولغة للخطاب هي العامية .

ومن كثرة ترددهم هذه الفرية صدقها بعض الكتاب والمثقفين من العرب وأخذوا يرددون وينادون بالويل والثبور من هذه الازدواجية التي تفردت بها لغة العرب دون سائر اللغات .. أفصحيح ما زعمه الزاعمون من أعداء الفصحى وما ردده مصدقوهم المخدوعون ؟.

إن سلامة موسى ولويس عوض يحسنان الإنجليزية وتعلما في بريطانيا ، ويعرفان حق المعرفة **أن للإنجليز لغتين : عامية وفصحى ، مثلهم مثل العرب ، وكل لغات العالم ــ دون استثناء ــ مثل العربية .**

بل يعرف الدعاة ممن يحسنون الإنجليزية كسلامة موسى ولويس عوض أن العامية الإنجليزية في لندن تختلف باختلاف الأحياء والطبقات ، ثم إن عامية الأدباء والشعراء وأساتيذ كليات الآداب واللغة ليست مثل عامية الصحفيين ، مع أنهم جميعاً من طبقة المتعلمين والمثقفين .

ولا يمكن أن يتصور مثقف ــ مجرد تصور ــ أن لغة الأديب المشهور **جورج برنارد شو** الإنجليزية هي لغة الشارع ، بل لا يمكن أن نتصور أن الإنجليزية أو الفرنسية فصيحة خالصة ، وليس لها عامية دارجة .

وما من لغة على وجه الأرض إلا وفيها فصحى للكتابة والعلم ، وعامية للمخاطبة الدارجة ، وإلا لكان الناس متقاربين في الفصاحة والبيان ، وهذا غير واقع ، بل يتعذر وقوعه .

وأعداء الفصحى حينما يزعمون أنها اللغة الوحيدة التي تختلف عن غيرها من اللغات في مسألة اختلاف لغة القلم والكتاب عن لغة الخطاب إنما يفترون الكذب على العربية وهم يعلمون .. **وإذا كان في العربية فصحى وعامية فكذلك كل اللغات شأنها شأن لغة العرب ، وما هي بشاذة بين اللغات .**

يقول **الأستاذ عباس حافظ** ــ أحد كبار المترجمين من الإنجليزية إلى العربية في العالم وليس في مصر وحدها أو العالم العربي وحده ــ في مقال له منشور بمجلة «الإذاعة المصرية» سنة ١٩٥١م :

« إن أرقى شعوب الأرض تكتب بلغة تغاير لغة الكلام ، ومن يظن أن الإنجليز أو الفرنسيين أو الروس أو الألمان يكتبون كما يتكلمون يخطئ الخطأ كله ، فإن هؤلاء أيضاً لغة كلامية أو كلاماً دارجاً أو طريقة سخيفة في التعبير لا تستقيم إذا كتب بها ، ولا تكفي للتأدية البارعة ، ولا تصلح للإنشاء والوصف والترسل والاستطراد المطلوب في الأدب الرفيع » .

ومع وجود لغة عامية ولغة فصحى في الإنجليزية وغيرها من اللغات الحية **فإن أولئك الناقمين على العربية الفصحى الداعين إلى هجرها واتخاذ العامية بدلا عنها كذبوا على أنفسهم وعلى الناس حينما خصوا العربية وحدها دون سواها بوصمة الازدواجية** ، لأن أهلها يتخذون الفصحى حينما يكتبون ، والعامية حينما يتحدثون .

إن أعداء الفصحى لا يجهلون هذه الحقيقة التي تعد من البديهيات ، بل يعلمون حق العلم أن الإنجليزي يكتب بلغة ويتكلم بأخرى ، وكذلك الألماني والروسي والفرنسي ، ولكن عداءهم للإسلام والقرآن دفعهم دفعاً إلى معاداة لغتهما الفصحى واختلاق الأكاذيب عليها في جراءة وقحة لا مزيد عليها ، مع أن لكل شعب من شعوب هذا العالم لغتين : فصحى وعامية .

فلماذا لا يعادي خصوم العربية لغات الأوروبيين ؟ أليس لديهم فصحى للكتاب ، وعامية للخطاب ؟ **ولماذا يقصرون اتهامهم للغة القرآن دون كل اللغات ؟ ولماذا لا يعلنون الحرب إلا على اللغة العربية ؟ ألأنها لغة الإسلام ولغة القرآن .**

نعم ، إن سبب عدائهم للعربية الفصحى عداؤهم للإسلام وكتابه المجيد ورسوله العظيم محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

ومع أن الدعاة أعلنوا الحرب على اللغة العربية في زمن كان العرب مستعمرين فيه لأعدائهم فإن محاولاتهم زهقت وأخفقت دعواهم فهلكت الدعوة والدعاة وبقيت العربية عزيزة قوية مرفوعة الذكر .

ولما كان الله عز وجل قد تعهد بحفظ كتابه فقد صارت العربية محفوظة بحفظ الله كتابه ، وتلك معجزة القرآن الكريم وسعت لغة الفصاحة والبيان .

شعراء من السعودية

ينتمي ديوان (وحي الحرمان) باسمه ومضمونه إلى مدرسة فنية لها مكانتها في الشعر العربي المعاصر ، وهي مدرسة الشعر الوجداني ، وقد تصدر صفوفها رعيل من الشعراء اختلفوا منهجاً واتحدوا غاية ، وشغلوا بقضايا الوجدان والذات في محاولة منهم إلى إرجاع الشاعر إلى نبعه الأصيل وهو ذاته وأعماقه ، ولم يكن الشعر لديهم وليد مناسبات ، كما لم يكن ورقة مزركشة ترفع لعظيم أو كبير .

التيار الوجداني .. في

والحق أن **شعر الأمير عبد الله الفيصل** هو حصيلة تأثر فني بصيحات التجديد في المضمون لدى جماعة التجديد الذهني[1] المسماة ـ وهماً وتجاوزاً ـ **جماعة الديوان** ، لدى فرسانها الثلاثة : **عبد الرحمن شكري** (١٨٨٦ ـ ١٩٥٨ م) ، **وعباس محمود العقاد** (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤ م) ، **وإبراهيم عبد القادر المازني** (١٨٩٠ ـ ١٩٤٩ م) ، الذين تقاربوا مولداً ، وتباعدوا وفاة بمقدار ما تقاربوا في بداية نهضتهم الأدبية وتباعدوا في آخرها .

كما أن شعر عبد الله الفيصل حصيلة تأثر فني بصيحات **جماعة أبولو**[2] ، واتجاههم الوجداني ، وشعراء **رابطة الأدب الحديث**[3] ، **وشعراء المهاجر** .

وهذا الاتجاه الوجداني أعم من قولنا الاتجاه الرومانسي[4] ، وإنك لتجد في شعر عبد الله الفيصل كثيراً من النبض الذاتي سواء في ضمير المتكلم من مثل قوله[5] :

- إني وريتك في هواك موحِّد
  إنْ كان عندك في الهوى توحيد
- أشدو بذكرك والغرام يسوقني
  لنهاية في الحب وهي بعيد
- تساءلني العواذل ما اقتراحي
  وأنت على الزمان مدى اقتراحي
- قضيت على حبي قضيت على ودي
  وأنت التي قد كنت أزري بها زندي

أو في **مسحة الحزن**[6] من مثل قوله مما يقرن فيه بين الخريف والحزن في قصيدة (طلائع خريف) :





★ الأمير عبد الله الفيصل ★

★ المازني ★



شعر عبد الله الفيصل

بقلم: د. يوسف نوفل

من لي بـه ويـد الخريف
تـذوي أزاهـير الـربيع

أو الحب والوجد ، وهو سمة عامة في شعره كله من ذلك قصيدته (لوعة)[٧] :

ألاقي في عـذابك مـا ألاقي
وحبك في حنـايا القلـب بـاق
وتُسرف في الصدود وفي التجني
وأسرف في التيـاعي واشتياقي

وفي قصيدته كنا وكان[٨] :

يـا حبيبي أيـن تلك الأمسيـاتْ
يوم كنـا مـن هـوانا في سبـاتْ

يـا حبيبي كيف ذاك الحـب مـاتْ
عنـدما دبّـتْ بـه روح الحيـاةْ

أو الحب العذري مثلما نجد في قصيدته حلم الهوى العذري[٩] :

وسـاحرتي بعينيهـا
وروح كالسَّـنا يسري
وبـالبسمات مـن ثغـر
شـهي بـالهوى يُغـري

إلى أن يقول :

.. أنـت الحـاني

وحلمـي في الهـوى العـذري

أو **الشك**، ونسوق لذلك قصيدته عـواطف حـائرة[10] في آخـر مقالنـا.

أما الشعر عنده فمن إلهام حبيبة:

● ففيـك للقلـب أهـواء مجمّعـة

وفي لقائك دنيـا **الشاعـر** الشـاكي[11]

أقصى أمانيَّ لـو تبـدين بـاسمة

أستلهم **الشعـر** مـن بـاهي محيـاكِ

● دعوت **الشعر** فيك فما عصاني

ولان قيـاده بعـد الحـران[12]

● ودعـت أيـام الـربيع النـاضر

ودفنـت آمـالي ووحـي خـواطري[13]

ووأدت مـا في القلـب مـن ذكر الصبا

ونفضت عـن ذهـني خيـال الشـاعر

وينبغي ألا يـدفعنا ذلك إلى الحـكم بـأننا إزاء شـاعر رومانسي فحسب، بل نحن أمام تيار وجداني دافق، آية ذلك أننا نرى أنفسنا إزاء شعر وجداني لا يخرج عن هـذه الـدائرة إلا إلى قصيدة واحدة هي قصيـدة «شباب بـلادي»[14] الـتي مازجها ـ أيضاً ـ وجدان وطني.

ولعل الشاعر قد آمن فنياً ـ مع غيره من الشعراء ـ بما دعـا إليـه العقاد ورفيقاه شكري والمازني من الشعر النابع من الوجدان، حيث تكون معاني الشاعر بناته من لحمه ودمـه كما يعـبر العقـاد في مقـدمة (لآلئ الأفكار)[15]، وبما عبر عنه شكري في مقدمة ديوانه (زهور الـربيع) مـن أن الشعر كلمات تخرج من النفس[16].

وبما يؤكد أننا أمام **شـعر اللمحـة الـوجدانية أو البـارقة الوجدانية** ـ إلى ما تقدم ـ أنك تجد قصائد ديوان (وحي الحـرمان) قصاراً، يراوح معظمها بين القـوافي المتعـددة في شـكل ربـاعيات أو ثلاثيات. ولعل أطولها كان في عشريـن بيتـاً، وأقصرهـا كان في ثمـانية أبيات، إذ يجد الشاعر نفسه إزاء دفقة شعورية تجد طريقها في ثنايا تجربة شعرية يعيشها الشاعر بعمق وصـدق، فتجـيء في كـمٍّ مـن الأبيـات متقارب ما بين العشرين والثمانية تقريباً.

أما **الوزن الشعري** فنرى بحر الكامل (متفاعلن) وبحـر الـرمل أو مجزوءه [تفعيلة: فاعلاتن] أثيرين لدى الشاعر يـكثر ورودهمـا في شعـره



★ العقاد ★

أكثر من أي بحر آخر، كما نجد للشاعر قصائد شـاعت في الغنـاء العربـي الحديث من مثل قصائده: **ثورة الشك** (عواطف حائرة) وسنسوقها في نهاية مقالنا، **وسمراء**[17] ومطلعها:

سمـراء يـا حـلم الـطفوله — يـا منية النفس العليلـه

وهل تناسيت[18] ومطلعها:

ليتـه يعـرف المللْ — دائم الخفـق لم يـزل

هـذه الهجر فـانبرى — يقتـل اليـأس بـالأمل

إلى جانب قصيدتيه: **يا مالكاً قلبي، ومن أجل عينيك**.

ومما يؤكد تيار الوجدان في شعره أننا نـرى اسـم الـديوان (**وحـي الحرمان**) ولقب مؤلفه (**محروم**)، وكـان الإهداء: (إلى الذين شاركوني في لذة الحرمان)[19]، وصُدِّر الديوان بمقدمتين نثريتين إحداهما **لصلاح لبكي** بعنوان (هذا المحروم)[20] والثانية للشاعر نفسه عنوانها (أجل أنـا محروم!)[21].

والحرمان هنا رافد من روافد التيـار الـوجداني عنـد الشـاعر، وعلى الرغم من أن قصائد الديوان لم يحمل منها عنوان الحرمان، أو مـا اشـتق منه إلا قصيدة واحدة هي (أمل المحروم) التي سنسوقها في آخـر مقـالنا، فإن الحرمان هو المعنى السائد والمضمون العام للديوان كلـه، فما الـدافع إلى ذلك؟ وهل لشيوع الإحساس بالحرمان في شعره صلة بدوافع ذاتية أم يرجع، في أصله ـ إلى نزعة فنية لديه؟

إن المقدمة التي احتلت الصفحات الأولى مـن الـديوان هـدفت إلى التعريف بالشاعر ومنزلته الاجتماعية، وإلى الإشارة إلى غـربتي الشـاعر: «غربة نفسه مع الأرض»، و«غربة مؤاخاته لمن لا يعرف مدى الصـدق في مؤاخاتهم له»[22].

أما الشاعر فيذهب ـ في مقدمته ـ إلى الاستناد إلى الحكم الـظاهر على الإنسان، لذا يشير إلى الصفحة الكامنة من تاريخ حياته.. يقول:

«فأنا لم أولد وفي فمي ملعقة من ذهب كما يظن الكثيرون»، ثم يمضي في تصوير نشأته الأولى، وكيف باعدت ظروف المرحلة بينـه وبـين أبيـه، وكيف لمع الصبا في نفسه ومعه أحاسيس وعـواطف لم يستطع كبتهـا، وعجز عن تحقيقها!.. يقول:

«فتركت في نفسي أبلغ الأثر من الحرمان ـ حتى الآن»، ثم يمضي بنا يعرفنا على مراحل نشأته الغضة في كنف جده، وعلى ربى نجد، وفي

الحجاز ، وفي مدرسة من مدارس الحي ، ثم في مدرسة الحياة حيث كان أستاذه فيها والده . أما ديوانه فكما يقول :

« صورة من شعوري وإحساساتي المختلفة كما هي ، لم يجملها التزويق ، ولم تلونها الأصباغ لأنني أريد أن يكون « صورة طبق الأصل » لحياتي ، وصدىً حقيقياً لشعوري وعواطفي . . . »[٢٣] .

وباستعانتنا بتلك الومضات من مقدمة الشاعر ما يؤكد ما تنتهي إليه دراسة شعره [والاهتمام بدراسة مقدمات القصائد ومقدمات الدواوين جزء من منهج ندعو إليه في دراسة النص الشعري] .

ومن معنى الحرمان هذا يسوق **الشاعر السعودي محمد سراج خراز** قصيدة يقول فيها[٢٤] :

يا شاعر الحرمان . والحرمان ملهبة الشعورْ
ما أبصرتْ عيناي حرماناً كحرمان الأمير
في كفِّه الدنيا ، وأسمع منه أنّات الأسير

★

ماذا أقول إذن إذا رمت الشكاة وأي شكوى
قد كان في نفثات « محروم » عزاء لي وسلوى

★ ★ ★

ونقتصر من القصيدة على هذه الأبيات التي تقفنا على جذور الحرمان والاغتراب واتصالها الوثيق بتيار الوجدان ، وفي ذلك كله نجد أنفسنا أمام شاعر وجداني تقوم التجربة الشعرية عنده على صدق فني .

ونسوق في ختام مقالنا ما وعدنا بالاستشهاد به وهما قصيدتاه : عواطف حائرة ، وأمل المحروم .

قصيدة « عواطف حائرة »[٢٥]

أكاد أشـكُّ في نفسي لأنّي
أكادُ أشـكُّ فيك وأنت منّي
يقول الناسُ إنك خنتَ عهدي
ولم تحفظْ هواي ولم تَصُنّي
وأنت مُناي أجمعُها مشتْ بي
إليك خُطى الشبابِ المطمئن
وقد كاد الشبابُ لغيرِ عَوْدٍ
يُوَلِّي عن فتىً في غير أمْن
وها أنا فاتني القدرُ الموالى
بأحلام الشبابِ ولم يَفُتني
كأنَّ صِباي قد رُدَّتْ رؤاه
على جفني المسهَّد أو كأني
يكذِّب فيك كلَّ الناس قلبي
وتسمع فيك كلَّ الناس أُذني
وكم طافتْ عليَّ ظِلالُ شكٍّ
أقضَّتْ مَضْجعي واستعبدتني
كأني طاف بي ركبُ الليالي
يُحدِّث عنك في الدنيا وعني
على أنّي أغالط فيك سمعي
وتُبصرُ فيكَ غيرَ الشكِّ عيني
وما أنا بالمصدِّق فيك قولا
ولكني شقيتُ بحُسْن ظني
وبي مما يساورُني كثيرٌ
مِنَ الشّجَن المؤرِّقِ لا تدعني
تعذَّبُ في لهيب الشكِّ روحي
وتشقى بالظنون وبالتمني
أجِبْني إذ سألتُك هل صحيحٌ
حديثُ الناسِ خنتَ؟ ألم تخُني؟

قصيدة « أمل المحروم »[٢٦]

يا صغير السن يا مُرْهَفَه
شوقُ مَنْ جافَيْتَهُ أتلَفَهُ
إنْ تكنْ تقوى على طول النوى
فهْو في بُعدك ما أضعفَه!
أو تكنْ لا تعرفُ الوجدَ الذي
لم يُبْقِهُ آنَ أنْ تعرِفَهْ
فلقد أدْنيتَه من حَتْفِه
وسوى وصْلِك لن يُسعفَه
أنتَ قلبٌ يُبْذَل الوعد له
فإذا استنجزَه سَوَّفَه
وجبينٌ مُشْرِقٌ مُؤتَلِقٌ
مَنْ رآه مرةً أدْنَفَه

وقَـوَامٌ يتهـادى في الـــرُّبى
فيقــول البــانُ مــا أهْيَفَــــه

وفَمٌ لــو قــال مَــنْ يَنْعَتُــه
هــو كالعُنّــاب مــا عَــرَّفَه

وثنـايا لـؤلؤ مُـؤتلفٍ
ألِـقٍ سُبحان مَـنْ ألّفَه

وعلى صـدرك لحنـاً غَـردٍ
كَلَّفَ الـترجيع مـا كلّفَــه

وبـأردافِك حـادٍ صَـلِفٌ
مُثقـلٌ خـطوَك مـا أصـلفَه!

فجميلٌ منـك بعـدَ الـظُّلْم يـا
أمـل المحـروم أن تُنصِفَه

في القصيدتين يتجه **المعجم الشعري** عند عبد الله الفيصل في التيار الوجداني فنجد الوجد والشجن المؤرق في البيت الثالث من أمل المحروم، والثاني عشر من عواطف حائرة، ونجد الشوق والدنف والتسهيد في البيتين الأول والسادس من أمل المحروم، والسادس من عواطف حائرة.

وكلتا القصيدتين تقومان على التوجّه إلى مخاطب. بل تستندان إلى كاف الخطاب، ووسيلة الأولى منها – إلى جانب كاف المخاطب – فعل الأمر «أجبني» وهو يقابل أداة النداء في القصيدة الثانية.

ونتصور أن مخاطبة الغائب، أو بمعنى آخر استحضار المفقود، وتخيل حضوره ثم مخاطبته، أقوى وجدانياً من مخاطبة الحاضر الموجود، إذ في [illegible] من سمات التيار الوجداني عند شاعرنا.

يبق – بعد ذلك – أن نقول إن قصيدة عواطف حائرة بالرغم من كونها لم تحمل اسماً من أسماء الحرمان كانت أشد دلالة على ذلك من القصيدة الوحيدة التي حملت اسم الحرمان مما يؤكد ما سبق أن ذكرناه في مقالنا هذا من أن الحرمان هو «المعنى السائد والمضمون العام للديوان كله»[27].

الهوامش

(١) سميت مدرسة الديوان نسبة إلى كتيب صغير أصدره العقاد والمازني في يناير وفبراير (كانون الثاني وشباط) عام ١٩٢١م، في جزءين ودار – في معظمه – حول علمين للنثر والشعر آنذاك هما: المنفلوطي وشوقي. بل هاجم فيه المازني رفيقه شكري!! وسماه صنم الألاعيب.

(٢) بعد صدور العدد الأول من مجلة أبولو اجتمع الشعراء في كرمة ابن هانئ بالجيزة – وهي منزل شوقي – يوم الاثنين ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٢م، وتم بذلك أول اجتماع لجمعية أبولو برياسة شوقي الذي مات بعد ذلك بأربعة أيام.

(٣) أنشأها إبراهيم ناجي عام ١٩٤٤م، وضمت طائفة من الشعراء العرب منهم ناجي والسحرتي والصيرفي من مصر، ومحمد سعيد العامودي، ومحمد العامر الرميح وفلاطي من السعودية.. إلخ.

(٤) يذهب عبد الله بن إدريس إلى اعتبار عبد الله الفيصل رائد النزعة الرومانتيكية في الشعر النجدي المعاصر، وأحد أقطاب الشعر العاطفي في العالم العربي (شعراء نجد المعاصرون ط١ ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م، ص ٨٧).

(٥) وحي الحرمان، الأصفهاني ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، ص ١٠٧، ١٠٨ وص ١١٦، ١١٩.

(٦) ص ٢٧. (٧) ص ١٠٢. (٨) ص ٦١.
(٩) ص ٦٤. (١٠) ص ٥٤. (١١) ص ٢٢.
(١٢) ص ٢٦. (١٣) ص ٨١. (١٤) ص ٤٨.
(١٥) صدر عام ١٩١٣م، ص ١٠٤. (١٦) صدر عام ١٩١٦م، ص ٢٨٨.
(١٧) ص ٥٨. (١٨) ص ٩٤.
(١٩) ص ٣. (٢٠) ص ١٥.
(٢١) ص ١٢ – ١٩.
(٢٢) ص ٦.
(٢٣) ص ١٩.
(٢٤) في ديوانه غناء وشجن، ط ١٩٧٧م، ص ١٦ – ١٨.
(٢٥) وحي الحرمان ص ٥٤ – ٥٧.
(٢٦) نفس المصدر ص ١٢٨ – ١٣٠.

(٢٧) ولد الأمير عبد الله الفيصل بالرياض في الخامس من ذي الحجة سنة عام ١٣٤١هـ، ونشأ في كنف جده المغفور له جلالة الملك عبد العزيز، وتولت والدته تربيته، ثم صحب والده المغفور له جلالة الملك فيصل في الحجاز حيث أتم تعليمه وتكوينه وتنشئته.

صدر ديوانه وحي الحرمان في طبعته الأولى عام ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م، عن رابطة جمعية القلم في بيروت، ثم ظهرت طبعته الثانية بالقاهرة عام ١٩٥٩م، ثم صدرت طبعة حديثة بجدة عن دار الأصفهاني عام ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م. له أيضاً خريف العمر عام ١٩٦٢م، ووحي الحروف عام ١٩٦٥م.

ممن كتبوا عنه: طه حسين، من أدبنا المعاصر، وعبد الله بن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ص ٨٦ وما بعدها، والحقيل، الشعر الحديث في جزيرة العرب ص ١٢١، وعبد السلام الساسي، الموسوعة الأدبية ج ٣، وأحمد قبش، تاريخ الشعر العربي الحديث ص ٦٤٥ وغيرها، ومحمد العيد الخطراوي، شعراء من أرض عبقر، ومحمد دمياطي، رحلة إلى الأعماق، والدكتور عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، وغيرهم.

تكنولوجيا المعلومات في شؤون الحياة



بقلم :
د. سعد الحاج بكري

في حياة كل إنسان على مدى العصور والأزمان وقفات تأمل وتفكر تسبق إقدامه على أداء عمل أو تكوين رأي أو إصدار قرار . وإذا كانت المجتمعات تعتمد أساساً في مكانتها وعطائها على قدرات وقيم الأفراد ، فإن مساهمة أي فرد في خدمة مجتمعه هي في قيامه بأفضل الأعمال ، واستنتاجه لأصوب الآراء ، واختياره لأكثر القرارات فاعلية في تحقيق الأهداف المرجوة . ولا شك أن توجه أي فرد في أي شأن من شؤون الحياة المختلفة يعتمد على المعلومات المتاحة له في هذا الشأن . فهذه المعلومات هي مادته في التأمل والتفكر قبل المضي قدماً في التوجه نحو غرضه المنشود بالطريقة التي يراها مناسبة . وتغير المعلومات في أية قضية كانت يؤدي إلى تغير الآراء والقرارات لدى نفس الشخص حتى وإن لم تتغير أهدافه أو وسائله . ولا شك أن شمولية المعلومات ، ومتابعة ما يستجد منها نصف الطريق نحو تبني الآراء السليمة وإصدار القرارات الحكيمة . من هنا تأتي أهمية الحديث عن أثر تكنولوجيا المعلومات في قضايا الحياة المعاصرة .

وللحديث في مسألة تكنولوجيا المعلومات ، لا بد من تعريفها من خلال ما يقصد بالتكنولوجيا بصورة عامة . فالتكنولوجيا عامة هي البحث عن الوسائل المفيدة باستخدام المعارف المختلفة . وتقترن كلمة تكنولوجيا عادة بكل ما هو محسوس وملموس من نتاج الصناعة . وقد شملت التكنولوجيا قضايا لا حصر لها كصناعة السيارات والطائرات ، ورصف الطرق والإنارة وغيرها . وما مسألة تكنولوجيا المعلومات إلا واحدة من هذه القضايا التي شملها الاهتمام بالبحث عن وسائل مفيدة . **وتكنولوجيا المعلومات بكلمات قليلة هي إيجاد الوسائل التي تسهل تسجيل المعلومات وحفظها وتبادلها وجعلها متاحة لطالبيها بسرعة وفاعلية** . وقد مرت تكنولوجيا المعلومات عبر الزمن بعدة مراحل ، حيث كانت **الكتابة** هي أولى وسائلها ، ثم جاءت **الطباعة** وتلتها شبكات **الاتصالات** التي تساهم اليوم مع **الحاسب الآلي** في تحقيق المزيد من التقدم في عالم المعلومات .

ويعتبر أول تسجيل للمعلومات هو بداية تاريخ البشرية . ولا شك أن المعروف من أحداث العالم في الماضي هو ما نقلته الكتابات عبر الزمن ، أما ما لم تنقله فقد طواه النسيان . وقد ظلت الكتابة اليدوية هي الوسيلة الوحيدة لتسجيل المعلومات مئات من السنين . ولكن مع تقدم العلوم والمعارف راح الإنسان يبحث عن وسائل جديدة تمكنه من نشر ما يريد من معلومات على أوسع مدى . وكانت الغاية هي إيجاد الطرق لنسخ [illegible] مقال لتوزيعها على أكبر عدد من الناس . وهكذا ظهرت حروف الطباعة ، ويقال إنها بدأت في **الصين** قبل أن تعرفها أوروبا في القرن الخامس عشر الميلادي على يدي **جوتنبرج** .



وكانت عملية الطباعة تجرى يدوياً بعد ترتيب الحروف بالشكل المطلوب إلى أن جاء **كورينيج** في القرن التاسع عشر الميلادي ليستخدم الآلة البخارية بدلا من الجهد اليدوي . ثم تقدمت الطباعة ، وساهمت [illegible] وير الضوئي في دفعها إلى الأمام . وعلى ذلك فقد كان للطباعة أثر كبير في تسهيل الحصول على المعلومات ، حيث ظهرت الصحف والمجلات وانتشرت الكتب والمكتبات وحققت تكنولوجيا المعلومات تقدماً بارزاً في جعل الكثير من المعلومات متاحة لكل

راغب .

وقد أدى ظهور الاتصالات السلكية واللاسلكية في القرن التاسع عشر وتطورها السريع بعد ذلك إلى تحقيق المزيد من التقدم في تكنولوجيا المعلومات . فقد أتاحت هذه الاتصالات للكثير من الناس تبادل المعلومات والآراء عبر الأسلاك والكابلات وعبر الفضاء بين أماكن متباعدة من العالم . كما أنها أثمرت ظهور **الإذاعة والتلفزيون** ؛ وكان لبث الكثير من المعلومات عبر هذه الوسائل أثر كبير على توجه الأفراد والمجتمعات في كل مكان .

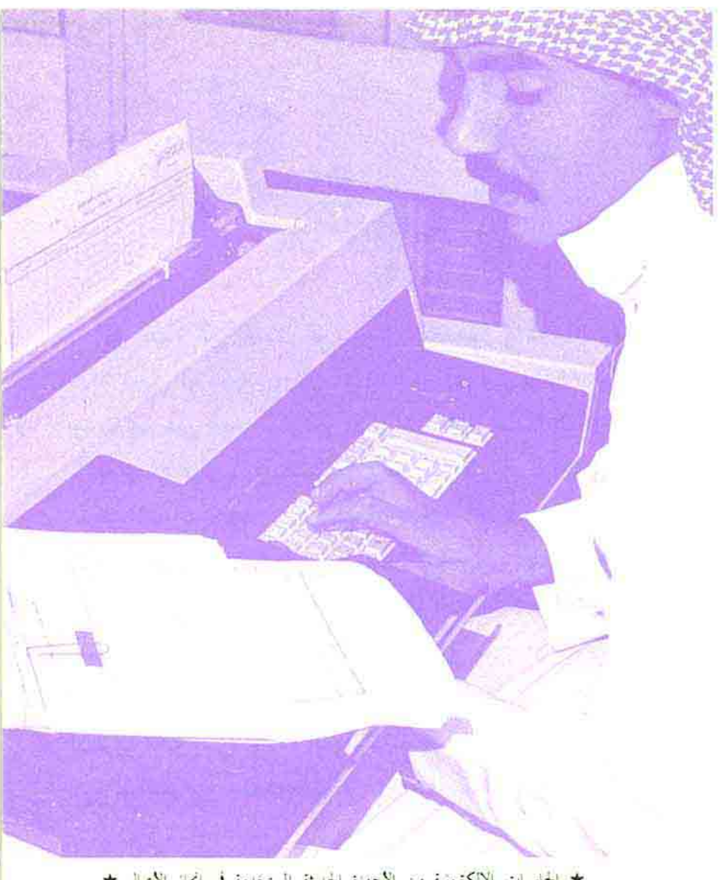
وقد تختلف الآراء نحو إيجابية أو سلبية آثار هذه الوسائل ، لكن الحقيقة أن لهذه الآثار قوة وفاعلية تماثل أو تفوق تلك التي تحدثها المطبوعات من صحف ومجلات . **وتجدر الملاحظة هنا أن أثر علوم الاتصالات لم يقتصر على الاستماع والمشاهدة بل شمل أيضاً التمكن من تشغيل أجهزة الطباعة عن بعد لطباعة المعلومات المرسلة في المكان المستقبل أثناء عملية الإرسال .**

ويساهم الحاسب الآلي مع الكتابة والطباعة وعلوم الاتصالات في تخزين المعلومات وتسهيل استخدامها . وهو يستطيع بالإضافة إلى ذلك ، إصدار القرارات المناسبة في الكثير من المسائل بناء على برنامج محدد ، بعد استقراء ما لديه من معلومات تتعلق بالقضايا المطروحة . وتأتي مساهمة الحاسب الآلي في تكنولوجيا المعلومات في الوقت المناسب حيث تتضاعف المعلومات المحفوظة اليوم بمعدل عال يتزايد باستمرار ويبلغ الآن ما يقرب من مرة واحدة كل عشر سنوات .

منابع المعلومات

والمنبع الأول للمعلومات في الحياة هو **الطبيعة** التي وهبها الله لمخلوقاته كي تكون لهم مصدر عطاء لكل ما يحتاجون إليه . والمعلومات من الطبيعة تأتي إلى الإنسان عبر حواسه الخمس ليأخذها العقل البشري وينظر إليها بالفكر والبصيرة ، ويستخلص منها ما يحتاج من النتائج والعبر . والطبيعة كنز لا يفنى من الأسرار ما تكشف منها كان مدخلاً لأسرار جديدة تتطلب المزيد من البحث والتنقيب . وقد حقق الإنسان عبر العصور والأزمان اكتشافات كثيرة وخبرات عديدة حفظتها له وسائل تسجيل المعلومات . وتكثر اليوم وسائل البحث والاكتشاف وتزداد نتيجة لذلك كمية المعلومات حول حقائق الحياة وأسرار الطبيعة ويتطلب ذلك المزيد من خدمات تكنولوجيا المعلومات .

وبالإضافة إلى المعلومات التي يعطيها البحث والاكتشاف ، هناك المعلومات عن الأحداث اليومية ذات الأهمية الخاصة ، التي قد تؤثر على أمة أو مجتمع أو ربما على العالم بأسره . ومن هذه الأحداث ما يكون ذا صبغة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو علمية . ومهمة العديد من مؤسسات الإعلام في العالم اليوم متابعة مثل هذه الأحداث ، ونقل المعلومات عنها إلى المهتمين بها . ويؤثر أسلوب تقديم هذه المعلومات على توجهات آراء الناس . فقد يؤدي حجب بعضها أو التركيز على بعضها



★ الحاسبات الإلكترونية من الأجهزة الحديثة المستخدمة في إنجاز الأعمال ★

الآخر إلى بناء الآراء على أسس تفتقر إلى الحقيقة المجردة .

وبصرف النظر عن مقاييس نقل مثل هذه المعلومات ، لأنها خارجة عن المناقشة المطروحة في هذا البحث ، فإن المعلومات عن الأحداث اليومية الهامة تشكل متطلبات هائلة الحجم في عالم تكنولوجيا المعلومات . فالكثير من إنتاج **الورق** في العالم ، والعديد من آلات الطباعة بالإضافة إلى الإذاعة والتلفزيون ووسائل الاتصالات الأخرى ، كلها تعمل اليوم على تسجيل ونشر مثل هذه المعلومات وجعلها متاحة لأكبر عدد من الناس .

وفي الحياة اليومية أيضاً معلومات تسعى إلى الانتشار السريع محاولة تحقيق غاية محدودة وهي التأثير على **الرأي العام** . ومن هذه المعلومات ما يختص بالدعاية لمنتجات يطلب تسويقها أو الإعلان عن أمر يتطلب اجتذاب عدد من الناس للمشاركة فيه . وتنفق الشركات والمؤسسات عادة في سبيل ذلك نسبة كبيرة من مصروفاتها على وسائل تكنولوجيا المعلومات . وللدعاية والإعلان أساليب متعددة في مخاطبة الزبائن المحتملين ، منها ما يتم عن طريق المبالغة المسلية ، أو التكرار الملح ، أو الكلمات المختصرة الجادة ، أو الصور الأنيقة . وهناك العديد من المواد الدعائية التي توزع على الناس فيما يبدو أنه مجاناً ؛ لكن كلفة هذه المعلومات تدفع بعد ذلك من قبل المشتري الذي يتحمل مصاريف الإنتاج والإعلان معاً .

ومن منابع المعلومات ذات الأهمية المتزايدة باضطراد في حياتنا المعاصرة السجلات والقرارات والمراسلات الصادرة عن الأشخاص

والهيئات المختلفة ، وتلاحق هذه السجلات والقرارات كل إنسان منذ ولادته وعبر مراحل حياته . فعندما يولد طفل يسجل في تعداد السكان ، ويأتيه بعد ذلك تسجيل آخر عند دخوله المدرسة ، ثم سجلات حول تقدمه الدراسي . وعندما يبدأ عمله لا بد من قرار أو عقد بتوظيفه ، وسجلات بما يتقاضاه من دخل . وإذا أراد أن يسافر أو ينزل في فندق ، أو يزور موطناً غير موطنه ، أو يبيع ويشتري ، أو يؤدي أي عمل آخر ، تسجل المعلومات عنه في سجلات خاصة بهذه الأعمال المختلفة .

وتتزايد هذه السجلات اليوم مع توسع وتشعب شؤون الحياة ، ويتطلب ذلك المزيد من خدمات وسائل المعلومات . ولئن كانت أساليب نقل أخبار الأحداث اليومية الهامة ، وطرق نشر معلومات الدعاية والإعلان تؤثر في توجيه الرأي العام ، فإن معلومات السجلات والقرارات هي معلومات ثابتة كحقائق الطبيعة لا يهتم بها إلا أصحاب الصلة بمواضيعها المختلفة .

أنظمة المعلومات الحديثة

ومع تزايد متطلبات منابع المعلومات كان لا بد من المزيد من البحث والعمل على تطوير وسائل تكنولوجيا المعلومات واستخدامها على أفضل وجه ممكن . وقد كان لتقدم العلوم الإلكترونية ، بفرعيها الاتصالات والحاسب الآلي ، الدور الأول في هذا المجال . فقد تطورت شبكات الاتصالات السلكية واللاسلكية لتغطي العالم بأسره ؛ حيث امتدت كابلاتها عبر البحار والمحيطات ، وشيدت الأبراج وأطلقت الأقمار الصناعية الخاصة بنقل المعلومات لاسلكياً بين مناطق العالم المختلفة . وأدى ذلك كله إلى تسهيل نقل المعلومات الخاصة أو بث المعلومات العامة مباشرة من منابعها إلى طالبيها . وكان أن ازداد عدد المشتركين في مثل هذه الشبكات من أشخاص أو هيئات مختلفة ، ولا يخفى ما في ذلك من انخفاض في كلفة نقل المعلومات عبر هذه الشبكات وبالتالي جعل هذه الوسائل متاحة لأكثر الراغبين .

★ جهاز إرسال الصور بالهاتف ★



ومع تقدم وسائل الاتصالات تطورت أيضاً صناعة الحاسب الآلي . فقد تمكنت هذه الصناعة من خفض كلفة حاسب اليوم بالمقارنة مع كلفة حاسب الأمس ، الذي ظهر مع بداية النصف الثاني من هذا القرن ، أكثر من ألف مرة . واستطاعت أيضاً تقليص حجمه باستخدام **دوائر التكامل الإلكترونية** المصنوعة من مادتي **السيليكون والجرمانيوم** ؛ فبإمكان دائرة تكامل حديثة تحتل مساحة سنتيمتر مربع واحد أن تؤدي عمل آلاف من الصمامات الإلكترونية المفرغة التي صنع منها أول حاسب آلي .

وحققت الصناعة بالإضافة إلى ذلك ، تقدماً كبيراً في طرق استخدام الحاسب ، فبعد أن كان استعماله يحتاج إلى خبير في دوائره الإلكترونية ، أصبح استخدامه اليوم سهلاً يمكن لأي فرد تعلمه في ساعات محدودة . فإذا كان تعلم قيادة السيارة يحتاج إلى ثلاثين ساعة ، فإن تعلم استعمال الحاسب يحتاج أحياناً إلى أقل من ذلك .

ويستطيع الحاسب الآلي أخذ المعلومات وحفظها وأداء عدد من عمليات المقارنة عليها بسرعة فائقة إذا ما طلب إليه ذلك . ولئن كان لمح البصر لدى الإنسان يستغرق ثانية واحدة من الزمن ، فالحاسب قادر على أداء بعض عملياته بزمن يقدر بالميكروثانية ، أي جزء من مليون من لمح البصر . ويتكون الحاسب الآلي بشكليه القديم والحديث من ثلاثة أقسام رئيسية هي : وحدة حفظ المعلومات أو الذاكرة ، وأجهزة إدخال المعلومات واستخراجها ، ووحدة تنفيذ العمليات .

ويضاف عادة إلى ذاكرة الحاسب الآلي وسائل تخزين أخرى تعمل على حفظ المعلومات لمدة طويلة بحيث يمكن استخدام هذه المعلومات عند الحاجة . وتعتمد هذه الوسائل على **المبدأ الكهربائي المغنطيسي** في تسجيل المعلومات ، وتكون عادة على هيئة شرائط أو أسطوانات مغنطيسية . أما أجهزة إدخال المعلومات واستخراجها فتكون عادة على هيئة طابعات أو شاشات كهربائية ضوئية .

وتكمن أهمية عمل الحاسب الآلي في قدرته على أداء عملياته المختلفة أو بعضاً منها وفق أي تسلسل يطلب إليه تنفيذه . ويدعى تسلسل العمليات المطلوبة عادة ببرنامج عمل الحاسب ؛ ويمكن تغيير برنامج العمل هذا تبعاً للحاجة . ومن أكثر البرامج المألوفة في أنظمة المعلومات تبويب هذه المعلومات وتعديلها والإضافة إليها والحذف منها . ومثال ذلك نظام المعلومات الخاص بالحجز

للسفريات ؛ حيث تخزن المعلومات عن الرحلات المختلفة ، وتفتح السجلات للمسافرين على هذه الرحلات . وعند قدوم مسافر جديد يطلب مستخدم الحاسب استخراج سجل الرحلة المطلوبة المحفوظ في وسائل التخزين ، ويضيف إليه المعلومات الجديدة المطلوبة . ويمكن أداء العمل بنفس الطريقة عند اعتذار أي من المسافرين . ولا يستغرق مثل ذلك عادة أكثر من ثوان قليلة .

وقد أدى تطور علم الحاسب الآلي إلى جانب تقدم علوم الاتصالات ، إلى ظهور شبكات تصل ما بين عدد من الحواسب وهم في أماكن متباعدة . ويمكن لهذه الحواسب عبر وسائل الاتصالات تبادل المعلومات المخزنة والمعطاة لأي منهم كما يحدث بين الأشخاص عبر أجهزة الهاتف . وهناك اليوم عدد كبير من أنظمة المعلومات التي تعتمد على هذه الشبكات في مختلف أنحاء العالم . وبعض هذه الشبكات مخصص للأعمال اليومية في المؤسسات ؛ ومثال ذلك شبكات المعلومات الخاصة بالمصارف . فلكل مصرف عادة فروع عديدة ، ولكل فرع عدد من المشتركين . وتفيد شبكات الحواسب هنا في حفظ سجلات هؤلاء المشتركين ، ونقل المعلومات عن أي مشترك من الفرع الذي يحفظ سجلاته إلى أي فرع يريد هذا المشترك التعامل معه في أي وقت من الأوقات أخذاً أو إيداعاً . وتتم مثل هذه العملية في ثوان محدودة مهما تباعدت المسافات .

ومن المجالات الأخرى التي بدأت تعتمد على شبكات الحواسب البحث العلمي وبث المعلومات المختلفة والعديد من الأغراض العسكرية . فهناك اليوم شبكة اتصالات تصل ما بين أكثر من ستين حاسب آلي في مراكز بحوث موزعة فوق مناطق متعددة من أمريكا وأوروبا . ويستطيع أي باحث في أي من هذه المراكز الحصول على المعلومات من أي مركز آخر متواجد في الشبكة . وهناك أيضاً شبكات حواسب تحفظ باستمرار آخر الأخبار الواردة من مناطق مختلفة في مجالات محددة . ومثال ذلك **شبكة الأخبار الاقتصادية في بريطانيا** .ويستطيع المشترك في مثل هذه الشبكات طلب المعلومات التي يرغب في معرفتها ، ليجدها أمامه مباشرة تطبع على الورق ، أو تظهر على شاشة تلفزيونية . وقد يتمكن الإنسان في المستقبل القريب باستخدام أنظمة المعلومات الحديثة من أن يطلب الأخبار المتعلقة بالمواضيع التي تهمه بدل أن يأخذ ، كما هي الحالة اليوم ، الأخبار التي تعطى إليه عبر أجهزة الإعلام المختلفة .

الآلة تحكم

ولا يقتصر دور العلوم الإلكترونية على حفظ المعلومات المبوبة ونقلها بين أماكن متباعدة من العالم لمساعدة الإنسان في تكوين آرائه ، وإصدار قراراته على أسس سليمة ، بل يشمل أحياناً اتخاذ بعض القرارات وتنفيذها نيابة عن الإنسان . ولنعد في هذا المجال إلى شبكات الحواسب المستخدمة **في المصارف** . فعندما يطلب أحد المشتركين سحب جزء من أمواله المودعة في فرع من فروع أحد المصارف ، تقوم مكونات شبكة الحواسب بالاطلاع آلياً على سجل المشترك في الفرع الحافظ لأمواله . فإذا كان في هذا السجل من المال ما يسمح للمشترك بسحب ما يريد يأتي القرار الآلي بالدفع ، وتقوم العدادة الميكانيكية بعد الأموال المطلوبة ، وتقديمها إلى المشترك . أما إذا كانت معلومات السجلات تدل على عدم وجود المال الكافي في ودائع المشترك فالقرار يكون بعدم الدفع ويبلغ المشترك عبر شاشة مضيئة بقرار الآلة .

وهناك في **المستشفيات** اليوم حواسب لجمع المعلومات آنياً عن حالة بعض المرضى ، ومن ثم إصدار القرارات المناسبة في الوقت الملائم . ففي غرف العناية الخاصة مثلاً تعطى المعلومات عن المريض المراقب عبر أجهزة خاصة إلى حاسب آلي مصمم لهذه الغاية . وتشمل هذه المعلومات التنفس ، وضغط الدم ، ومعدل النبض ، وأمور أخرى كثيرة . ويقوم الحاسب بعد ذلك بتقديم التقارير الدورية عن حالة المريض والعلاج الذي يحتاج إليه ، كما أنه يقوم أيضاً بإطلاق إشارات الإنذار إذا ما وصلت حالة المريض إلى مستوى الخطر . وقد تحدد هذه الإشارات نوع الخطر كي يتم الإسعاف السريع تبعاً لأسباب الإنذار .

ومن إنذار غرف العناية في المستشفيات إلى الإنذارات العسكرية في حالات الهجوم المفاجئة . فهناك اليوم أنظمة رادار تستخدم شبكات الحواسب في أخذ المعلومات وتحليلها ونقلها بين أماكن متباعدة . وتقوم هذه الشبكات بحفظ المعلومات عن التحركات المعتادة في مختلف الجبهات ، ثم تقوم آنياً بأخذ المعلومات عبر أجهزة الرادار عن الأوضاع القائمة في هذه الجبهات . فإذا أمكن رصد تحركات معادية ، يقوم الحاسب المختص بتحليل هذه التحركات وإبلاغ القيادة والمراكز المهددة وإطلاق إشارات الإنذار عندما تدعو الضرورة .

وقد ثبت أنه مهما كانت دقة الآلات في أخذ المعلومات ، وتوجيه القرارات فإنها معرضة لأخطاء قد تلحق الأذى بالبشرية جمعاء . ومثال ذلك ما جرى في صباح يوم من أيام شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٩ م ، عندما أعلن الحاسب الآلي في وزارة الدفاع الأمريكية عن خطر هجوم نووي سوفييتي ، وأصدر الأوامر بالتأهب للرد الفوري على هذا الهجوم دون أن يكون هناك أي خطر أو هجوم . وقد وصل الأمر إلى درجة أن بريطانيا تلقت الإنذار الأمريكي ، وكادت تتأهب للمشاركة في الرد ، لولا أن ثبت ، بعد ذلك بقليل ، وجود خطأ وقع فيه الحاسب الذي أراد للحرب النووية أن تبدأ .

ولا بد بعد الحديث عن تقدم تكنولوجيا المعلومات وخدماتها في شؤون الحياة من وقفة تأمل وتفكر بالمستقبل . فالتقدم في هذا المجال ، شأنه شأن التقدم في كل مجالات الحياة ، يحمل للإنسانية حدين في أحدهما سعادة ورفاهية كل بني البشر وفي الآخر معاناة ومآسي تفوق ما واجهته البشرية في الماضي . فهل من تقدم في الوعي الإنساني إلى جانب تقدم التكنولوجيا الحديثة . . !





القنفذة

بقلم : حسن إبراهيم الفقيه

تعتبر مدينة القنفذة من الموانئ المهمة على الساحل الغربي بالمملكة العربية السعودية ، وقد عاشت هذه المدينة حياة تجارية وحضارية خلال القرون الهجرية الخمسة الماضية ، لعبت في خلالها دوراً مهماً في الحياة العامة بتهامة والحجاز ، فكانت بحكم موقعها باباً بحرياً للمنطقة التهامية والسروية التي تتدلى عليها من الشرق ، كما كانت مدخلاً جنوبياً للتجارة وحجاج اليمن والهند إلى مكة المكرمة في فترات من تاريخها .

★ الطيور البحرية والصباح ★

كما أثْرَتْ قرى منطقتها الداخلية بأصناف مستورداتها ، وصدرت عن طريق مينائها العديد من منتجات هذه المنطقة الزراعية منها والحيوانية وغيرها . وانعكس هذا النشاط التجاري على حياتها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية ، فأصابت نصيباً حضارياً لم يكن حظها فيه أقل من مثيلاتها شمالا وجنوباً إلى ما قبل السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري . ثم تأثرت **حركة التجارة البحرية** فيها بوسائل النقل البري ، وبدأت جذوة النشاط الاقتصادي بها تخفت شيئاً فشيئاً إلى أن انطفأت ، ولكن نشطت دماء الحياة فيها حركة الخدمات الحكومية ، وبعض موروثها من أعمال البيع والشراء ، وصيد الأسماك ، وصناعة القوارب ، وما شابه ذلك . وتشهد في الآونة الأخيرة حركة عمرانية وتعليمية وثقافية تأخذ بيدها لتلحق بركاب أمهات المدن .

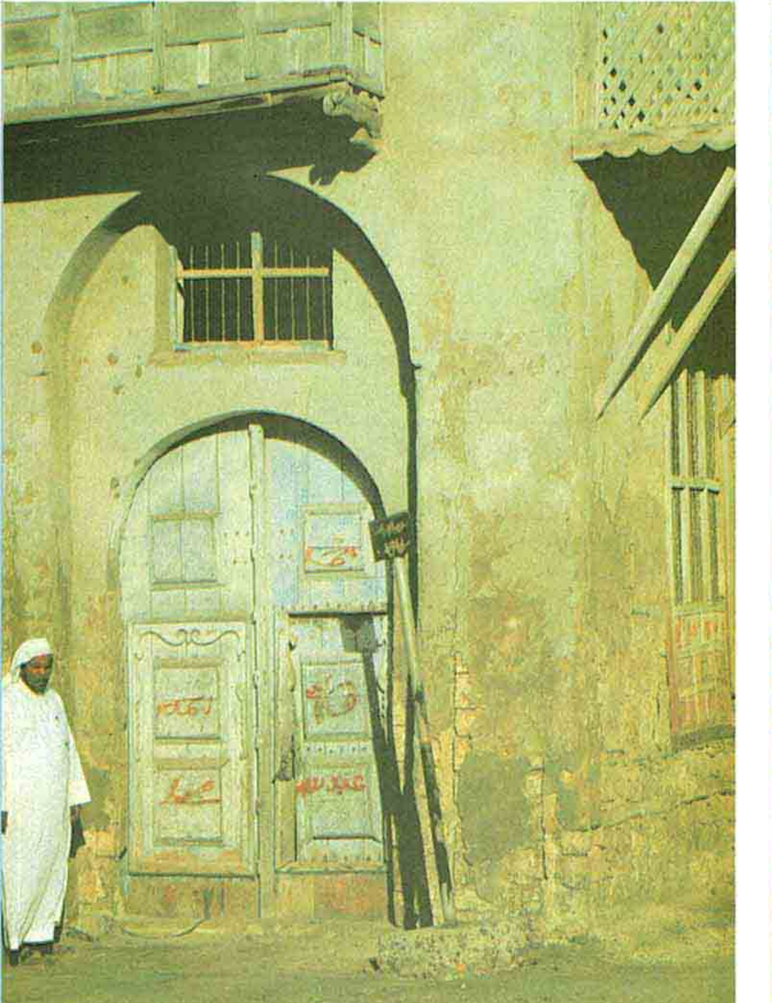
وفي هذا التعريف المختصر عنها نحاول تقديم صورة عنها ، وعن موقعها وأهميته ، ومدى قدمها وتبعيتها ، وبعض الأحداث التاريخية التي تدل على ذلك ، وسبب تسميتها إلى غير ذلك مما نأمل أن يجد فيه القارئ إيضاحاً لما قد لا يعرفه عن هذه المدينة البحرية .

الإطار الجغرافي

اقتضى الوضع الجغرافي الذي يكونه امتداد جبال السروات وامتداد سهل تهامة مع امتداد جسم البحر الأحمر موازياً لهما ؛ ظهور موانئ على الساحل الشرقي لهذا البحر هي بمثابة الأبواب التي تدخل عن طريقها احتياجات سكان هذين الامتدادين الجبلي والسهلي من المستوردات المجلوبة من بعض الأمصار داخل الجزيرة العربية وخارجها ، كما تصدر عن طريقها منتجاتها وسائر مصدراتها إلى أماكن أخرى داخلية وخارجية في إطار تبادل المنافع التجارية التي تمثل جزءاً من النشاط البشري الممارس . إضافة إلى أن تلك الموانئ قامت فيها أسواق تجارية قوامها ما يصل « فرضاتها » من شتى أنواع السلع التجارية من الداخل والخارج ، وعاد ذلك النشاط مع طبيعة الموقع الاستراتيجي على مدن تلك الموانئ بمعطيات عمرانية وحضارية واقتصادية أكسبتها النماء والبقاء ، وجعل كلاً منها تلعب دوراً مهماً في تاريخ الحياة البشرية على طول امتداد هذا السهل الساحلي ، وما يصاقبه شرقاً من البلاد الداخلية التي تدر على تلك الموانئ بخيراتها وتأخذ منها احتياجها من المستوردات كما أسلفنا . كما أصبحت تلك الموانئ نقاطاً ذات أهمية كبرى في مجال الاتصالات البحرية والبرية وقواعد لنشاطات عسكرية بجانب وظيفتها المدنية التجارية .

ويعود تاريخ نشأة بعض تلك المدن البحرية « كلويكة كوم » و « الجار » و « جدة » و « الشعيبة » ، إلى ما قبل الإسلام[1] وظهر بعض آخر منها في العصر الإسلامي وإن كان لا يعرف


★ سقف أحد المجالس القديمة ★

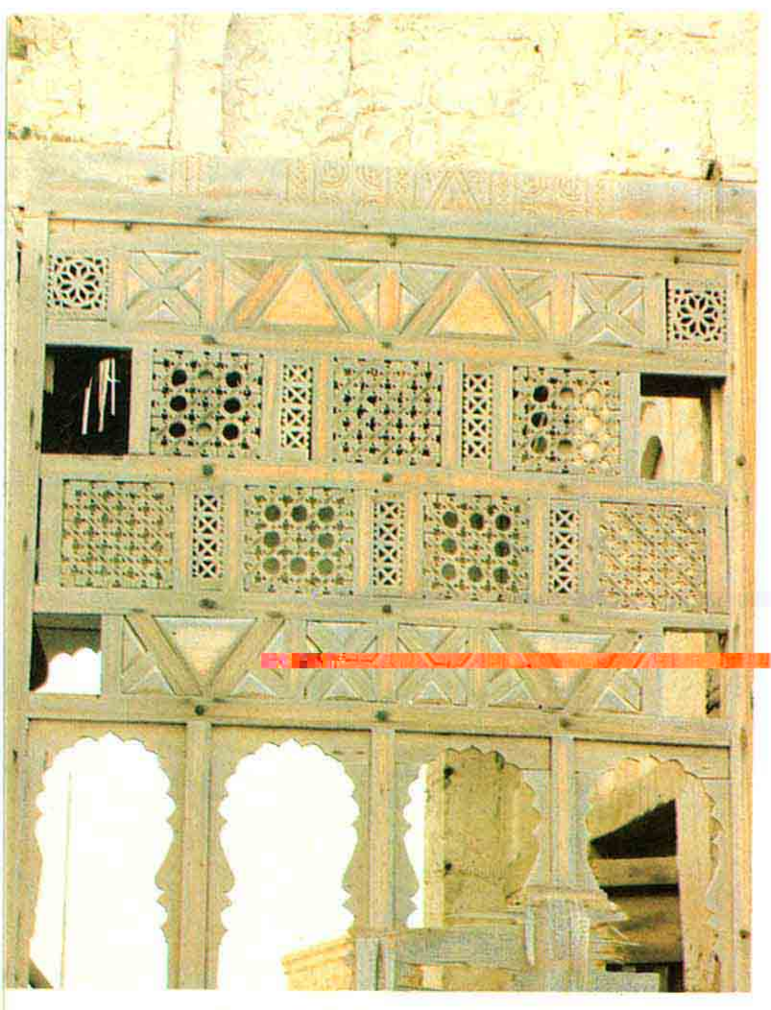

★ أحد الأبواب المزخرفة ★

على وجه التحديد أو الضبط التاريخ الذي قامت فيه كل منها ، لكن بعض المدن البحرية التي قامت في العصر الإسلامي يمكن معرفة الحقبة التاريخية التي نشأت فيها على وجه التقريب ومن تلك المدن **مدينة القنفذة** التي نحسبها قامت على حياة هذا الميناء أو المرسى الطبيعي ، وانبعثت نواتها على شاطئه منذ حوالي القرن الثامن الهجري غالباً ـ على نحو ما سنوضحه قريباً ـ وليس معنى ذلك أن هذا الميناء أو المرسى الطبيعي الذي قامت بجواره القنفذة لم يستعمل لرسو السفن إلا في أيام حياتها ، بل نعتقد أنه كأي مرسى طبيعي موجود على هذا الساحل قد استخدمه منذ أقدم الأزمنة رواد البحر من أصحاب سفن الصيد والتجارة

التي كانت تجوب مياه البحر الأحمر ، وترتاد شواطئه سواء للاستقرار في بعض مواقعه الجغرافية : كالجزيرة التي تظلله من الغرب ، أو الجزر الأخرى القريبة منه ، أو للجوء إليه عند هبوب العواصف ، والاستكنان في مياهه الهادئة ، أو لاستمداد بعض الاحتياجات من المناطق البرية



المجاورة له كالحبوب والمياه والأغنام ، وبيع بعض ما تحمله من الميرة أو الصيد أو غير ذلك لسكان البرية . بل يمتد بنا الاعتقاد إلى أن **سفن التجار العبرانيين والفينيقيين والآشوريين التي كانت تجوب سواحل البحر الأحمر طلباً للذهب ، قد استخدمت هذا الميناء المتميز بموقعه الهادئ ، وذلك في رحلاتها التجارية**



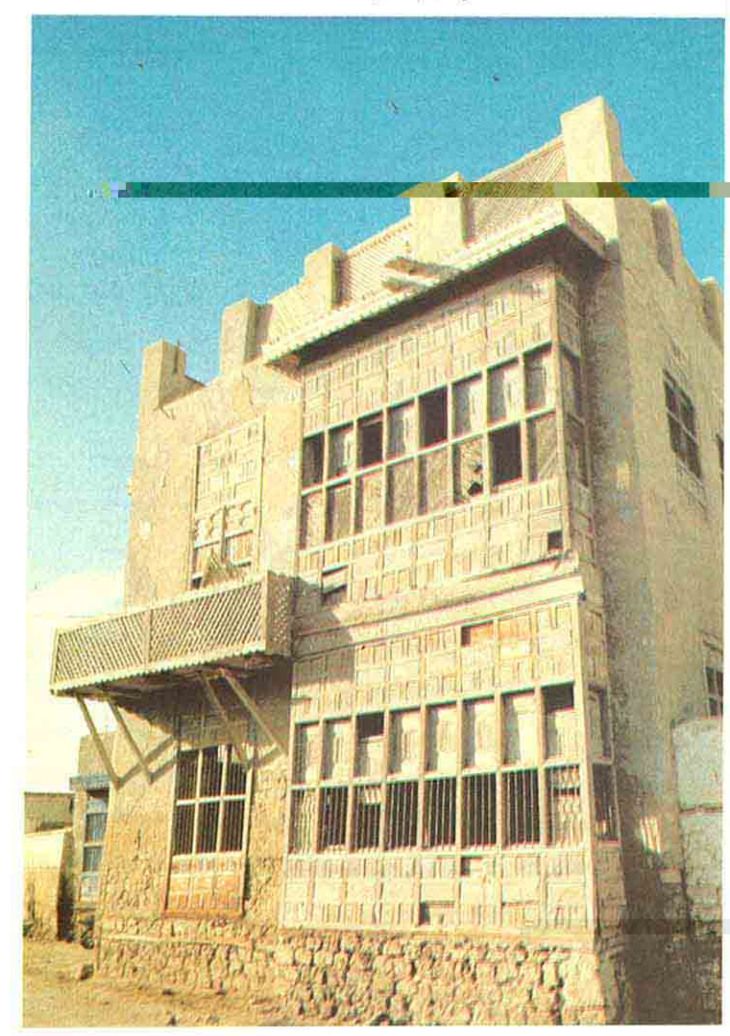
★ النقش على الخشب والحجر والزخرفة التقويسية في البناء ★

لاستجلاب هذا المعدن ، وكذلك بعثات سليمان عليه السلام التجارية ، التي كانت تنقب عن الذهب قرب سواحل البحر الأحمر ، حيث كانت تلك البعثات والرحلات تستخرج وتعود بكميات هائلة من الذهب المستخرج من معادن أسناد الجبال القريبة من موقعه[٢] .

ويؤيد هذا الاعتقاد أن هذا الميناء يقع في إطار **منطقة أوفير** (Ophir) سواء تلك التي قيل إنها بين القنفذة ومرسى **(حلج) حلي**[٣] أو تلك التي يقال بأنها **(بين القنفذة وعتود)**[٤] التي « يظهر من **المؤلفات اليونانية** ، ومن الكتب العربية أنها كانت معروفة بوجود التبر فيها ، وأن الناس كانوا يشتغلون فيها باستخلاص الذهب ، ولذلك رأى « **موريتس** » أن هذه المنطقة هي منطقة (أوفير) التي ورد ذكرها في **التوراة** على أنها كانت تصدر الذهب[٥] » .

كما يؤيد هذا الاعتقاد أن من أشهر مواقع الذهب القديمة وأجودها « نوعية ذهب » ما يقع في إطار هذه المنطقة قريباً من ميناء القنفذة كمعدن ذهب عشم[٦] **الذي عرف بغزارة معدنه وتفوق ذهبه الأحمر على غيره**[٧] **من سائر ذهب معادن جنوب غربي جزيرة العرب ، حيث يقع موقع هذا المعدن شمال شرقي القنفذة ببضع وستين كيلاً**[٨] ، كما أن

★ قصر « رسم » ـ من المنازل القديمة ★





★ صدور المنازل من الداخل المزدانة بالمزهريات والتحف ـ وإحدى الجلسات العائلية ★

معدن ذهب «ضنكان» يقع في إطار هذه المنطقة جنوب شرقي ميناء القنفذة بحوالي مائة وخمسين كيلاً ، وكان مشهوراً أيضاً في القديم ، بجودة ذهبه وغزارته ووجود ذهبه نقياً خالصاً[٩] ، ولعل هناك من مواقع المعادن ما وجد في أسناد الجبال مقابل ميناء القنفذة ثم اندثر وجهل موقعه ولم يرد ذكره في شيء من كتب التراث ، فلعل مما سبق يتضح ما يؤيد الاعتقاد باستعمال تلك الرحلات التجارية والبعثات الخارجية لهذا الميناء قبل أن تقوم عنده هذه البلدة بعشرات القرون .

الموقع

على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر ، وجنوب مدينة جدة بمسافة ثلاثمائة وعشرين كيلاً جواً وثلاثمائة وخمسة وسبعين كيلاً براً ، وعلى بعد ثلاثمائة وأربعة وأربعين كيلاً من جنوب مكة المكرمة ، تقع مدينة القنفذة ، وبالتحديد عند نقطة تقاطع خط طول ٥، ٤١° شرقاً بدائرة عرض ٨، ١٩° شمالا .

وقد تبوأت مكاناً وسطاً من منطقة مصب فروع «**وادي قنونا**» الذي تنحدر مياهه من رؤوس جبال السروات والتلال الجبلية الواقعة شرقاً متجهة في انحدارها إلى البحر الأحمر .

أهمية الموقع

يتميز موقع هذه البلدة بوقوعه وسطاً بين مدينتي **جدة وجازان** وتدلي جبال السروات وتهامة عليه من الشرق مع وجود امتداد السهل الساحلي التهامي شرقه وشماله وجنوبه ، فتهيأ لها أن تكون الميناء الطبيعي للجزء الشمالي من تهامة **عسير** وتهامة وسروات **بني شهر وبالقرن** ،

والجزء الجنوبي من سراة وتهامة **غامد وزهران** ، وأصبحت النافذة البحرية الكبيرة لهذه المنطقة عموماً ، تستقبل عن طريقها ما تحمله إلى مينائها السفن الشراعية التجارية من أصناف المستوردات المجلوبة من مدن الجزيرة العربية ، ومدن ساحل إفريقيا الشرقي وغيرها ، كما تصدر عبره صادراتها المتنوعة من الحبوب والمنتجات الحيوانية وغيرها التي كانت إلى عهد قريب تزخر بها فرضة مينائها ، كما هيأها موقعها جنوب مكة وجدة ووجودها حاضرة للمنطقة السهلية والجبلية القريبة منها ، وما تزخر به هذه المنطقة عامة وحاضرتها خاصة من الإمكانات المادية والبشرية والحياة الحضارية المتقدمة إلى أن يتخذها بعض ولاة مكة مصدر استمداد بشري ومادي وقاعدة انطلاق حربي في حملاتهم وصراعاتهم الداخلية على السلطة في تولي إمارة مكة ، كما استعملها بعضهم قاعدة لحكم منطقتها

★ وثيقتان تاريخيتان تدلان على أهمية ميناء القنفذة ★

ونقطة تحكم فيما يرد إلى الحجاز عامة من صادرات اليمن ، متخذاً قطع طريق واردات اليمن إلى الحجاز منها وسيلة من وسائل الحرب والصراع ، واتخذت أيضاً ملجأ لبعض المصروفين عن الحكم عن ولاية الحجاز ، ولذلك تعرضت لكثير من المحن والمتاعب على مدى الحقب التاريخية الماضية منذ نشأتها[١٠] .

إضافة إلى ذلك ما تشير إليه بعض المؤلفات من اتخاذ المصريين لها قاعدة لأعمالهم الحربية في حملاتهم على عسير ، ثم ما كان يدور في ميادينها من معارك طاحنة بين القوى الحاكمة المتصارعة في تهامة والحجاز[١١] مما عرضها كثيراً لغارات السلب والنهب ، على أنها رغم ذلك قد نعمت في بعض الفترات بنشاط اقتصادي وعمراني جعلها محط رجال كثير من الفئات البشرية التي استوطنتها ، وتعود في أصولها إلى بعض جهات الجزيرة العربية وغير الجزيرة العربية .

وعندما أطل **العهد السعودي** الزاهر لعبت بموقعها الاستراتيجي دوراً كبيراً في إثراء الحياة التجارية والتموينية لبعض مدن الحجاز وخاصة مكة المكرمة قبل الفتح السعودي لميناء جدة ، حيث استمرت قوافل التجارة والحج منها إلى مكة المكرمة وقوافل التجارة البحرية حتى بعد الفتح السعودي لمدينة جدة . **وتسجل لنا بعض الوثائق التاريخية** **استخدام مينائها باباً لمكة المكرمة يدخل عن طريقه حجاج جنوب الجزيرة العربية ، وحجاج جنوب شرقي آسيا وخاصة حجاج الهند** ؛ فقد أرسل جلالة المغفور له **الملك عبد العزيز آل سعود** طيّب الله ثراه رسالتين مؤرختين في ١٦ من شوال سنة ١٣٤٣هـ ، إلى كل من حاكم **عدن** وإلى رئيس جمعية الخلافة في **بومبي** ، يؤكد لهما استعداد ميناءي **القنفذة والليث** لاستقبال حجاج جهاتهم ، وأن هذين الميناءين متوفر بهما كافة الوسائط النقلية منها إلى مكة الكرمة[١٢] .

مما سبق يتضح جانب كبير من أهمية موقع هذه المدينة ومينائها بالنسبة للحجاز واليمن والمناطق التهامية والسروية الداخلية .

اسم القنفذة

ينطق العامة اسم (القُنْفُذَة) بضم القاف والفاء وإسكان النون وفتح الدال المهملة بعدها التاء المربوطة . وشاع إعجام الدال في ألسنة بعض المتعلمين وفي بعض الكتابات مؤخراً[١٣] ، مع أن بعض كتب التراث أوردت اسمها بالدال المهملة[١٤] .

وعلى أي حال فإن « الابدال بين الدال والذال شائع في لهجات بعض العرب . . . ويؤيد التعاقب بينهما في اللهجات العربية ما يرى من إبدال الذال العربية دالا في اللهجات الآرامية وفي كثير من الألفاظ الأجريتية »[١٥] .

ويشاع عند العامة اليوم أن سبب التسمية يعود إلى أن امرأة كانت تسمى بـ (القنفذة) كانت أول من أقام مسكناً في موضع هذه البلدة ، فتسمى الموضع باسمها واكتسبت هذه البلدة اسمها من ذلك . لكن يأبى الخيال الشعبي إلا أن يضيف إلى ذلك بعض الشيء ، فيقال إن زوج هذه المرأة كان يسمى بـ « **البندر** » فتسمت البلدة باسميها « القنفذة » و « البندر » ، والبندر علم لهذه البلدة أيضاً لا يزال معروفاً في ألسنة سكان البوادي القريبة منها على وجه الخصوص .

وإذا كان من الممكن احتمال عودة سبب تسمية هذه البلدة إلى سكنى امرأة تسمت بهذا الاسم ، وانتقل إلى اسم الموقع بعد سكناها به أو لعلها كانت تملك الأرض الزراعية القريبة من موقع هذه البلدة قبل نشأة نواتها ، فسكنت بجوار هذا الموقع واشتهر باسمها ، أو كانت تلك المرأة قد سكنت بجوار هذا المرسى مقابل الجزيرة القريبة من الشاطئ مشتغلة بتقديم بعض الخدمات كبيع الحبوب والماء والحطب أو غير ذلك من الضروريات لأصحاب السفن الشراعية وقوارب الصيد التي تجوب في مياه البحر وترسو في هذا الميناء .

لكن تسميتها باسم (البندر) تسمية يبدو أنها أطلقت عليها بعد أو حين غزو الجراكسة والعثمانيين لجنوب الجزيرة العربية حيث يطلق هذا الاسم على المدن البحرية التجارية أو مرابط السفن على الساحل ، كما في (الفارسية) على ما

يقوله صاحب المنجد[١٦] . وقد وردت هذه التسمية في بعض كتب مؤرخي تلك الفترة حيث جاء فيها اسم « بندر جدة ، وبندر القنفذة ، وبندر جازان ، وبندر عدن » وهكذا[١٧] .

أما إذا أردنا إعادة التسمية إلى التأصيل اللغوي ، فنجد أن مادة « القنفذة » بإهمال الدال أو إعجامها ـ سواء كانت تعني أنثى الشَّيْهم أو كانت تعني المكان ذا المجتمع الرملي المرتفع أو الشجرة في وسط الرمل[١٨] ـ فإننا نرى أن المناسبة ضعيفة بين هذه الدلالات والمعاني ، وبين الطبيعة الجغرافية لوضع السطح الذي قامت عليه هذه البلدة . إضافة إلى أن تاريخ نشأة نواتها في حوالي القرن التاسع[١٩] وظهورها بهذا الاسم في مطلع القرن العاشر[٢٠] في بعض كتب التراث لا يمكن معه القول بعودة التسمية إلى المعنى اللغوي على نحو ما يمليه التأصيل اللغوي لبعد هذا التاريخ عن عصر الفصحى ، ويزيد هذا تأكيداً كون الدلالة اللغوية الجغرافية لهذه التسمية تحتاج إلى إعمال فكري ولغوي لا توجد له المقومات الفكرية والثقافية عند سكانها في عصر قيام هذه البلدة أو نشأة نواتها .

على أننا نميل إلى معقولية إمكان عودة التسمية إلى اسم امرأة عمرت هذا الموقع قبل قيام هذه البلدة على أي وجه من الإعمار ، وتقاطر إليه بعض السكان فتكونت نواة هذه البلدة بهذه الصورة التي تكونت بها كثير من القرى والمدن الشهيرة والمعروفة اليوم . ولعل بلدة « القنفذة » اكتسبت اسمها منها ، فكان في ذلك سبب هذه التسمية (والله أعلم) .

القنفذة في التاريخ

لم يرد ذكر اسم (القنفذة) فيما اطلعنا عليه من مراجع إلا منذ مطلع القرن العاشر الهجري . ولعل أول إشارة تاريخية ورد اسمها صريحاً فيها هي حادثة مقتل قاضي مكة المكرمة أبي السعود ابن ظهيرة وذلك سنة ٩٠٧ هـ ، حيث ذكر أنه قتل (تغريقاً في البحر عند القنفذة)[٢١] . وكذلك ورد ذكرها في حادثة خروج الشريف بركات بن محمد من مكة المكرمة إلى ساحل القنفذة سنة ٩٠٨ هـ .[٢٢]

ويعني هذا أنها كانت موجودة قبل هذا التاريخ . لكن يبدو أنها لم تظهر كبلدة بمسماها الحالي إلا في القرن التاسع الهجري ، إذ ليس بين موجوداتها من الأثريات ما يعطي دلالة على وجودها بهذا الاسم فيما قبل ذلك ، كما أن كتب التراث كما أسلفنا لم تذكرها باسمها قبل التاريخ مار الذكر .

وتجدر الإشارة إلى أن من المدن والموانئ المشهورة قبلها في الوسط القريب من موقع القنفذة كل من مدينة **(حلي بن يعقوب)** ومرساها[٢٣] ، وكذلك **(مدينة السرين)** ومرساها[٢٤] حيث ماتت الأولى غالباً حوالي نهاية القرن التاسع الهجري وتعطل ميناؤها[٢٥] . كما ماتت الثانية وتعطل مرساها على ما يبدو حوالي نهاية القرن السابع الهجري[٢٦] ، فقامت في المنطقة ونشطت موانئ أخرى بديلة في تلك الحقب الزمنية على أنقاض ونشاط هاتين المدينتين وموانئهما ، فظهر ميناء القنفذة الذي قامت عنده هذه البلدة ، وتمثلت الدور التجاري والحضاري الذي لعبته (مدينة حلي ومیناؤها) كما قامت بلدة **(الليث ومیناؤها)**[٢٧] بالدور نفسه بعد موت مدينة السرين في حوالي تلك الحقبة التاريخية آنفة الذكر .

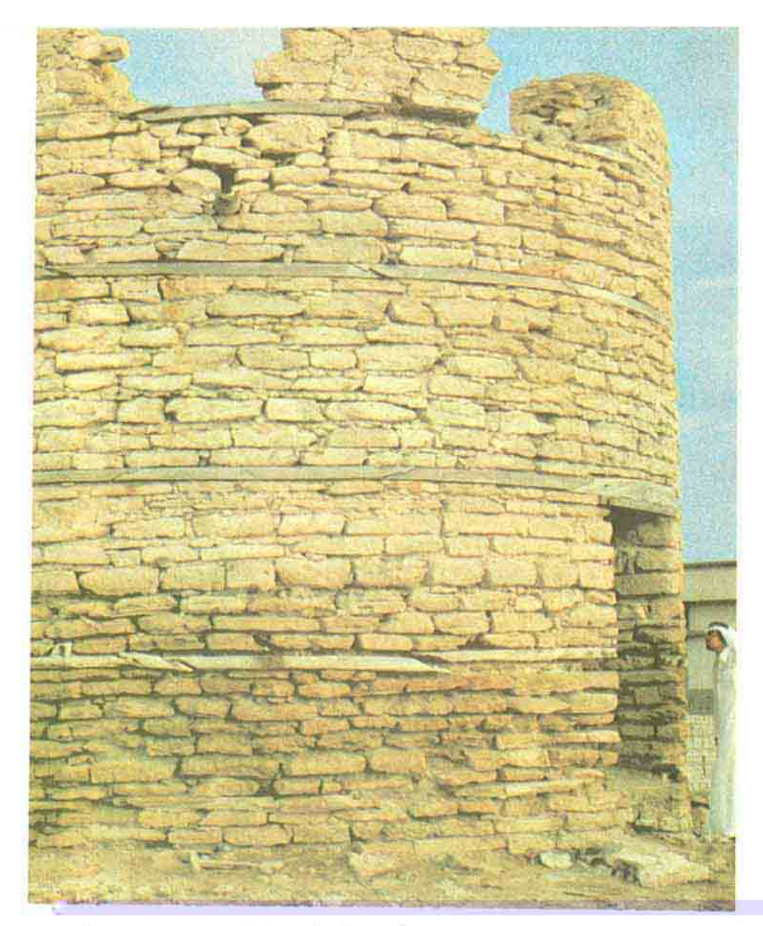
ويظهر أن نواة بلدة القنفذة كانت موجودة قبل القرن التاسع الهجري حيث تطالعنا إشارة تاريخية تذكر ذلك فتقول : « بلغ السعر فيها في هذه السنة **ست عشرة وثمانمائة** كل غرارة مكية ذرة بثلاثين مثقالا ذهباً وهذا شيء لم يعهد مثله من دهر طويل ، وسبب الغلاء في بلاد اليمن قلة الزرع بها لقلة المطر ، وصار أهل اليمن وأهل سواكن يجلبون الذرة إليها من قرية يقال لها « **قنونا** » بقرب حلي ، ومنها أيضاً يجلب ذلك إلى مكة المكرمة ، وما عرفت أن مثل هذه القرية الصغيرة تمير أهل اليمن وسواكن »[٢٨] .

فمن هذه الإشارة يظهر أن هذه القرية المضافة إلى اسم (قنونا) الوادي التهامي الشهير هي تلك النواة الحقيقية لهذه البلدة . ونعتقد أن اسمها كان في هذا التاريخ ومنذ نشأتها هو (القنفذة) ، ولكنها سميت عند



★ روشان (مشربية) قديم ★





★ الطاحونة ، أقدم المعالم الأثرية بالقنفذة ★

المؤلفين أو من نقلوا منهم معلوماتهم باسم قرية قنونا من باب تعريف المغمور بالمشهور ، إذ إن اسم وادي (قنونا) مشهور منذ القدم[٢٩] ، ولذلك يبدو أن نواة (القنفذة) سميت باسمه في مثل هذه المعلومة .

ومثل ذلك نجده عند بعض المؤلفين ، فقد أورد **الحموي** في تعريف (قنونا) قوله : « وبالقرب منها قرية يقال لها يبت »[٣٠] « يبة » ، كما أورد في تعريف (يبة) قوله : « يبة وعليب قريتان . . »[٣١] مع أن يبة وعليب واديان تهاميان كبيران لا قريتين : الأول في جنوب قنونا بحوالي ٢٥ كيلاً والثاني [illegible] ٥٧ كيلاً .

ومما يؤكد هذا الاعتقاد أن اسم (القنفذة) كمدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر ، عرف فيما اطلعنا عليه من مراجع بعد سنة ٨١٦ هـ ، بحوالي ٩٠ سنة ، كما مر ذكره وهو زمن قصير لنشأة نواة مدينة وتطورها وتسميتها باسم مشهور بالنسبة لتلك العصور ، ويؤكد أن هذه القرية هي نواة (القنفذة) كون اسمها في هذه الإشارة التاريخية (قنونا) لا يزال علماً للوادي التهامي الذي تتبوأ مدينة القنفذة مكاناً وسطاً من فرشة مصبه عند شاطئ البحر الأحمر . ولذلك كانت ولا تزال حاضرة هذا الوادي خاصة والمنطقة التي حوله المتشكلة من مجموعة القرى والأودية الممتدة من وادي حلي جنوباً إلى **وادي دوقة** شمالاً عامة .

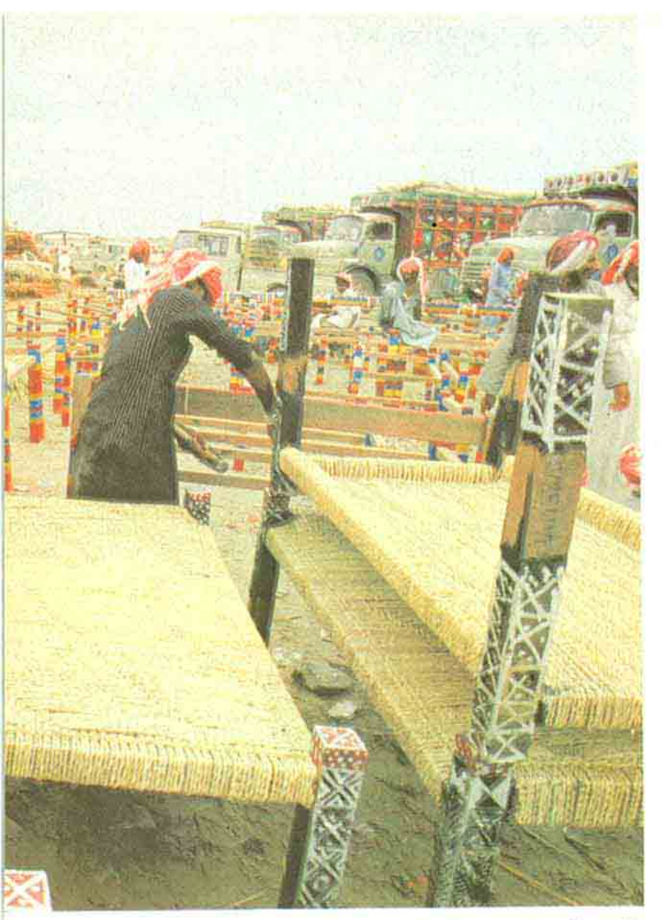
ويظهر أن هذه المدينة قد اشتهرت وتطورت في وقت وجيز بعد موت مدينة (حلي بن يعقوب) على نحو ما أوضحناه آنفاً ، حيث كانت البديل عنها مدينة وميناء ؛ فامتصت ما كانت تعج به تلك المدينة القديمة وميناؤها من النشاط التجاري ، وساعد على ذلك وفود بعض فئات من سكان الجزيرة العربية وغير الجزيرة العربية إليها فأثرتها بوجودها واشتغالها بحركة البيع والشراء والمتاجرة مع بعض البلدان الداخلية والخارجية ، وأصبحت من أبرز المدن والموانئ الشهيرة تضارع في شهرتها بقية مدن هذا الساحل البحرية المعاصرة .

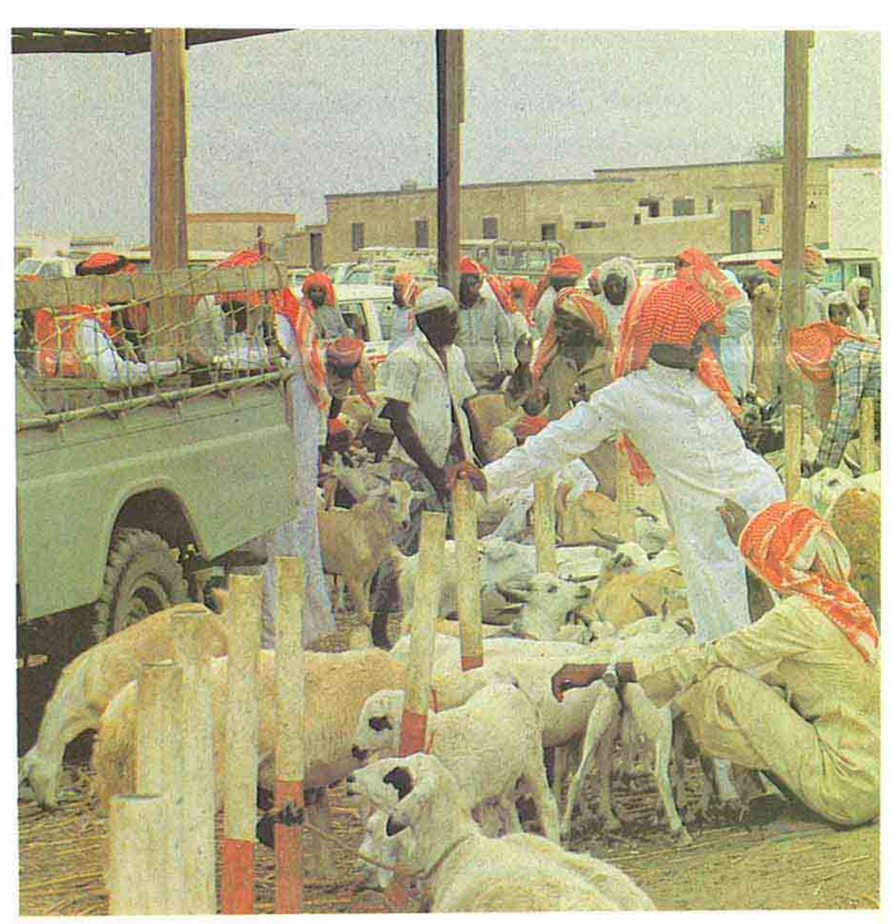
ولكن يبدو أنها تأخرت عمرانياً واقتصادياً بعض الوقت بسبب حركة التهديد البرتغالي لسواحل البحر الأحمر بالجزيرة العربية في النصف الأول من القرن العاشر[٣٢] ، ولكنها استأنفت حياتها ونشاطها بعد ذلك ، ولهذا نراها تتسمى باسم (**بندر القنفذة**) واسم القنفذة حيث أوردها **النهروالي** (٩١٧ ـ ٩٩٠هـ) عند الحديث عن عزل **رضوان باشا** وبروزه من اليمن بقوله : « وخرج من بندر القنفذة وتوجه منها إلى مكة المكرمة ودخلها في أواسط محرم الحرام سنة خمس وسبعين وتسعمائة »[٣٣] . كما أوردها **العصامي** (١٠٤٩ ـ ١١١١هـ) بهذه التسمية في مجال الكلام عن أحداث سنة ١٠٥٩هـ ، في قوله : « ورد إلى مكة المكرمة بعض تجار من الصعايدة وشخص أعجمي يسمى **أسد خان** جاءوا من جهة اليمن بتجارة ونزلوا من البحر إلى بندر القنفذة ووصلوا إلى مكة المكرمة براً ولم يدخلوا بندر جدة »[٣٤] .

وتلمح هذه الإشارات إلى المكانة العمرانية التي كانت عليها بلدة القنفذة في تلك الحقبة التاريخية والمستوى الحضاري الذي بلغته ، مما جعلها تكتسب هذه التسمية (البندر) التي أطلقت على المدن البحرية الرئيسية كبندر جدة ، وبندر جازان وغيرهما ، بل أصبح اسم (البندر) علماً لها عند سكان البوادي القريبة منها منذ ذلك التاريخ على ما يبدو ، وإلى يومنا هذا وكما أشرنا آنفاً .

وقد تبعت هذه البلدة الحجاز منذ نشأتها ، ولذلك يذكر بعض المؤلفين حادثة مقتل قاضي مكة المكرمة ، في بحرها سنة ٩٠٧هـ ، بأمر من شريف مكة المكرمة ، إلى نائبه على القنفذة بتنفيذ المهمة[٣٥] ، كما نلحظ اتخاذ بعض أشراف مكة المكرمة ، في ذلك القرن لها قاعدة لانطلاقهم في حملاتهم وصراعاتهم الحربية مع أمثالهم من أمراء مكة المكرمة ، على نحو ما سبق ذكره ، كما اتخذها بعضهم ملجأ عندما يصرف عن حكم مكة المكرمة ، لسبب أو لآخر[٣٦] .

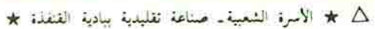
وفي القرن الحادي عشر نلحظ أن عامل (**أبي عريش**) و (**جازان**) يدخل إلى القنفذة ممداً **للشريف محسن بن حسن** صاحب مكة المكرمة على **الشريف (أحمد بن عبد المطلب)**[٣٧] ، كما تبدو الصلة وقوة الاتصال بين القنفذة ومكة المكرمة ، من خلال استخدام **رضوان آغا** للوسائط النقلية المتوفرة بالقنفذة مع مثيلاتها المستجلبة من جدة والمدينة وذلك سنة ١٠٣٩هـ ، لمهمة نقل أحمال مخلفات السيل الذي دخل الحرم في السنة المذكورة وأدى إلى سقوط بعض جدران بناء الكعبة المشرفة ضمن المهمة التي كلف بها رضوان المذكور من قبل والي مصر لاتخاذ التدابير المستعجلة إزاء التنظيف وبناء ما تهدم من بناء البيت الشريف[٣٨] .

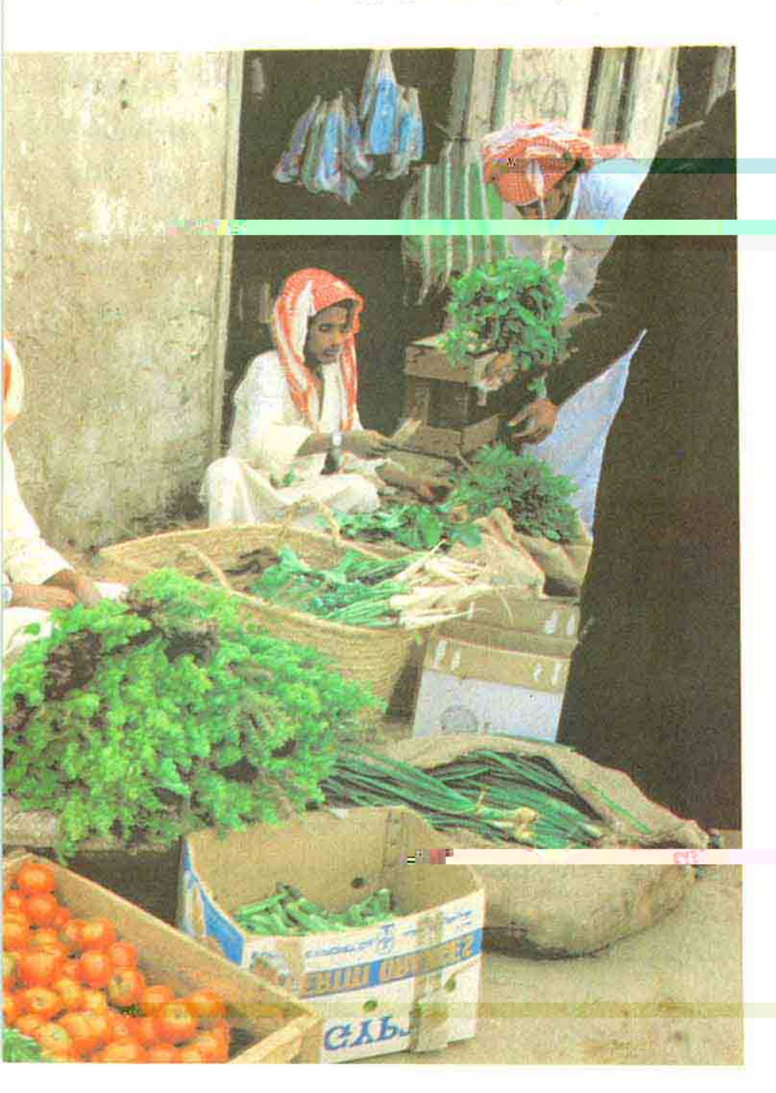




★ سوق الغنم «بخميس القوز» ★

△ ★ الأسرة الشعبية ـ صناعة تقليدية ببادية القنفذة ★

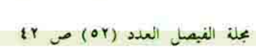




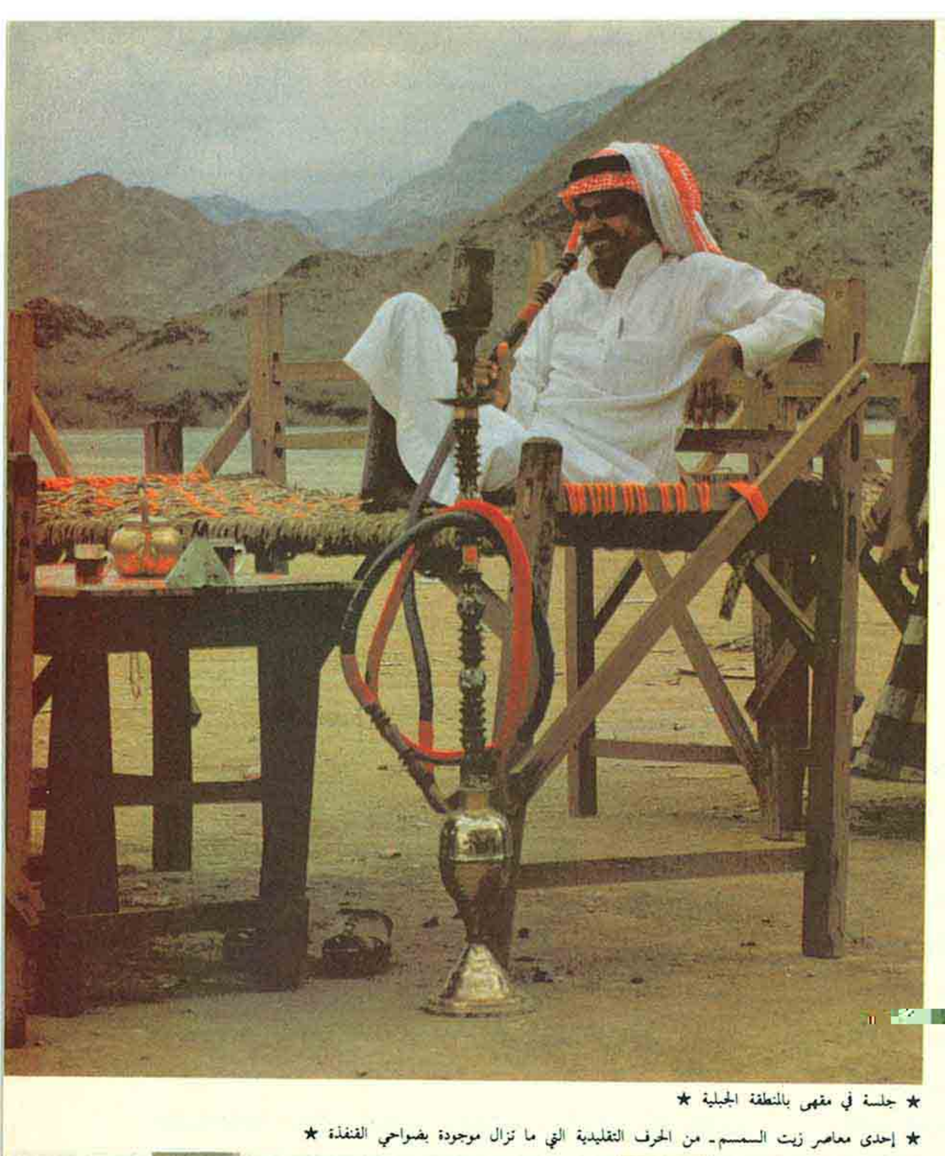
ويبدو أن بلدة القنفذة قد اتخذت حاضرة مركزية للمنطقة السهلية والجبلية الموالية لها منذ نشأتها مع تبعيتها للحجاز وظهرت هذه الشخصية واضحة في القرن الحادي عشر من خلال ما نلمحه في ترجمة (القاضي عبد الواحد الانصاري حاكم القنفذة) [illegible] ، في حوالي منتصف القرن المذكور ؛ فقد جاء فيها أنه : «كان رئيس القنفذة وما والاها من أرض الحجاز لا تصدر أمورها إلا عن رأيه»[40] . **كما ويبدو أن هذه البلدة قد أصيبت بهزة اقتصادية عنيفة في نهاية القرن الحادي عشر الهجري ، إثر إصابتها بالمجاعة الخطيرة التي شملت أرض اليمن وتهامة .**

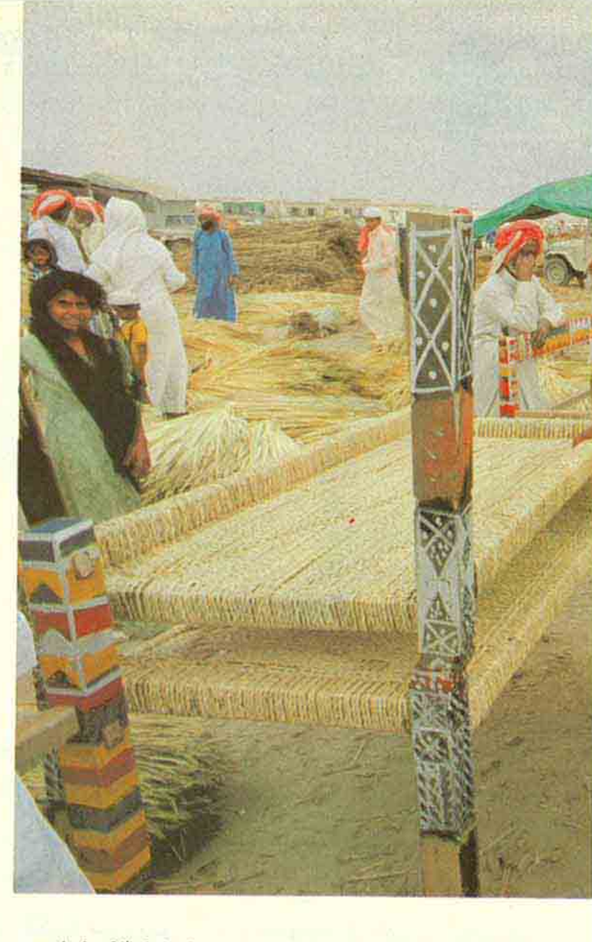
ولقد سجل لنا العصامي حادثة تصور فداحة وقوة تلك الكارثة ، فيقول : «في هذا الشهر جمادى الأولى سنة ١٠٧٩هـ ، تواتر الخبر من جهة أرض اليمن باشتداد الجدب والقحط فيها كالقنفذة وصبيا والتهائم ونواحيها وفي بعض الأيام بالقنفذة وجدوا في دار امرأة حجامة رجلين مقتولين أحدهما مأكول والآخر شرعت في أكله وأعضاء أطفال منها طري ومنها يابس فأمْسِكت وأغْرقت في البحر وقيل وُضعت على الجزيرة التي أمام القنفذة وسط البحر ففُقِدت ليلة الوضع»[41] .

ويبدو أن هذه الكارثة أدت إلى تفرق بعض [illegible] بعض آخر ، وأدى ذلك على ما نعتقد إلى تأخرها عمرانياً وتجارياً .



وفي نهاية القرن المذكور ومطلع القرن [illegible]اني عشر إلى ما يقارب نهاية

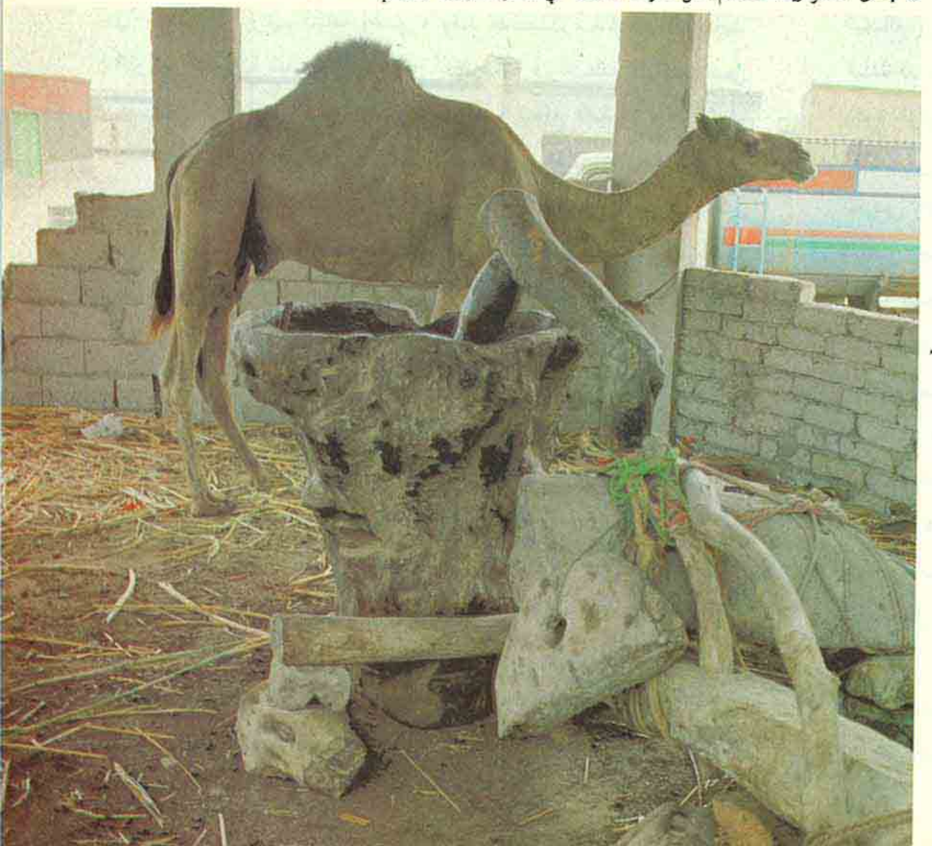


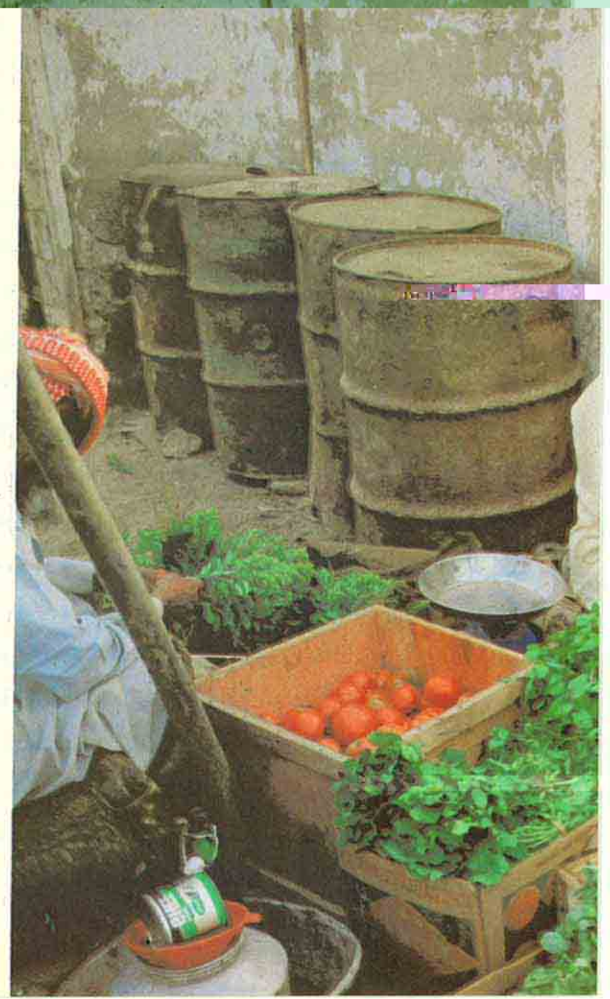


★ باعة الفاكهة ★ ▽

★ جلسة في مقهى بالمنطقة الجبلية ★

★ إحدى معاصر زيت السمسم ـ من الحرف التقليدية التي ما تزال موجودة بضواحي القنفذة ★





الربع الأول منه كانت كعادتها ملجأ لبعض الأشراف ومنطلقاً لبعضهم في غاراته على بعض أشراف مكة المكرمة[٤٢]، وتعرضت بأسباب ذلك لكثير من المتاعب والنهب وخاصة في سنة ١١١٦هـ، عندما أطمع أحد الأشراف رجال القبائل السرورية والتهامية في نهب القنفذة[٤٣]. ويبدو أنها استمرت في فترات من هذا القرن على هذا المنوال تضعف وتقوى وتنعم بالراحة مرة وتروع بكثير من الغارات مرات.

كما يبدو أنها في نهاية هذا القرن قد نعمت بشيء من الاستقرار والتقدم العمراني، حيث يذكر أحد المصادر أنه قد زاد عمرانها لما اتخذها محمد علي (١١٨٤ ـ ١٢٦٥هـ)[٤٤] مرجعاً لأعماله في حملته الحربية على عسير[٤٥]. ولكن يبدو أنها لم تزل في فترات من القرن الثالث عشر الهجري ميدان معركة وساحة نزاعات وحملات حربية منها إلى مكة وإليها، ومطمعاً لبعض الغارات التي كان يشنها عليها بعض القوى المتصارعة في الحجاز وتهامة، وقد تعرض أهلها لكثير من المتاعب والمحن في خضم تلك الحملات والغارات[٤٦]. إذ يجد فيها طلاب السلب والنهب موطناً خصباً لغاراتهم، ورغم ذلك يظهر أنها كانت محافظة على جانب كبير من حياتها الاقتصادية التي يرفدها صادرات وواردات مينائها من الداخل والخارج على النحو الذي يصوره لنا العدد الكثيف من المخازن التجارية التي لا تزال قائمة وتعود في بنائها إلى القرن الثالث عشر الهجري.

وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري كانت لا تزال ميدان تطاحن حربي بين القوى المتصارعة المحلية الخارجية كالحروب العثمانية ضد الحملات الحربية الإيطالية، ولا تزال السفن الحربية العثمانية التي قصفتها مدافع البارجات الإيطالية غارقة في مياه شاطئ البحر بجوار ميناء القنفذة من الجنوب منذ سنة ١٣٢٧هـ.

وبقيت قاعدة لحملات العثمانيين وحلفائهم من أشراف مكة المكرمة في حروبهم وغزواتهم لتهامة وعسير، وقد تضمنت مذكرات **القائد التركي سليمان شفيق كمالي** عن أيام حكمه في المنطقة الكثير من المعلومات التي تصور الدور الخطير الذي لعبه موقع القنفذة وبلدتها في الحياة الحربية والسياسية إلى ما بعد الثلث الأول من هذا القرن بقليل[٤٧]، وعندما دخلت في ظل الحكم السعودي الميمون نعمت بكثير من الرخاء مع الاستقرار، وعاد ذلك على حياتها الاجتماعية والتجارية بالانتعاش والنمو والازدهار.

القنفذة في العهد السعودي

عندما أطل العهد السعودي الزاهر، وأشرقت شمسه في سماء الجزيرة العربية، استمتعت هذه المدينة بإشراقة هذا العهد الميمون، ونعمت في ظلاله كغيرها بنعيم الأمن والاستقرار، ونشطت حركة مينائها التجاري، وازدهرت تبعاً لذلك الحركة التجارية، والحركة العمرانية، وأصبحت عائدات مينائها تمثل مورداً مهماً للقطاع الخاص والعام.

وقد أشرنا إلى ما سجلته بعض الوثائق من تخصيص هذه الدولة مينائي القنفذة والليث قبل فتح جدة، لاستقبال حجاج جنوب الجزيرة العربية، وحجاج الهند خاصة، وبذلك لعب هذا الميناء دوراً مهماً كباب بحري لمكة المكرمة من الجنوب في تلك الفترة، وفي ظل هذه الدولة أسهمت هذه البلدة بمينائها في إثراء الحياة التجارية بمنطقتها خاصة، وفي حركة الحياة التجارية بالحجاز عامة، حتى أصبح اسمها يطلق على أحد الشوارع بمكة المكرمة منذ زمن[٤٨]، وأسهمت في المجال التجاري بمصدراتها إلى مدينة (جدة) أيضاً حتى أصبح المطلع يسمع ويقرأ عن اطلاق اسم (زاوية القنفذية) التي تقع في جزء من أرقى مواقع النشاط التجاري في قلب مدينة جدة[٤٩]. ويبدو أن هذه التسمية تعني مكان مجتمع تجارة وتجار القنفذة، أو رجال البحر الواصلين منها بأصناف البضائع إلى فرضة جدة، ويظهر أن واردات وعائدات جمارك ومرفأ هذه البلدة قد لعبت دوراً مهماً في واردات هذه الدولة في بداية حكمها لكثرة وتنوع الواردات من أصناف البضائع التي تحملها إليها السفن الشراعية القادمة من موانئ جنوب الجزيرة وشرق إفريقيا، وبعض موانئ الخليج العربي والموانئ الهندية على ما يذكره لنا بعض ربابنة البحر المحليين، وبعض رجالات العمل في هذا السلك، وما شاهدناه في أواخر حياة هذه الحركة التجارية التي كانت نشطة نشاطاً ملحوظاً يصوره احتياج الكثافة السكانية في الجبال السروية والتهامية المتدلية على هذا الميناء من الشرق من أصناف المستوردات التي تلزمها في حياتها، كما يصوره هذه الحركة النشطة وما كانت تغمر به فرضتها من مختلف أصناف المنتجات الزراعية والحيوانية والمصنوعات المحلية الواردة من هذه السهول والجبال.

وقد اعتور هذا النشاط منذ حوالي ثلاثين عاماً كثير من التأخر الذي نجم عن استعمال النقل البري بواسطة الشاحنات السيارة، وترتب على ذلك تعطل نشاط مينائها وانعكس على حياتها التجارية بالخمول والضمور.. ولكن ظلت هذه البلدة بطبيعة وظيفتها حاضرة لمنطقتها حية بفضل الخدمات الحكومية التي تقدمها فروع مصالح الدولة.

على أن من أنشط حركة الخدمات الحكومية بهذه البلدة خاصة



★ مصنوعات محلية من الخوص ★



★ «جفان» خشبية .. بائع الجفان (الصحاف) ★

وبالمنطقة الإدارية عامة ، الحركة التعليمية في إطار النهضة التعليمية والثقافية التي تشمل كل أرجاء المملكة . ومن أبرز الخدمات الحكومية أيضاً خدمات الطرق البرية الممهدة ، فقد انتهى ربط هذه المدينة بكل من مكة المكرمة وجدة بالخط الرئيسي المعبد ، كما ربطت بالقطاعات الجبلية الداخلية بالخط المعبد المتجه إلى تهامة عسير فمنطقة جازان ، كما أن الخط الساحلي بينها وبين جازان لم يبق من تعبيده ، سوى حوالي تسعين كيلاً .

المعالم الأثرية

يمكن أن يعد من المعالم الأثرية القديمة المبنى الأسطواني المسمى (**الطاحونة**) حيث بني أو استعمل لطحن الحبوب بمحرك يعتمد على الأشرعة والهواء ، كما يعرفه بذلك السلف ونقله إلينا الخلف ، وقد بني بالحجر المسمى « الحجر السطايحي البحري » وهو حجر بحري قوي التماسك والصلابة . يبلغ قطر هذا المبنى سبعة أمتار تقريباً ، كما يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار تقريباً وكان يستعمل حتى وقت قريب لتخزين بعض مواد الوقود السائلة كالكاز والبنزين والزيوت التي كانت تموّن بها سيارات البريد المستمر بين مكة المكرمة وجدة وجازان إلى القنفذة ومنها إلى هذه المدن ولذلك سمي مؤخراً (**الكازخانة**) .

ويظهر أن تاريخ هذا المبنى يعود إلى أواخر القرن الثاني عشر ، أو بداية الثالث عشر ، ويتميز هذا المبنى بمتانة البناء وصموده لمدة تزيد ، على ما يبدو ، عن مائتي سنة دون أن يتداعى بناؤه ، ولعل ذلك يعود إلى إحكام بنائه وضخامة وقوة الأحجار التي نفذ بها ، وشكله الأسطواني الذي ساعده على مقاومة تأثير تيارات الرياح رغم وقوعه في مكان مكشوف لهبوب الرياح الشديدة قريب من شاطئ البحر الأحمر على بعد لا يزيد عن المائة متر .

كما نستطيع أن نعد من المعالم الأثرية عشرات المخازن التجارية التي يتكون منها الجزء الذي يمثل قلب هذه المدينة ، الذي أصبح أكثره خراباً ، حيث تحولت تلك المخازن إلى أشباح بلا أرواح أو أطلال خاوية على عروشها ، بعد تدهور وتوقف حركة ميناء القنفذة وموت نشاطها التجاري .

وقد بنيت من حجارة الشعاب المرجانية وانعكس في بنائها ما بلغته هذه البلدة من الثراء والسعة ، فزينت واجهات كثيرة من هذه المخازن بالتقويسات التزيينية ، ونقشت أعتابها العلوية بكثير من الزخارف النقشية ، وكتابة العبارات الدعائية ، وعبارات تاريخ التأسيس أو تمام البناء ، وقد وجدنا أقدم تاريخ فيها يعود إلى سنة ١٢٧١هـ ، ولا نعتقد بأنه أقدم تاريخ مكتوب على هذه المخازن .

ويعد من المعالم الأثرية بعض البيوتات السكانية القديمة المبنية بحجارة الشعاب المرجانية أيضاً . وتتميز هذه البيوتات أيضاً بالزخرفة التقويسية المموجة والتربيعية المتكررة ، كما تتميز بعض مداخلها الرئيسية بوجود تلك التقويسات ونواتئ الأحجار المهذبة على شكل رأس السهم الهندسي . وكما انعكس الثراء على شكل بناء المخازن التجارية في هذه البلدة فكذلك انعكس على تلك البيوتات القديمة . ويدل ذلك أيضاً على ولع سكانها بالنواحي الجمالية في تزيين مبانيهم ومبلغ ما وصلوا إليه من رقي حضاري .

ظاهرة اجتماعية

ولأهل القنفذة ولع بتزيين صدور منازلهم من الداخل بشتى أنواع التحف والأواني المنزلية وتجميلها بصور الطبيعة والزهور والمزهريات الصناعية ، حتى ليخيل للناظر إليها وهو داخل الغرف المنزلية بأنه في معرض تجاري لهذه التحف والأواني والمزهريات والزهور ، ولا يتغالون أثمانها وكأنهم في ذلك حريصون على أن ينفذوا الحكمة الفنية القائلة : (إذا كان عندك قرشان فاشتر بأحدهما خبزاً وبالآخر زهرة) . كما أنهم يقومون

★ العسل في أسواق المرضبة ـ القنفذة ★





★ صيد السمك ★



★ صناعة القوارب لصيد الأسماك ★

بتزيين بعض الرفوف الداخلية والعتبات العلوية بالمنازل وكذلك واجهات الأبواب الرئيسية والنوافذ بالزخارف النقشية الهندسية والتشجيرية الرائعة ، وقد برع في هذه الصناعة قديماً وحديثاً بعض النجارين المهرة . ولذلك فقد تغالوا في اقتناء أنواع من الصناديق المصنوعة من السيسم المزخرفة بالنقوش التشجيرية والتلبيسات المعدنية المصنوعة في الهند كما يشاع .

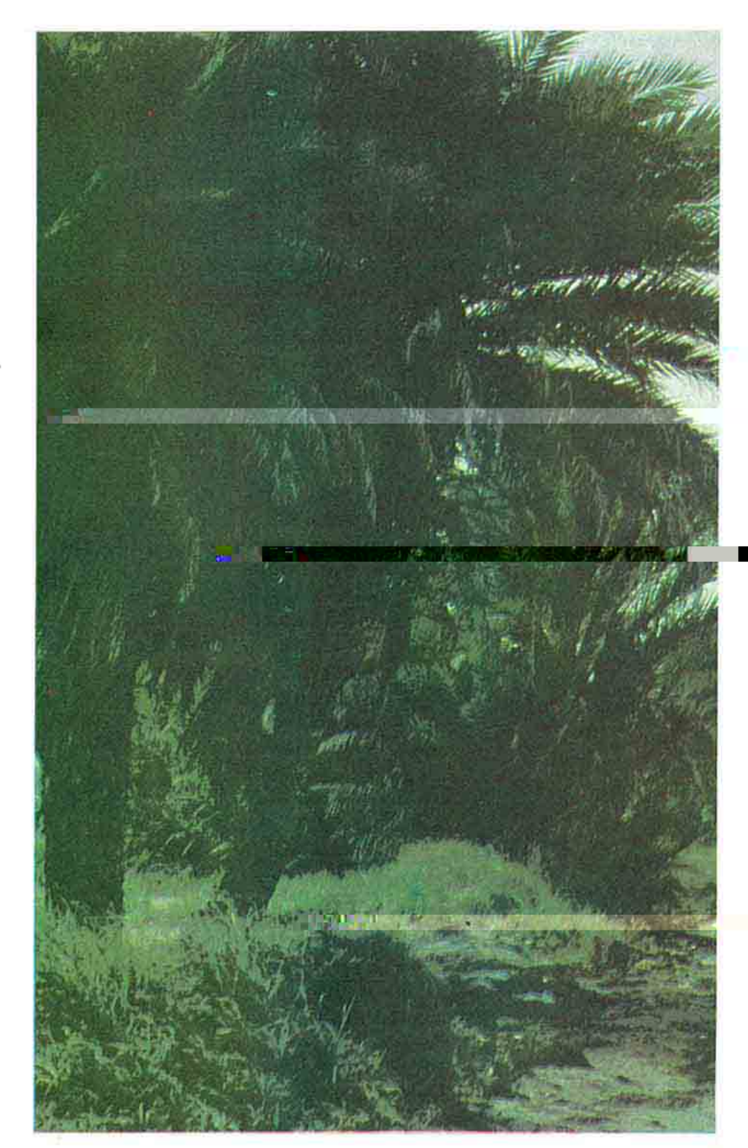
وكذلك الأسرة الفاخرة في صناعتها وزخارفها وأنواع من التخات والدواليب المجملة بالألوان والمرايا وغيرها . ويدل ذلك كله على روح الذوق الجمالي الذي نعتقد أنه أحد مظاهر الروح الحضارية الأصيلة التي يتمتع بها سكان هذه البلدة جيلاً بعد جيل نتيجة للحياة المتحضرة التي أوجدها ثراء مدينتهم وعطاءها الاقتصادي .

ويبدو أن هذا الولع الجمالي شائع لدى سكان بقية المدن البحرية المجاورة ، وقد ساعد عليه ما كان يجلبه إليها قديماً رجال البحر من تلك التحف والأواني والأدوات من شتى الأمصار الخارجية ، كما ساعد على ذلك ما عليه سكان المدن البحرية منذ القدم من الثراء واليسر والدعة .

النشاط السكاني

تعمل مجموعة كبيرة من سكان (القنفذة) في الأعمال الحكومية تبعاً لتوفر كافة فروع مصالح الدولة ، كما تشتغل مجموعة من السكان في أعمال البيع والشراء ، أو ما يعرف بتجارة القطاعي ، أما بالنسبة للأعمال التجارية الكبرى بمفهومها اليوم المعتمدة على الاستيراد والتصدير الخارجيين فلا يوجد بها من ذلك شيء ، وقد ألمحنا إلى توقف عجلة النشاط التجاري الخارجي بها منذ ما يقرب من ثلاثين سنة حينما تعطلت حركة النقل البحري بها بسبب النقل البري على الشاحنات السيارة براً .

وتعمل فئة من السكان في **صيد الأسماك** ، وقد نشطت أعمال هذه المهنة في هذه البلدة خاصة وبقية المراسي الصغيرة ، ومصائد الأسماك القريبة منها بشكل ملحوظ على أثر المساعدات المادية والعينية السخية التي تبذلها الدولة لصائدي الأسماك ، ونشطت تبعاً لذلك صناعة قوارب الصيد الصغيرة . على أن صناعة هذه القوارب أصبحت في أيد محدودة جداً من مهرة صناعها .



★ جبل وشاطىء القنع ـ المتنزه ★

وقد اشتهرت هذه البلدة **بصناعة السفن الشراعية** متوسطة وصغيرة الحجم في خلال القرون الماضية وإلى ما قبل السبعينات من القرن الماضي حيث كانت تعمل في نقل البضائع بين الموانئ القريبة منها ، وفي نقل أحجار الشعاب المرجانية التي تعد من الشعاب البحرية القريبة لاستعمالها في أغراض البناء وإعداد بعض مواده كالنورة البلدية .

وبدأت هذه الصناعة في التقلص منذ السبعينات الماضية حتى استقرت على **صناعة قوارب صيد الأسماك الصغيرة** وأثرت صناعتها المساعدة الحكومية السخية .

وتشتغل فئة محدودة العدد أيضاً في أعمال البناء المعماري بالحجر الشعبي ، وعندما توقف استخراج هذا النوع من الحجارة ، وحل محله استعمال الطوب الأسمنتي تحولت هذه الفئة إلى الاشتغال بهذه المادة ،

ولكنها لم تخرج في تصميم وتنفيذ مبانيها عن الطراز الشعبي المألوف بما فيه من الزخارف القوسية والتربيعية التي تظهر في واجهات وبعض جوانب البيوتات من الداخل والخارج .

المتنزهات

من الأماكن المشهورة التي اتخذها سكان هذه البلدة متنفساً ومتنزهاً مكانان لا يزال الناس يرتادونهما هما :

(١) جبل القنع .

(٢) وجزيرة أم القماري .

ونتحدث في التالي باختصار عنهما .

(١) جبل القنع : ويقع هذا الجبل جنوب شرقي القنفذة بعشرة أكيال ويتكون من امتداد صخري جيري التربة ، ومرتفع رملي ناصع البياض ، ويقع امتداده على جزء من شاطئ البحر الأحمر لمسافة حوالي ستة أكيال . لكن منطقة التنزه هي الجزء الشمالي منه لمسافة لا تزيد عن الكيلو ونصف الكيلو ، وفي هذا الجزء منه ينحصر بين شاطئ البحر وسفح الجبل مجموعة من أشجار النخيل على طول امتداد هذا الجزء يزين أسفل جذوعها بساط أخضر من الحشائش وأشجار الحلفاء ، ويمثل هذا المتنزه لوحة بديعة من الطبيعة الساحرة في هذا الموقع . ولذلك يخرج إليه بعض السكان طلباً للراحة والتنزه والاستمتاع بمنظره الخلاب وممارسة هواية صيد الأسماك على حافة هذا الشاطئ الجميل .

(٢) جزيرة أم القماري : وهي تقع إلى الجنوب من مدينة القنفذة بحوالي خمسة وعشرين كيلاً ، وتبعد عن حرف الشاطئ في داخل البحر بحوالي ثلاثة أكيال . يبلغ قطر استدارة هذه الجزيرة حوالي ثلث الكيل ، وتكتظ هذه الجزيرة **بأشجار الأراك** ، وقليل من أشجار الحمض والصاب ، وتمتلئ هذه الأشجار بالآلاف المؤلفة من **طيور القماري** ، وخاصة في مواسم الزراعة ولذلك يخرج راغب النزهة والصيد



★ القنفذة على الخارطة ★



إليها في مواسم معينة للنزهة والاستمتاع بالصيد . ولذلك سميت باسمها هذا (أم القماري) .

على أن كثيراً من سكان القنفذة يجدون في الأرض الزراعية القريبة منها إبان قيام الزراعة فيها مجالا واسعاً للنزهة وللترفيه والاستمتاع بجمال الطبيعة الخضراء .

الهوامش

(١) انظر : (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢/٢٧ ـ ٣٠ ، ٧/٢٧١ ـ ٢٧٤ ، حول مدينة جدة : للشيخ حمد الجاسر : مجلة العرب ، ج ٣ ، س ١٥ ، رمضان وشوال ، ١٤٠٠هـ ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣) .

(٢) انظر : (الارتسامات اللطاف ٢٢٢ : المعادن في البلاد العربية القديمة ، لبرنارد موريتس ، تعريب : أمين رويحة : مجلة العرب ، ج ٧ ، س ٢ ، محرم ١٣٨٨هـ ، ص ٥٨٠ ـ ٥٨٢ ، ٥٨٨) .

(٣ ـ ٥) انظر المصدر السابق الأخير ، ص ٥٨٠ ، ٥٨٨ ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٢/١٩٢ ، ١٩٣ .

(٦ ـ ٧) انظر (كتاب البلدان لليعقوبي : ٣١٤ ، المعادن القديمة في بلاد العرب للشيخ الجاسر : مجلة العرب ، ج ١٠ ، س ٢ ، ربيع الثاني ١٣٨٨هـ ، ص ٩٠٩) .

(٨) أعددنا بحثاً عن قرية : «عشم» الأثرية ضمن بحثنا عن «المدن والقرى الأثرية في تهامة» ، وسننشره قريباً إن شاء الله .

(٩) انظر : (صفة جزيرة العرب : ٢٥٩ ، المعادن القديمة في بلاد العرب : مجلة العرب ، ج ١٠ ، س ٢ ، ربيع الثاني ١٣٨٨هـ ، ص ٩٠٧ ، ٩٠٨) . وأعددنا عن ضنكان أيضاً بحثاً ضمن بحثنا مار الذكر .

(١٠) انظر : (أمراء البلد الحرام : ١٥١ ، ١٥٧ ـ ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، ٣٣٥) .

(١١) انظر : (المصدر السابق : ٣٣٥ ، ٣٧١ ـ ٣٧٣ ، المنجد : ملحق الآداب والعلوم : ٤٢٤ مادة : «قنفذة») .

(١٢) أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(١٣) ومن ذلك ورودها بالذال المعجمة في الوثيقتين المشار إليهما في المصدر السابق .

(١٤) انظر : (البرق اليماني في الفتح العثماني : ١٧٤ ، ٤٤٦ ، سمط النجوم العوالي : ٤٣٧ ، ٤٩٢ : ووردت فيه بإعجام الذال أيضاً ص : ٢٨٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ولعل ذلك جاء تصحيفاً في المخطوطة أو المطبوعة) .

(١٥) اللهجات العربية في التراث : ٢/٤٣٤ ، ٤٣٥ نقلاً عن «اللسان» وعن «حروف الإطباق للدكتور خليل نامي» .

(١٦) المنجد : ٥٠ مادة : «البندر» .

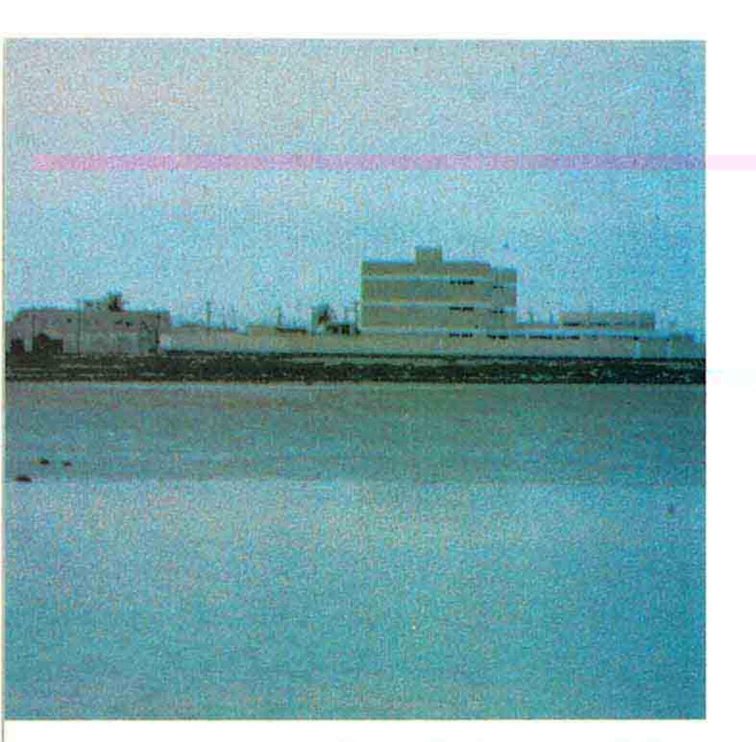
(١٧) انظر : (البرق اليماني في الفتح العثماني : ١٢٨ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ٤٤٥ ، سمط النجوم العوالي : ٤/٤٦٧) .

(١٨) لسان العرب المحيط : ٢/١٧٥ مادة : «قنفذ» .

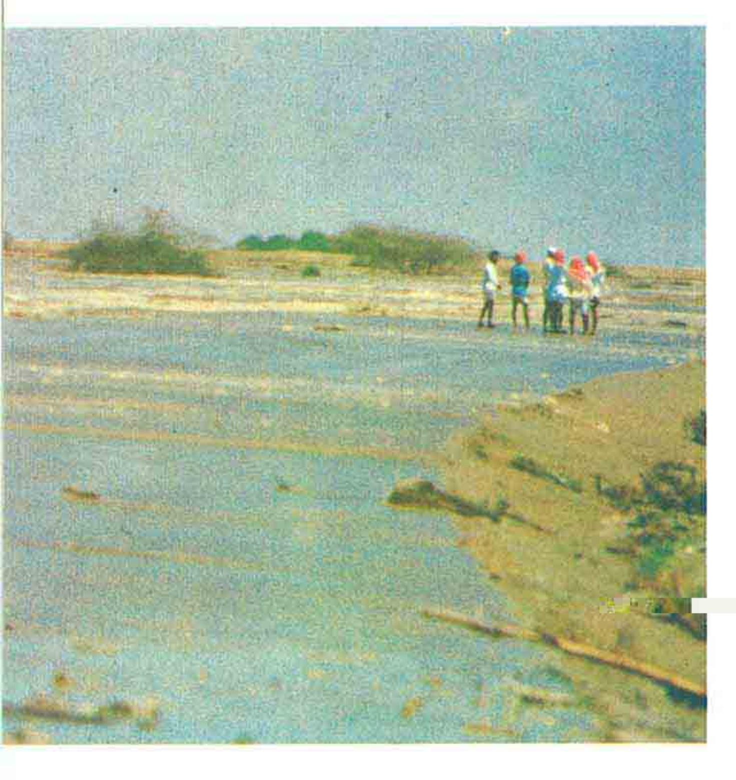
(١٩) أخبار مكة المشرفة : ٢/٣٢٠ قرية قنونا . وانظر : «قدم القنفذة» في هذا البحث .

(٢٠) انظر : «قدم القنفذة في هذا البحث» .

(٢١) انظر : (سمط النجوم العوالي ٤/٢٨٤ ، ٢٨٥ ، أمراء البلد الحرام : ٦٩ ، وفي تاريخ مكة المكرمة للسباعي أن عائلة القاضي المذكور نفيت إلى جزيرة ابن بركوت وأغرقهم نائبه عليها في عرض البحر ، ص ٣١١ ، وفي درر الفوائد



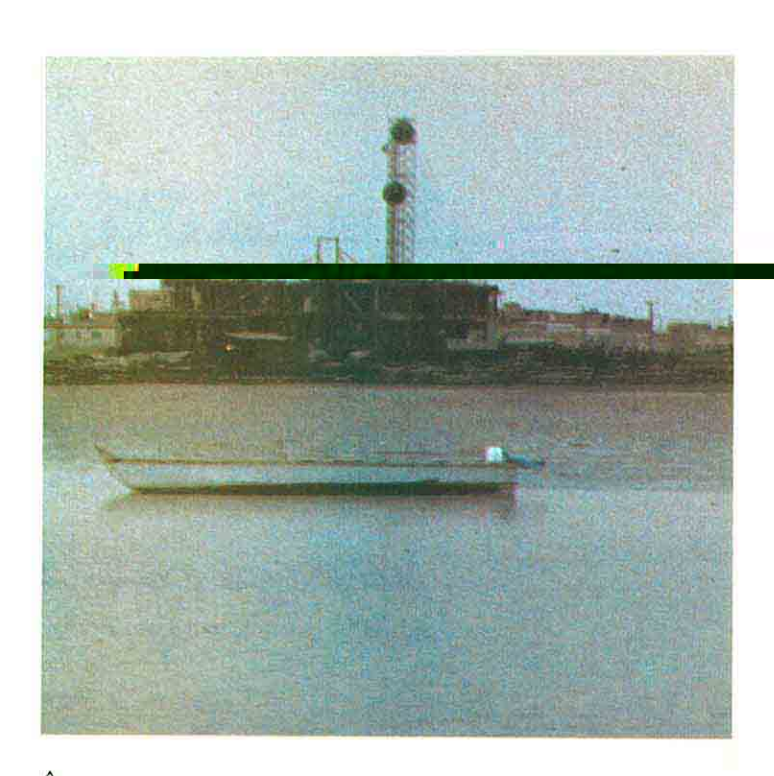
▽ ★ منظر لسيل يفيض على أحد الأودية ويكتسح الطرق بتهامة ★



المنظمة للجزيري : أنه نفي بجزيرة الصبايا ولعل المقصود (جبل الصبايا) وهو جزيرة صخرية رملية تقع جنوب القنفذة بستين كيلاً تقريباً مقابل فرشة مصب وادي حلي) .

(٢٢) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني : ٢/٦٣٢ .

(٢٣) انظر : (صورة الأرض : ٣٢ ، أحسن التقاسيم : ٨٦ ، منازل الحجاز : ورقة ١٤ ب ، تاريخ المستبصر : ٥٣ ، جزيرة العرب من كتاب المسالك والمسالك للبكري : ٤٩ ، رحلة ابن بطوطة : ٢٤٦ ، ٢٤٧) . وأعددنا بحثاً عنها ضمن بحثنا مار الذكر ويبعد موقعها عن القنفذة جنوباً بحوالي ٦٣ كيلاً .



★ ميناء القنفذة ★ △



(٢٤) انظر : (صورة الأرض : ٢٩ ، ٣٣ ، أحسن التقاسيم : ٨٦ منازل الحجاز : ورقة ١٤ ب ، تاريخ المستبصر : ٥٣) وأعددنا أيضاً عنها بحثاً ضمن بحثنا آنف الذكر .

(٢٥) سمط النجوم العوالي : ٤/٢٧٨ .

(٢٦) اعتمدنا في هذا التقدير لموتها على سكوت المراجع عن ذكر وجود حياة فيها منذ نهاية القرن السابع الهجري .

(٢٧) الليث : مدينة عند ساحل البحر الأحمر حيث مصب وادي الليث وتبعد جنوب مكة المشرفة بحوالي ١٨٥ كيلاً ، وتبعد شمال موقع مدينة السرين الأثرية بحوالي ٤٣ كيلاً .

(٢٨) أخبار مكة المشرفة ٢/٣٢٠ .

(٢٩) انظر : (أخبار مكة المشرفة للأزرقي : ١/٩٤ ، ديوان كثير عزة : ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، المسالك والممالك ، لابن خرداذبة : ١٤٩ ، معجم البلدان : ٤/٤٠٩) .

(٣٠) معجم البلدان : ٤/٤٠٩ .

(٣١) المصدر السابق : ٥/٤٢٨ .

(٣٢) انظر : (أمراء البلد الحرام : ٧٦ ، التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب للدكتور حسن أحمد محمود « مجلة العرب » ، ج ٧و٨ ، س ١٢ ، محرم وصفر ١٣٩٨هـ ، ص : ٦٠٤ ـ ٦٠٩) .

(٣٣) البرق اليماني في الفتح العثماني : ١٧٤ .

(٣٤) سمط النجوم العوالي : ٤/٤٦٧ .

(٣٥) المصدر السابق : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٣٦) أمراء البلد الحرام : ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٦٤ .

(٣٧) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني : ٢/٨٢٩ .

(٣٨) أخبار مكة المشرفة للأزرقي : ١/٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٣٩) هو : القاضي العلامة عبد الواحد بن أبي بكر الأنصاري كان رئيس القنفذة وما والاها سعى به بعض حسدته إلى الشريف سعد بن زيد لسعيه للإصلاح بين فئتين من الأشراف ، فقبضه وقيده وألحق به بعض الأذى وهمّ بقتله لولا شفاعة الشافعين واختار الإقامة بنجد الحجاز وتردد إلى القنفذة لزيارة أصدقائه ، كان متمكناً من العلم ذكياً وله مؤلفات ، مات سنة ١٠٨٩هـ ، باختصار عن ترجمته :

(البدر الطالع : ٣ الملحق : ١٤٣) . ويذكر العصامي سبباً آخر لقصته تتلخص في أنه كان ممن يتسمى بالقضاء وكان يتعاطى السكة خفية ويؤرخ لهذه الحادثة بسنة ١٠٧٨هـ : (سمط النجوم العوالي : ٤/٤٩٢) .

(٤٠) البدر الطالع : الملحق : ٢/١٤٣ .

(٤١) سمط النجوم العوالي : ٤/٥٠١ ـ ٥٠٢ .

(٤٢) أمراء البلد الحرام : (١٥١ ، ١٥٧ ـ ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٢) .

(٤٣) المصدر السابق : ١٨٣ .

(٤٤) الأعلام : ٧/١٩١ .

(٤٥) المنجد : ملحق الأدب والعلوم : ٤٢٤ مادة : « قنفذة » .

(٤٦) أمراء البلد الحرام : (٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٦ ، ٣٣٥ ، ٣٧١ ـ ٣٧٤) .

(٤٧) انظر : بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق كمالي : مجلة العرب ، ابتداء من الجزء التاسع السنة الخامسة ، ربيع أول ١٣٩١هـ ، فما بعد .

(٤٨) ويسمى زقاق القنفذة وهو في الهجلة بمكة المشرفة .

(٤٩) تاريخ مدينة جدة : ص : ٤٥٥ ، « زاوية القنفذية هو اسم أحد الشوارع القديمة المشهورة في مدينة جدة والشارع المسمى اليوم (شارع سوق الندى) » ، انظر : المصدر نفسه الصفحة نفسها .

للحصول على أفضل مَا تعطيه الكاميرا،
زوّدها بفيلم كوداكلر

لكي تحصل على أفضل ما تعطيه الكاميرا، من أي نوع كانت، تأكد من أنك تستعمل دائمًا فيلم **كوداكلر** لأفضل النتائج.

العالم يعتمد في ذكرياته على أفلام **كوداكلر** لأن افلام **كوداكلر** تعطيك صورًا ساطعة واضحة وطبيعية.



كوداكلر

باستعمال أفضل فيلم
تحصل على أفضل الصّور

Kodak



نظراً للأهمية التي أخذت تعطى للاهتمام باللغة العربية، وتطويرها وباستمرار لتناسب العصر من ناحية، والحفاظ عليها من ناحية أخرى، فإن مجامع اللغة العربية في البلدان العربية كل حسب طاقته، تأخذ على عاتقها القيام بهذه المهمات تجاه اللغة العربية.

ومجمع اللغة العربية الأردني، أحد مجامع اللغة العربية الأربعة، (الثلاثة الأخرى في دمشق، وبغداد، والقاهرة) التي تأخذ على عاتقها القيام بهذه المهمة الشريفة، والضرورية، والعصرية تجاه الحفاظ على اللغة العربية، ولذلك رأت «**الفيصل**» الالتقاء بالدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع للحوار معه، لمعرفة أهداف المجمع وأعماله، وكيفية تأسيسه والعضوية فيه.

د. عبد الكريم خليفة



إعداد:
عيسى حسن الجراجرة



اللغة.. لا تحيا في بطون الكتب.. لكنها تحيا بالاستعمال

تأصيل اللغة العربية

●● كيف يمكن تأصيل سيادة اللغة العربية وتعميق دورها في الاستعمال اليومي والرسمي؟

● «جميع الجهود التي تبذلها المجامع اللغوية، لا تعني شيئاً إلا إذا وجدت طريقها إلى التطبيق والاستعمال، في الصحافة ووسائل الإعلام، والعلم والحياة اليومية والرسمية من دوائر حكومية وشركات ومصالح، فاللغة لا تحيا في بطون الكتب، ولكنها تحيا بالاستعمال، وهذا يعمل على تطويع اللغة العربية وإشاعة المصطلحات العلمية والأساليب اللغوية الصحيحة، فضلاً عن مهمتها السامية في نشر الوعي اللغوي بين جماهير القراء. وأعني بالوعي اللغوي، تقويم اللسان، وتعميم المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة. وتنمية احترام اللغة العربية والاعتزاز بها في نفوس أبنائها».

أهمية التعريب

●● وماذا عن أهمية التعريب ودوره الحضاري والعلمي من ناحية، والحفاظ على نقاء اللغة العربية وسيادتها من ناحية أخرى؟

● «تأتي أهمية عملية التعريب من أن الأصالة، وصدق الانتماء، تفرضان على الإنسان أن يعتز بلغته وتراثه، وأن يحافظ عليهما، وأن لا يستبدل لغته الأصلية بلغة أخرى، لتصبح هي الأصل ولغته الأصلية شيئاً ثانوياً، لأن في ذلك تهديداً لكيانه وشخصيته، وفقداناً لهويته. ومن ذلك فإن **قضية التعريب في جميع الأقطار العربية ضرورة حتمية ذات فوائد جمة على المستوى العلمي والوطني ونتائجها ذات أثر بعيد في مسيرة العالم العربي الحضارية والسياسية، وهي تعني أشياء كثيرة منها**:

(١) الاعتزاز باللغة العربية، التي تكون إحدى المقومات الأساسية في شخصية هذه الأمة وتحدد هويتها.

(٢) إخصاب اللغة العربية بالمصطلحات العلمية الحديثة، وإثراؤها بالمفردات الجديدة، وتطويرها لمسايرة روح العصر.

(٣) إبطال قول المدعين أن اللغة العربية ليست لغة علم وحضارة. وقد تناسوا أنها كانت لغة العلم والحضارة لفترات طويلة من تاريخ الإنسانية، ولم تتراجع عن هذا الدور إلا بتراجع أهلها وضعفهم.



● اللغة العربية قادرة على

(٤) أن تدريس العلوم باللغة القومية، يؤدي إلى زيادة النبوغ والقدرة على الإبداع والابتكار عند الدارسين، وتدريس العلوم باللغة العربية في جامعاتنا العربية يدفع أبناءنا في مختلف التخصصات على الاستيعاب الواعي، والعطاء المبدع.

(٥) توثيق الصلة بين المعطيات الحضارية لهذه الأمة في الماضي والحاضر.

(٦) العمل على تعميق أصالة الانتماء إلى الأمة، والإيمان الصادق بقدرتها على العطاء والإبداع، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بلغتها الأصيلة.

(٧) أن اللغة العربية بما لديها من خصائص وميزات، وما لها من تجربة تاريخية، قادرة على استيعاب ما يستجد من تطورات حضارية وعلمية».

الفرق بين التعريب والترجمة

●● ما الفرق بين التعريب والترجمة؟

● «في كثير من الأحيان تجد القارئ يخلط بين هذين المفهومين، والفرق بين مفهوم الترجمة والتعريب هو أن **الترجمة** تعني نقل الأفكار، ومعاني الجمل والتراكيب، وايحاءاتها وتصوراتها وخيالاتها من لغة إلى لغة أخرى، والمترجم في عمله غير معني باللفظة المفردة الأجنبية، وتحديد ما يقابلها في اللغة العربية، بل يحرص على نقل ظلال المعاني من اللغة المترجم عنها إلى اللغة المترجم إليها. أما **التعريب** فهو محاولة تأصيل العلوم والتقنيات الحديثة في الفكر العربي الأصيل، من حيث جعل العربية لغة التدريس في جميع مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي، من ناحية، ومن ناحية أخرى التأكيد على جعلها لغة البحوث العلمية، المادية منها والإنسانية، فهناك فرق كبير بين ترجمة كتاب في الفيزياء أو الكيمياء مثلاً، من اللغة الإنجليزية أو الفرنسية إلى اللغة العربية، وبين تعريب علم الفيزياء أو علم الكيمياء أو الرياضيات. **فالترجمة تهدف إلى نقل كتاب من لغة إلى أخرى، في حين أن التعريب يهدف إلى جعل هذه العلوم أصيلة في الفكر العربي وذلك من خلال اللغة العربية**، وهذه خطوة أساسية من أجل الوصول إلى مرحلة الإبداع والمشاركة الفعلية في بناء الحضارة العالمية.

وقد نهج لنا السلف نهجاً سليماً في إيجاد المقابلات للمصطلحات الأجنبية إبان عصر **الحضارة الإسلامية**، فعندما أخذ العلماء المسلمون

د. عبد الكريم خليفة في سطور

★ من مواليد مدينة «السلط» ـــ الأردن، عام ١٩٢٤م.

★ دكتوراه ـــ جامعة السوربون.

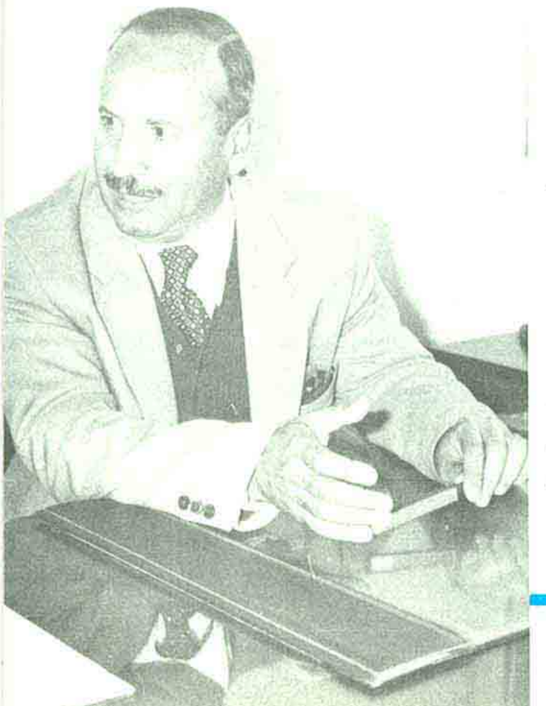
★ يجيد الفرنسية، والإنجليزية، ويلم بالإسبانية.

★ تنقل في عدة مناصب كان آخرها منصب رئاسة الجامعة الأردنية، وحالياً يرأس مجمع اللغة العربية الأردني.

★ عضو اللجنة الأردنية لوضع المناهج الموحدة، وعضو اللجنة التي شكلت لمعالجة قضية الكتب المدرسية، وعضو لجنة التعريب والترجمة والنشر الأردنية، وعضو لجنة الخبراء التابعة للمنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم بشأن «حصر المفردات» في اللغة العربية، وعضو اللجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب بالرباط ـــ المغرب.

★ شارك في عدد من المؤتمرات التعليمية والثقافية.

★ له عدد من الكتب المطبوعة: «التربية وأصول التدريس»، «إخوان الصفا وخلان الوفا»، «ابن حزم ـــ حياته وأدبه»، وغيرها إلى جانب عدد من المقالات والبحوث نشرها في الصحافة.





استيعاب معطيات الحضارات

ينقلون العلوم والمعارف من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، اعتمدوا على ثلاثة أسس : **أولها** : إيجاد اللفظة العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي ، **وثانيها** : إخضاع اللفظ الأجنبي إلى أوزان العربية ، **وثالثها** : أخذ المصطلح الأجنبي بلفظه ، إذا كان مصطلحاً علمياً عاماً متداولاً في الوسط العلمي العالمي ، وذلك عند الضرورة » .

تأسيس المجمع

●● ماذا عن تاريخ تأسيس المجمع ، ومراحل تطوره ، وكيفية تنظيمه ؟

● « بدأت فكرة تأسيس **مجمع اللغة العربية الأردني** منذ إنشاء اللجنة الأردنية للترجمة والتعريب والنشر في وزارة التربية والتعليم الأردنية عام ١٩٦١ م ، ثم تلا ذلك موافقة مجلس الوزراء المبدئية على إرسال ثلاثة وفود لزيارة المجامع العربية في القاهرة ، ودمشق ، وبغداد ، من أجل الاستفادة من خبرات هذه المجامع وتجاربها في هذا المجال .

وفي عام ١٩٧٦ م ، صدرت الإرادة الملكية السامية بالموافقة على تأسيس مجمع اللغة العربية الأردني ، بحيث يتمتع بشخصية معنوية ذات استقلال مالي وإداري ، ويكون مرتبطاً بوزير التربية والتعليم . وصدر القانون المؤقت للمجمع في الجريدة الرسمية رقم (٢٦٣٤) تاريخ ١/٧/١٩٧٦ م .

وبتنسيب من وزير التربية والتعليم ، صدرت الإرادة الملكية السامية بالموافقة على تعيين خمسة أشخاص ، هم نواة المجمع ومكتبه التنفيذي ، وعهدت إليهم مهمة اختيار بقية أعضاء المجمع . **وقد باشر المجمع عمله رسمياً ابتداء من ١/١٠/١٩٧٦ م** ، حيث تم استئجار مبنى له أول الأمر ، ثم أخذ يعمل على توفير مبنى دائم له ، وتحققت جهوده في إنشاء مقره الجديد بالقرب من حرم الجامعة الأردنية ، وتم الانتقال إليه بتاريخ ١/٦/١٩٨٠ م .

أما كيفية تنظيم المجمع وممارسته لأعماله فهناك :

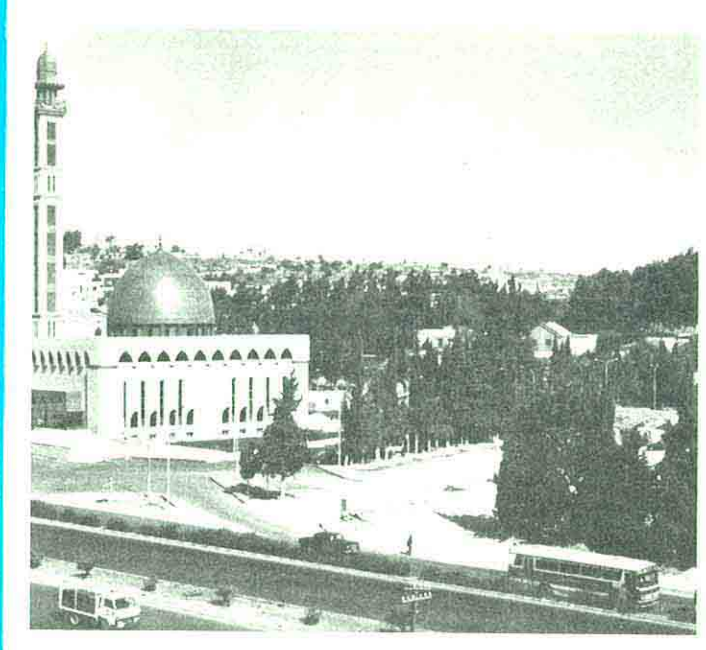
١ ــ **مجلس المجمع** ، وهو الهيئة العامة التي ترسم سياسة المجمع . ويعقد اجتماعاً عادياً مرة في كل شهر على الأقل . ويبلغ عدد أعضاء مجلس المجمع حالياً ثلاثة عشر عضواً .

٢ ــ المكتب التنفيذي ، يتألف من رئيس المجمع ، ونائب الرئيس ، وثلاثة أعضاء عاملين . ويتولى إدارة شؤون المجمع الإدارية والمالية ، والإشراف على أوجه نشاطه .

٣ ــ أعضاء شرف .

٤ ــ أعضاء مؤازرين .

وهناك عدد محدود من الموظفين يقومون بأعمال المجمع الإدارية » .



مبنى المجمع الأردني وهو في طور الإنشاء ويظهر في الصورة قبة ومئذنة مسجد الجامعة الأردنية ★

أهداف المجمع

●● ما أهداف المجمع ؟

● « إن إنشاء مجمع اللغة العربية الأردني عام ١٩٧٦ م ، ضرورة وطنية تقتضيها حاجة الأمة في ظروف تخلفها العلمي الراهن ، ويقتضيها الحرص على سلامة اللغة العربية وتطورها ، والسمو بها لكي يكون في مقدورها أن تؤدي دورها الحضاري والإنساني ، ولتحل محل اللغات الأجنبية في جامعاتنا العربية .

وتتضح أهمية مجمع اللغة العربية الأردني ، ودوره في إبراز الطابع الحضاري للأمة العربية ، من خلال الأهداف التي نص عليها قانونه ، ومنها :

(١) الحفاظ على سلامة اللغة العربية ، وجعلها تواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون الحديثة .



(٢) توحيد مصطلحات العلوم والآداب والفنون، ووضع المعاجم، والمشاركة في ذلك بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم، والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية داخل المملكة وخارجها.

(٣) إحياء التراث العربي والإسلامي في العلوم والآداب والفنون».

وسائل تحقيق الأهداف

●● **ما الوسائل التي يعتمدها المجمع لتحقيق أهدافه؟**

● «تحقيقاً للأهداف السالفة الذكر يقوم المجمع بما يلي:

١ ـ القيام بالدراسات والبحوث المتعلقة باللغة العربية.

٢ ـ تشجيع التأليف والترجمة والنشر وإجراء المسابقات لذلك.

٣ ـ إنشاء مكتبة للمجمع، تفي بحاجته من المصادر والمراجع والمعاجم والموسوعات.

٤ ـ ترجمة الروائع العالمية، ونشر الكتب المترجمة إلى العربية ومنها.

٥ ـ عقد المؤتمرات اللغوية في المملكة وخارجها، وإقامة المواسم والندوات.

٦ ـ نشر المصطلحات الجديدة التي تم توحيدها في اللغة العربية بمختلف وسائل الإعلام وتعميمها على أجهزة الدولة.

٧ ـ إصدار مجلة دورية تصدر نصف سنوياً، تعرف باسم (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني).

٨ ـ ويصدر عن المجمع بالإضافة إلى مجلته المطبوعات التالية:

أ ـ نشرات وكراريس تتضمن المصطلحات الأجنبية والمقابلات العربية، التي أقرها مجلس المجمع.

ب ـ تحقيق بعض كتب التراث، وصدر منها الآن **كتاب رسائل أبي العلاء المعري**، في ثلاثة أجزاء **تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة**.

جـ ـ الكتب العلمية المترجمة، وصدر منها كتاب الرياضيات في جزءين.

د ـ التقارير السنوية الخاصة بالمجمع».

لفتة تاريخية

من الجدير بالذكر هنا أنه قد جرى إنشاء مجمع علمي عام ١٩٢٤م، في الأردن في عهد الإمارة، وانتخب الشيخ سعيد الكرمي رئيساً له، والفيلسوف التركي رضا توفيق، والشيخ مصطفى الغلاييني، ورشيد بقدونس، ومحمد الشريقي، أعضاء. كما انتخب أحمد زكي باشا، ومحمد كرد علي، والشيخ أحمد عباس الأزهري، والأب أنستاس الكرملي، واسعاف النشاشيبي أعضاء شرف. ولم يقدر للمشروع التمام حينذاك لأسباب عديدة.

الأعضاء المؤسسون

حصلت «**الفيصل**» على المعلومات وأسماء أعضاء المجمع من الدكتور عدنان البخيت الأستاذ المساعد في قسم التاريخ في الجامعة الأردنية:

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع.

الأستاذ الدكتور محمود السمرة، نائب الرئيس.

الأستاذ الدكتور سعيد التل.

الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم.

الأستاذ عيسى الناعوري أمين عام المجمع.

أعضاء المجمع

حصلت «**الفيصل**» من **الدكتور عيسى الناعوري أمين عام المجمع** على معلومات تفصيلية حول عدد أعضاء المجمع وأسمائهم من الفئات الثلاث العاملين والمؤازرين وأعضاء الشرف كما يلي:

ما يزال عدد **أعضاء المجمع العاملين** ثلاثة عشر عضواً فقط، وهم:

الدكتور عبد الكريم خليفة (رئيس المجمع)، الدكتور محمود السمرة (نائب الرئيس)، الدكتور سعيد التل (وزير التربية والتعليم، عميد كلية التربية في الجامعة الأردنية سابقاً)، الدكتور محمود إبراهيم (أستاذ في



شروط العضوية

●● ما شروط العضوية في المجمع ؟

● « ينص قانون المجمع على أن يتألف المجمع من :

أ ـ أعضاء عاملين ، ويشترط في العضو العامل ما يلي :

١ ـ أن يكون أردني الجنسية .

٢ ـ أن لا يقل عمره عن ثلاثين سنة ، ولا يزيد على سبعين سنة .

٣ ـ أن لا يكون محكوماً بأية جناية أو جنحة تمس الشرف والكرامة .

٤ ـ أن يكون ذا مقدرة في اللغة العربية تمكنه من المشاركة في أعمال المجمع ، وأن تكون له كتب منشورة في أحد فروع العلم المعرفة ، أو بحوث أو ترجمات معروفة .

ويتم تعيين العضو العامل بموافقة أكثرية الأعضاء في مجلس المجمع ، بناء على تزكية خطية من عضوين عاملين على الأقل ، تتضمن صفاته الخلقية ومؤهلاته العلمية . على أن يقترن القرار بالإرادة الملكية السامية .

ب ـ **أعضاء مؤازرين** ، ويشترط في العضو المؤازر شروط العضو العامل باستثناء شرط الجنسية ، ويتم تعيين العضو المؤازر بموافقة أكثرية أعضاء مجلس المجمع ، بناء على تزكية خطية من عضو عامل واحد على الأقل تتضمن صفاته الخلقية ومؤهلاته العلمية ، وللعضو المؤازر أن يحضر اجتماعات مجلس المجمع ، وأن يشترك في مداولاته وأبحاثه ، دون أن يكون له حق التصويت على قراراته .

ج ـ **أعضاء شرف** ، وتمنح عضوية الشرف إلى :

١ ـ من يقدم خدمات جليلة للدراسات العربية .

٢ ـ العضو العامل عند بلوغه السبعين من عمره ، أو حين يصبح غير قادر على المشاركة في أعمال المجمع .

ويتم تعيين عضو الشرف بقرار من وزير التربية والتعليم ، بناء على تنسيب من المكتب التنفيذي للمجمع » .

●● هل هناك تعاون بين مجمع اللغة العربية الأردني والمجامع اللغوية في الدول العربية وما أبعاد هذا التعاون ؟

الجامعة الأردنية سابقاً) ، الأستاذ عيسى الناعوري (الأمين العام) ، الدكتور أحمد سعيدان ، الدكتور إسحق الفرحان ، الأستاذ ذوقان الهنداوي ، الأستاذ عبد الرحمن بشناق ، الدكتور عبد الكريم غرايبه ، الدكتور محمد سعيد النابلسي (محافظ البنك المركزي الأردني) ، الأستاذ الشيخ إبراهيم القطان (قاضي القضاة) ، الدكتور ناصر الدين الأسد (رئيس الجامعة الأردنية السابق) .

وكان عدد **أعضاء الشرف** خمسة عشر عضواً ، وقد أصبح العدد أربعة عشر عضواً بعد وفاة المستشرق عبد الكريم جرمانوس ، وهؤلاء الأعضاء هم :

الأستاذ حسني فريز (عمان) ، الأستاذ روكس العزيزي (عمان) ، الأستاذ محمد العدناني (بيروت) ، الأستاذ علي نصوح الطاهر (مصر) ، الأستاذ حسن الكرمي (لندن) ، الأستاذ أكرم زعيتر (بيروت) ، الدكتور حسني سبح (رئيس مجمع دمشق) ، الدكتور إبراهيم مدكور (رئيس مجمع القاهرة ، ورئيس اتحاد المجامع) ، الدكتور شوقي ضيف (مصر) ، الدكتور عبد الرزاق محيي الدين (رئيس المجمع العلمي العراقي سابقاً) ، الدكتور عبد العزيز الدوري (عمان) ، الدكتور صالح أحمد العلي (رئيس المجمع العلمي العراقي الحالي) ، الأستاذ عبد الله كنون (طنجة / المغرب) ، المستشرق الأستاذ فرانسيسكو غبريلي (إيطاليا) .

وفي هذا العام ١٩٨٠ م ، انتخب المجمع **أعضاء مؤازرين** له من مختلف الأقطار العربية ، ومن المستشرقين . ومن هؤلاء الأعضاء جميع أعضاء المجمع العلمي العراقي ، وعددهم ٤١ عضواً . وقد فعل المجمع ذلك رداً لتحية المجمع العلمي العراقي ، إذ كان هو البادئ بانتخاب جميع أعضاء المجمع الأردني أعضاء مراسلين له .



• إحياء التراث العربي الإسلامي

• « إن المجمع يؤمن بوحدة العمل والهدف والمصير ، وانطلاقاً من إيمانه وحدة العمل المجمعي فقد انضم إلى **اتحاد المجامع اللغوية العربية** عام ١٩٧٧ م . والمجمع يضيف جهده إلى جهودهم الحميدة في هذا المضمار . ويأمل أن يأتي اليوم الذي تتوحد فيه الجهود عامة في الجامعات العربية والمجامع اللغوية ، والمؤسسات التعليمية والتربوية ، من أجل إعزاز لغة الضاد الشريفة ورفع شأنها .

والمجمع يتعاون مع المجامع العربية في شتى المجالات ، وذلك عن طريق تبادل المنشورات والمطبوعات ، تبادل الآراء والمشاورات ، عقد الندوات واللقاءات من أجل وضع خطة عمل موحدة تحقق للغة العربية مكانتها وتعيد لها مجدها ، كما كانت في سابق عهدها » .

حركة العمل في المجمع

•• كيف يعمل أعضاء المجمع ولجانه ؟

• « شكل المجمع عدداً من اللجان الدائمة ، وذلك من أجل تنظيم أعماله وتوزيعها بشكل يضمن لها السرعة في الإنجاز ، والدقة في الأداء ، وهذه اللجان هي :

(لجنة التعريب والمصطلحات والمعاجم ، لجنة الترجمة ، لجنة التراث والأصول ، لجنة المجلة والمطبوعات والمكتبة ، لجنة المتابعة) .

ونظراً لطبيعة عمل المجمع التي تتطلب التعاون مع جهات كثيرة فإن المجمع يستعين ببعض الخبراء من ذوي التخصصات المختلفة من الوزارات والدوائر الحكومية والمؤسسات العامة والخاصة ، إذا دعت الحاجة إلى ذلك .

تبدأ هذه اللجان عملها في المجالات المنوطة بها ، وعندما تفرغ منه ، يعرض على مجلس المجمع من أجل مناقشته وإقراره ، ونشره في كتب مستقلة ، ثم توزيعه على الجهات المعنية في العالم العربي ، خدمة للغتنا العربية ، وتحقيقاً لأهدافها وقضايانا المشتركة » .

وهؤلاء هم أعضاء المجمع العلمي العراقي الذين انتخبوا أعضاء مؤزرين في المجمع الأردني :

الدكتور سعدون حمادي ، الأستاذ عزيز عقراوي ، الدكتور مسارع الراوي ، الشيخ بهجت الأثري ، الدكتور محمود الجليلي ، الأستاذ طه باقر ، الدكتور منذر إبراهيم الشاوي ، الدكتور رحيم سعد ، الدكتور عبد العزيز البسام ، الأستاذ كوركيس عواد ، الأستاذ ضياء شيت خطاب ، الدكتور علي المياح ، الدكتور جميل الملائكة ، الدكتور جمال محمد صالح ، الدكتور علي عطية عبد الله ، الدكتور حسن كتاني ، الأستاذ ميخائيل عواد ، الدكتور فخري الدكتور عبد العال الصكبان ، الأستاذ سنحاريب زكا عيواص (البطريرك أغناطيوس زكا الأول) ، الشيخ محمد الخال ، الدكتور جوامير مجيد سليم ، الأستاذ يوسف خيدو والبازي ، الدكتور يوسف عز الدين ، الدكتور زكي صالح ، الدكتور جابر الشكري ، الدكتور محمد صالح الدباغ ، الأستاذ أندراوس حنا ، الدكتور أحمد ناجي القيسي ، الأستاذ محمد تقي الدين الحكيم ، الأستاذ محمود شيت خطاب ، الدكتور أحمد سوسة ، الشيخ عبد الكريم المدرس ، الأستاذ موسى عبد الصمد ، الدكتور يوسف حبي ، الدكتور ناجي عباس أحمد ، الدكتور جواد العلي ، نجيب خروفه ، الدكتور نوري القيسي ، الدكتور كامل حسن البصير ، الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، الأستاذ محمد حسن آل ياسين .

ومن مجمع دمشق :

الدكتور عدنان الخطيب ، الدكتور محمد هيثم الخياط ، الدكتور شكري فيصل .

ومن المجمع العلمي الهندي في عليكرة :

الدكتور علي محمد خسرو ، الدكتور مختار الدين أحمد ، الأستاذ أبو حسن الندوي .

والأساتذة التالية أسماؤهم :

الدكتور محمد أحمد سليمان عمان (عضو في



من أهداف "المجمع" الرئيسية

جهود المجمع في خدمة العربية

●● ما جهود المجمع لتأصيل سيادة اللغة العربية الشريفة، لغة القرآن الكريم ولتعميق دورها في الاستعمال اليومي والرسمي؟

● «يعمل المجمع على معالجة أسباب ضعف العرب في اللغة العربية، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، قام المجمع بالأمور التالية:

أ ـ حث السلطات الرسمية على إلغاء التسميات الأجنبية للمؤسسات والشركات الأردنية والمحال التجارية، واستبدالها بالتسميات العربية.

ب ـ الاتصال بوزارة الإعلام من أجل عقد دورات منتظمة للمذيعين والمنتجين، يشارك فيها المجمع. وتم من أجل ذلك عقد لقاءات مع مدير البرامج في الإذاعة الأردنية ومدير البرامج في التلفزيون الأردني، ورئيس قسم البرامج الثقافية ورجال الصحافة. وتم الاتفاق أخيراً على عقد دورة للعاملين في وزارة الإعلام خلال النصف الثاني من شهر آذار (مارس).

جـ ـ الاتصال بوزارة التربية والتعليم، لعقد لقاءات مع المسؤولين من أجل بحث الوسائل الكفيلة بمعالجة الضعف عند الطلاب في اللغة العربية، وتم في هذا الصدد:

١ ـ حصر المفردات المستعملة في المرحلة الابتدائية، ضمن مشروع توحيد هذه المفردات في العالم العربي.

٢ ـ عقد ندوة استغرقت ثلاث جلسات، اشترك فيها ما لا يقل عن ستين شخصاً من وزارة التربية والتعليم، ووكالة الغوث، ومجمع اللغة العربية. صدرت عنها عدة توصيات، إلى وزارة التربية والتعليم،

ووكالة الغوث، ومجمع اللغة العربية، والجامعتين الأردنيتين والجهات الأخرى المعنية.

ولدى المجمع الآن عدة مشاريع يعمل على إنجازها، منها:

١ ـ الاستمرار في مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي، لجميع مستوياته الجامعية، وذلك لأن الوقوف عند تعريب التعليم الجامعي للسنة الأولى فحسب، يجعل العملية مبتورة، وقليلة الفائدة. والمجمع يعمل جاداً من أجل إنجاح هذا المشروع وتعميمه في الجامعات العربية.

مجمع القاهرة)، الأستاذ حمد الجاسر (المملكة العربية السعودية)، الدكتور إبراهيم السامرائي (بغداد)، الأستاذ أبو القاسم محمد كرو (تونس)، الأستاذ محمد مزالي (تونس)، الأستاذ محمود السعدي (تونس)، الأستاذ خليفة محمد التليسي (ليبيا)، الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح (الجزائر)، الأستاذ عبد الحميد المهري (الجزائر)، الدكتور عبد الهادي التازي (المغرب)، الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله (المغرب).

ومن المستشرقين:

● الأستاذ جاك بيرك (فرنسا)، الأستاذ بيدرو مارتينث مونتافيث (إسبانيا).



★ صورة لمبنى المجمع وهو في طور الإنشاء ★





٢ ـ العمل على تحقيق بعض كتب التراث الأصول ، وخاصة الكتب ذات الطابع اللغوي والعلمي للاستفادة منها في مسيرة المجمع من ناحية ، ولإحياء التراث العربي والإسلامي من ناحية ثانية . هذا وإن مشروع تفريغ المصطلحات العلمية من كتب التراث سيكون مصدراً مهماً في وضع المقابلات العربية للمصطلحات الحديثة .

٣ ـ مواصلة العمل في إعداد المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية في مختلف الوزارات والدوائر والمؤسسات العامة والخاصة .

٤ ـ القيام بالدراسات الميدانية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والجامعتين الأردنية واليرموك ، والمؤسسات التعليمية والتربوية الأخرى ، ومن أجل رصد الضعف في تعلم اللغة العربية ، والعمل على معالجته بالوسائل الفعالة .

٥ ـ تطوير مجلة المجمع ، وتوسيع نطاقها بشكل فعال ، يجعل منها نافذة أساسية تكشف عن إنجازات المجمع ، وأوجه نشاطه في المملكة وخارجها » .

نتائج الصلة بالمجامع

●● ما نتائج صلتكم بالمجامع اللغوية الأخرى ؟

● « إن المجمع يؤمن بوحدة العمل والهدف والمصير . وانطلاقاً من إيمانه بوحدة العمل المجمعي فقد انضم إلى اتحاد المجامع اللغوية العربية عام ١٩٧٧ م ، كما أشرت . وهو يضيف جهده إلى جهودهم الحميدة في هذا المضمار . ويأمل أن يأتي اليوم الذي تتوحد فيه الجهود عامة ، في الجامعات العربية والمجامع اللغوية ، والمؤسسات التعليمية والتربوية ، من أجل إعزاز لغة الضاد الشريفة ، ورفع شأنها .

والمجمع يتعاون مع المجامع العربية في شتى المجالات ، وذلك عن طريق :

١ ـ تبادل المنشورات والمطبوعات .

٢ ـ تبادل الآراء والمشاورات .

٣ ـ عقد الندوات واللقاءات من أجل وضع خطة عمل موحدة ، تحقق للغة العربية مكانتها ، وتعيد لها مجدها ، كما كانت في سابق عهدها .

٤ ـ المشاركة في المؤتمرات العربية والدولية للمجامع اللغوية .

ولأن المجمع يؤمن بضرورة المشاركة الفعلية في الندوات والمؤتمرات العلمية والأدبية ، واللغوية داخل الأردن وخارجه ، خدمة للنهضة الثقافية والعلمية الحاضرة وانطلاقاً من هذا الإيمان **شارك المجمع في عدد من المؤتمرات والندوات منها :**

١ ـ مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، الذي عقد في **بغداد** من ٤ ـ ٧ آذار (مارس) ١٩٧٨ .

٢ ـ مؤتمر مجمع القاهرة في دورته الرابعة والأربعين ، الذي عقد في **القاهرة** من ١٣ ـ ٢٧ آذار (مارس) ١٩٧٨ م .

٣ ـ ندوة الحاسبات الإلكترونية التي عقدت في **عمان** من ١ ـ ١٢ تموز (يوليو) عام ١٩٧٨ م .

٤ ـ مهرجان ابن رشد ، الذي عقد في **الجزائر** من ٤ ـ ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨ م .

٥ ـ ندوة اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية ، **في عمان** من ٣١ ـ ١٠ إلى ١٣ ـ ١١ ، ١٩٧٨ م ، بضيافة مجمع اللغة العربية الأردني .

٦ ـ مؤتمر مجمع القاهرة في **القاهرة** ما بين ٢٦ ـ ٢ إلى ١٢ ـ ٣ ١٩٧٩ م .

٧ ـ الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي في **مدينة تنغست في الجزائر** ما بين ٣٠ ـ ٨ إلى ٨ ـ ٩ ، ١٩٧٩ م » .

الاهتمام بالتراث

●● عملية إحياء التراث ما دور المجمع وما منجزاته في هذا الشأن ؟

● « إن عملية إحياء التراث العربي والإسلامي في اللغة والعلوم والآداب والفنون من الأهداف الأساسية التي نص عليها قانون المجمع وهو حريص على تحقيق هذا الهدف وذلك عن طريق اختيار الكتب الأصول في التراث العربي والإسلامي ، ثم يعهد بها بعد ذلك إلى أساتذة مختصين من أجل القيام بتحقيقها والاشراف عليها .

صدر عن المجمع في هذا المجال :

١ ـ **كتاب رسائل أبي العلاء المعري** ، في ثلاثة أجزاء تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة .

٢ ـ سيصدر قريباً كتاب « **الفلاحة لابن حجاج** » ، بإشراف **الدكتور عبد العزيز الدوري** » .

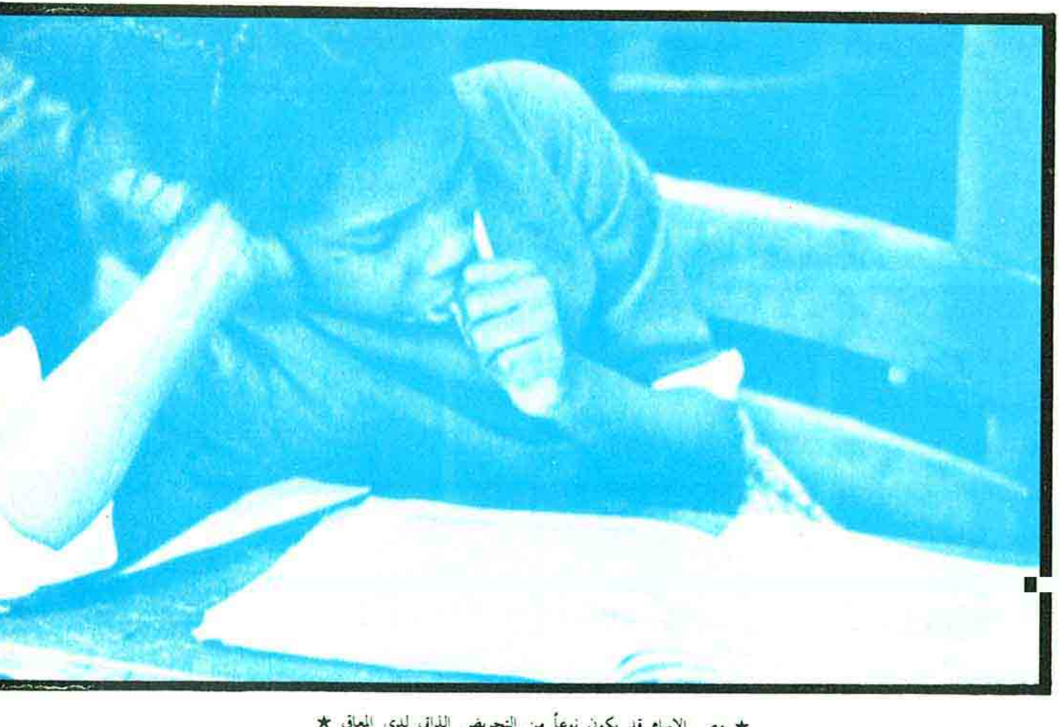
كان هذا اللقاء مع الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني عبارة عن سياحة داخل عقل وفكر المجمع .



الاتجاهات الحديثة



في علاج التخلف العقلي



★ مص الإبهام قد يكون نوعاً من التحريض الذاتي لدى المعاق ★

يعتبر التخلف العقلي من المشكلات الكبيرة التي تواجه الآباء، وتملأ نفوسهم بالألم والحيرة وتضعهم تحت ضغط نفسي مستمر. كما أنها تعتبر مشكلة اجتماعية تتضح في وجود نسبة من المجتمع عاجزة عن الكسب غير قادرة على الاعتماد على النفس. وهي بحق مشكلة تتطلب الاهتمام الواعي من جانب المختصين، كما تحتاج إلى الخدمات النفسية الحديثة التي تحول هؤلاء البشر من عالة على غيرهم إلى بشر قادرين سعداء، كما تخفف آلام المجتمع ومعاناته.

بقلم: د. محمد فرغلي فراج

ولقد دأبت المجتمعات في العصور الماضية على التعامل مع المتخلف عقلياً بأساليب متباينة تتراوح بين الإهمال أو سوء المعاملة، وفي أي من هذه الحالات كان المتخلف يزداد تخلفاً لحرمانه من حقوق العناية الإنسانية الرشيدة الواعية.

وإن كنا – رغم ذلك – نسجل الاعتزاز أن مجتمعاتنا الإسلامية أظهرت معاملة إنسانية أفضل للمتخلفين والمرضى النفسيين مما لقيه هؤلاء في المجتمعات الغربية في عصور تخلفها الحضاري. ولم يبدأ الغرب في تحسين هذه المعاملة إلا في القرن الماضي فقط، وبتأثير مما نقلوه عن الطب والعلوم والحضارة عند المسلمين.

وقد حدثت في منتصف القرن الحالي تطورات علمية هامة في أساليب العناية بالإنسان المتخلف عقلياً، أمكن بفضلها مساعدته على أن يعيش حياة آدمية كريمة.

فئات التخلف العقلي

يختلف المتخلف عقلياً عن الشخص العادي في عدة مظاهر، أهمها انخفاض مستوى الذكاء كما تقيسه **الاختبارات النفسية المقننة** (Standardized)، ويتضح ذلك في انخفاض القدرة على التعلم وحل المشكلات والتفكير المجرد (٢، ٦)، كما يتضح في ضعف المحصول اللغوي. بل قد نشاهد في الدرجات الشديدة من التخلف مشكلات التآزر الحركي، وضعف القدرة على العناية بالاحتياجات الشخصية، مثل ارتداء الملابس أو تناول الطعام أو ضبط وظائف الإخراج.

وهناك عدة تصنيفات للتخلف العقلي (**انظر «١»**).

ويمكن تصنيف درجات التخلف العقلي في أربع فئات ، لكل فئة منها خصائص معينة تتضح في مستويات نمو اللغة ، والسلوك الحركي ، وحل المشكلات ، والسلوك الاجتماعي ، والاعتماد على النفس ، كما يوضح ذلك الجدول رقم « ١ » . وإلى جانب ذلك فقد نجد لدى المتخلف عقلياً بعض أنواع السلوك غير الملائم . فقد يأكل القاذورات أو التراب ، وقد يتبول أو يتبرز في ملابسه ، وقد يلجأ إلى ضرب رأسه في الحائط لجذب الانتباه ، أو غير ذلك من أشكال السلوك غير الملائم .

جدول رقم (١) فئات التخلف العقلي الأربع

الفئة	درجة الذكاء	خصائص السلوك
سوي (عادي)	٩٠ فأكثر	لغة معقدة ، حكم سليم
تخلف خفيف	٥١ ـ ٧٠	يعرف كلمات قليلة ، يحل بعض المشكلات بصعوبة
تخلف متوسط	٣٦ ـ ٥٠	يعرف كلمات بسيطة ، يحل المشكلات اليومية بصعوبة ـ ضعف التآزر الحركي ، إهمال الملبس ، يفتقر إلى المهارات المهنية .
تخلف شديد	٢٠ ـ ٣٥	يعرف كلمات بسيطة ، لا يحل الكثير من المشاكل اليومية البسيطة ، ضعف التآزر الحركي ، عيوب جسمية كثيرة . لا يلبس بنفسه ، وغير مدرب على استعمال المرحاض .
تخلف عميق	١٩ درجة فأقل	يعرف كلمات محدودة جداً . لا يحل مشاكل الحياة اليومية البسيطة ، ضعف التآزر الحركي . عيوب جسمية كثيرة . لا يلبس بنفسه ولا يذهب للمرحاض ، يحتاج إلى رعاية مكثفة . لا يأكل بنفسه ولا يستخدم أدوات المائدة .

طريقة العلاج

يظهر التخلف العقلي منذ الميلاد أو الطفولة المبكرة . ويمكن للآباء ملاحظة بعض مظاهر البطء في النمو ، والقصور أو العجز لدى الطفل بالنسبة للوظائف الجسمية أو الحركية أو اللغوية أو الاجتماعية . وفي هذه الحالة لا بد من الإسراع باستشارة المختصين . ومن أهم الأمور التبكير بالعلاج حيث تزداد فرص التحسن مع صغر عمر الطفل . ولعل من أهم واجبات المجتمع في هذا الصدد توفير الخدمات النفسية القائمة على الأسس العلمية الحديثة لرعاية مختلف فئات التخلف العقلي والاضطرابات النفسية الأخرى للأطفال ، وأن لا يقتصر ذلك على مؤسسات التربية الفكرية التي ترعى فقط فئات التخلف العقلي الخفيف . بل هناك حاجة ماسة لإنشاء المؤسسات المتخصصة في العلاج العلمي للتخلف العقلي بدرجاته المختلفة .

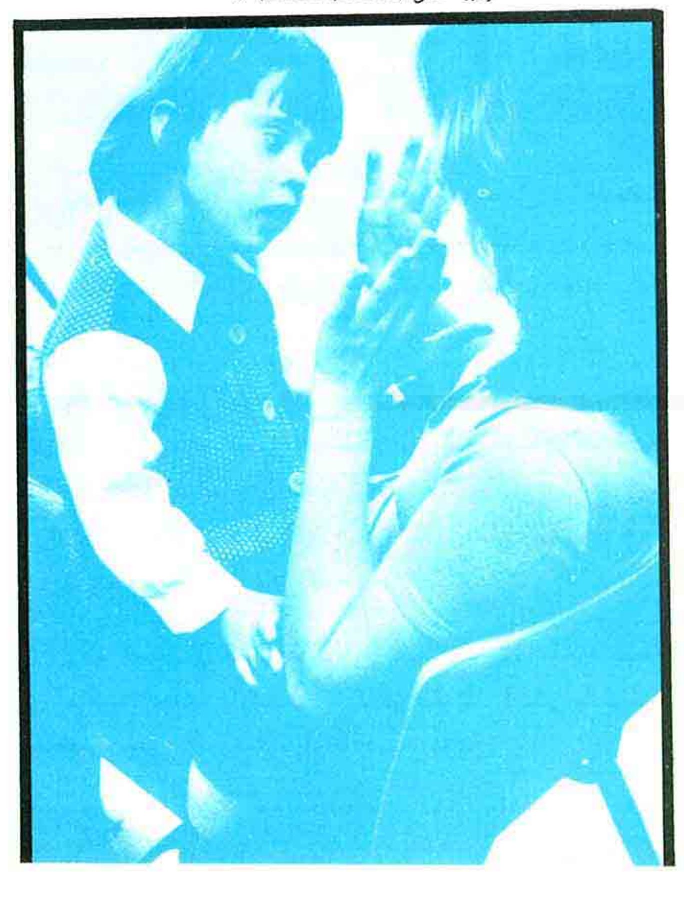
وعلاج التخلف علاج نفسي سلوكي في أساسه . حيث يلعب العلاج الطبي دوراً محدوداً بالنسبة لعلاج التخلف باستثناء القليل من الحالات التي تعاني من اضطرابات قابلة للعلاج الطبي ، أو الحالات المصحوبة بالصرع epilepsy أو فصام الطفولة .

فالعلاج السلوكي behavior therapy هو العلاج الرئيسي الذي يمكن من تنمية سلوك الطفل المتخلف ، ومن علاج مشكلاته الأخرى .

ويهدف العلاج السلوكي التربوي إلى تحقيق أمرين أساسيين :

- **أولهما** : زيادة رصيد الطفل من السلوك السوي ، وذلك بتعليمه المهارات الأساسية مثل ارتداء الملابس ، وتناول الطعام ، والعناية بحاجاته الخاصة ، بجانب الكلام ومبادئ القراءة والحساب وغيرها .
- **والأمر الثاني** : هو علاج المشكلات السلوكية للطفل ، وذلك

★ هذه الطفلة المتخلفة عقلياً لها ملامح وجهية تسمَّى (Down's syndrome) ★





★ جهاز يحمي الأطفال المصابين بالصرع من خطر السقوط ★

بتعليم الطفل أن يصدر السلوك المناسب في الزمان والمكان المناسبين . أي بعبارة أخرى جعل سلوكه ملائماً ومقبولا اجتماعياً ، وخفض السلوك غير الملائم .

والهدف العام للعلاج السلوكي التربوي هدف إنساني ، وهو أن نمكن الطفل من أن يحيا حياة إنسانية كريمة يعتمد فيها على نفسه إلى أقصى حد ممكن ، وأن لا يصبح مجرد عالة وعبئاً على أهله وذويه والمجتمع بوجه عام .

خطوات العلاج

تبدأ هذه الخطوات بتحويل الطفل إلى العيادة أو المؤسسة المتخصصة برعاية الأطفال المتخلفين عقلياً . ويلاحظ أن هناك مؤسسات تقبل فقط الأطفال ذوي التخلف الخفيف الذين تتراوح درجات ذكائهم بين ٥٠ ، ٧٠ درجة من درجات الذكاء . وتسمى هذه المؤسسات غالباً باسم **مؤسسات التربية الفكرية** . وتقتصر هذه المؤسسات في قبولها على أولئك الأطفال الذين لا يعانون من مشكلات أخرى نفسية أو جسمية أو عصبية .

ولكن هناك الكثير من الأطفال المعوقين فكرياً ممن تنخفض درجاتهم عن ٥٠ درجة أو ممن لديهم مشكلات أخرى كالصرع أو الشلل أو صعوبات البلع أو الفصام . . . وهؤلاء يحتاجون إلى مؤسسات متخصصة يستخدم فيها أنواع العلاج التي نتحدث عن بعضها في هذا المقال .

وبمجرد تحويل الطفل للمؤسسة يتم إجراء عملية فحص شاملة للطفل من النواحي المختلفة الجسمية والعقلية والاجتماعية وكذلك سائر المشكلات الصحية نفسية كانت أو جسمية .

وقد يتطلب الفحص إعطاء بعض الاختبارات النفسية التي تقيس الذكاء أو النضج الاجتماعي Social Maturity ، أو مقاييس الإصابة العضوية للمخ brain damage ، أو قد يتطلب الأمر القيام بعملية رسم المخ أو تصوير الدماغ بالأشعة السينية . . أو عمليات التحليل الطبي المختلفة .

وبناء على تلك الفحوص الشاملة يتم إعداد تقارير مفصلة عن مختلف النواحي النفسية والجسمية التي كشفت عنها الفحوص . كما يقوم المختصون بناء على ذلك بإعداد برامج التنمية السلوكية للطفل وبرامج علاج المشكلات السلوكية .

برامج التنمية السلوكية

تهدف هذه البرامج إلى تنمية مظاهر السلوك الإيجابي في جوانبه المختلفة من ناحية ، وإلى منع التدهور الذي يحدث كنتيجة لقلة المثيرات وفرص التعليم عند الطفل المتخلف من ناحية أخرى .

وتعمل هذه البرامج على بناء بيئة تساعد على نمو الطفل بدلا عن الإهمال أو عدم ملاءمة الأساليب التربوية التقليدية .

وتشير الدراسات التجريبية (م . فراج ، ع . السيد ، ١٩٧٥ م) إلى أنه كلما كان عمر الطفل أصغر كانت درجة استفادته من البرامج التربوية والنفسية أفضل . ولذلك فإننا نوصي بإجراء الفحوص النفسية وإلحاق الطفل بالمؤسسات المتخصصة بأسرع ما يمكن حالما يتبين أن معدل نموه العقلي والاجتماعي أبطأ من المعتاد بشكل جوهري .

وإذا كان النمو العقلي لعامة الناس الأسوياء يأخذ في الإبطاء منذ العشرينات من العمر ، ثم يأخذ في التناقص البطيء منذ أواخر الثلاثينات (١٢) ، فإن معدل النمو العقلي لدى المتخلف عقلياً يأخذ في الإبطاء والتوقف في سن أدنى من ذلك بكثير . ولهذا فمن المهم أن نقدم تلك الخبرات التربوية الحيوية ابتداء من الطفولة المبكرة . (٨) .

وبرامج التنمية السلوكية برامج فردية وليست عامة ، بمعنى أن البرنامج يعد خصيصاً تبعاً لحالة الطفل ، وبناء على تقييم جوانب القوة والضعف في سلوكه . وهو بذلك يأخذ في الاعتبار مستويات النمو المتفاوتة داخل الطفل الواحد . ويتفق ذلك مع حقيقة أن هناك فروقاً داخل الفرد بجانب الفروق بين الأفراد .

ويشتمل البرنامج على العديد من خطط التنمية السلوكية التي تهدف إلى التغلب على مشكلات الطفل وإلى الوصول للأهداف السلوكية التي يستطيع الطفل الوصول إليها بناء على التقييم وبفضل الأساليب العلمية الخاصة . وبذلك فإن هناك جانبان هامان هما :

(أ) مضمون البرنامج .

(ب) أسلوب أو طريقة التعلم .

ومن ناحية مضمون البرنامج السلوكي فإن من الممكن تصنيف

محتوياته بشكل عام إلى ثلاثة جوانب هي :

(١) السلوك اللفظي .

(٢) السلوك العملي .

(٣) السلوك الاجتماعي .

ويشتمل **السلوك اللفظي** بدوره على العديد من المهارات التي تبدأ من القدرة على استقبال وفهم الاتصال اللفظي أو الكلام ، والقدرة على التعبير اللفظي ابتداء من المستويات البسيطة للتعبير حتى المستويات الأكثر تعقيداً ، وكذلك القدرة على القراءة والعد الحسابي والكتابة ، وما يتبع ذلك من مهارات أعلى وأكثر تعقيداً .

أما **السلوك العملي أو الأدائي** Performance فيشتمل على جوانب حسية ، مثل التمييز الحسي والسمعي أو البصري أو غير ذلك من أنواع الحواس ، وجوانب إدراكية مثل إدراك الخطوط والأشكال والحجوم ، ويشتمل أيضاً على جوانب حركية مثل الرسم والتلوين والفك والتركيب ، وكذلك تعلم المهارات العملية كالنجارة والخزف والنسيج وغير ذلك .

وأما **السلوك الاجتماعي** ، فإنه يتضمن إدراك التعبيرات والمواقف الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية وتعلم السلوك الملائم اجتماعياً ابتداء من التحكم في وظائف الأكل والإخراج والنظافة وارتداء الملابس ، إلى السلوك الاجتماعي الأكثر تعقيداً مثل كيفية مخاطبة الآخرين ، وكيفية استخدام جهازالتليفون ، كتابة خطابات . . . . إلخ .

ويشتمل البرنامج التعليمي عادة على خطة مفصلة تحدد تفاصيل الأشياء التي يراد تعليمها للطفل ، والتي تتناسب مع حالته الفردية الخاصة . كما يحدد البرنامج أيضاً أنواع السلوك غير الملائم التي يراد تغييرها . وذلك هو الجانب العلاجي في البرنامج .

وبذلك فإن هذه البرامج تختلف من طفل لآخر تبعاً لاختلاف تفاصيل النمو ونواحي القوة والضعف لدى كل طفل . ويتم تكييف سرعة التعلم تبعاً لمستوى ذكاء الطفل وسرعة استيعابه .

أسلوب التعليم

لا تصلح الأساليب التربوية المستخدمة في المدارس العادية في تعليم الأطفال المتخلفين . فهم يحتاجون إلى أساليب خاصة تراعي قدراتهم العقلية وخصائصهم الوجدانية والسلوكية . ويتضح ذلك بشكل أكبر في حالة الأطفال الشديدي التخلف .

وقد طور علماء النفس في السنوات الأخيرة الأساليب الملائمة لتعليم الأطفال المتخلفين عقلياً . والاتجاه الرئيسي في هذا المجال هو ما يطلق عليه اسم **تعديل السلوك** Behavior modification .

وينبني تعديل السلوك على أساس نظرية التعلم التي طورها **عالم النفس الأمريكي سكينر** B. F.. Skinner والمسماة **بالارتباط الشرطي الفعال** Operant conditioning .

وتقوم هذه النظرية على مبدأ أساسي هام هو **مبدأ التدعيم** reinforcement والتدعيم يعني المكافأة بأنواعها المختلفة والتي يؤدي تقديمها للفرد عقب صدور السلوك إلى زيادة معدل حدوث هذا السلوك . فمثلاً إذا قام الطفل بسلوك معين فقمنا بإعطائه حلوى إثر حدوث هذا السلوك فإن الطفل يميل إلى تكرار هذا السلوك فيما بعد . والمهم هو إعطاء التدعيم عقب صدور السلوك فوراً عن الطفل .

أنواع المدعمات

هناك أساساً أربعة أنواع من المدعمات وهي :

(أ) **المدعمات الغذائية** : مثل أنواع المأكولات والحلوى والمشروبات التي يحبها الطفل .

(ب) **المدعمات النشاطية** : مثل اللعب بدمى أو ركوب دراجة أو اللعب بالكرة . . إلخ .

(ج) **المدعمات الاجتماعية** : وهي المدعمات التي تتضمن أشخاصاً آخرين مثال ذلك مدح الطفل وتشجيعه واحتضانه أو التربيت على كتفه أو غير ذلك من مظاهر الاهتمام الاجتماعي .

(د) **المدعمات الرمزية** : Tokens كالنقود أو قطع من البلاستيك مثلاً ، يمكن استبدالها بأشياء أخرى محببة للطفل .

وتتشابه جميع هذه المدعمات في أن إعطاءها للطفل عقب صدور السلوك فوراً يؤدي إلى زيادة معدل تكرار حدوث هذا السلوك . مع ملاحظة أن يؤخذ في الاعتبار تفضيلات الطفل والأشياء التي يحبها ، وبالتالي يمكن أن تؤدي دور المدعمات .

وهناك قواعد تفصيلية تحكم إعطاء المنبهات إلى جانب مبدأ الفورية . فنحن نبدأ دائماً بإعطاء التدعيم بصورة مستمرة ، أي في كل مرة يصدر فيها السلوك عن الطفل . . . وفيما بعد نتحول إلى ما يسمى **بالتدعيم المتقطع** ، حيث نعطي التدعيم عقب حدوث السلوك عدة مرات (مثلاً كل خمس استجابات نعطي التدعيم عقب خامس استجابة) .

ويؤدي استخدام **التدعيم الفوري** تبعاً لنظام معين إلى تعلم الطفل لأنواع السلوك المرغوبة . ويصلح ذلك في الكثير من أشكال السلوك مثل تعلم الكلام وارتداء الملابس وتناول الطعام بطريقة سليمة ، وغير ذلك من أشكال السلوك الجيد التي تساهم في جعل الطفل المتخلف إنساناً يعيش حياة الآدميين ويعتمد على نفسه في كثير من شؤونه ، كما يزداد شعوره بالرضاء .

علاج المشكلات السلوكية

أشرنا من قبل إلى أنه بجانب التخلف العقلي يعاني هؤلاء الأطفال أحياناً من بعض المشكلات السلوكية التي تعتبر بمثابة سلوك غير ملائم ، أو غير مرغوب نريد تغييره . ومن أمثلة ذلك العادات الضارة أو السلوك العدواني أو إيذاء النفس . . . إلخ . وهنا نجد أن هناك أساليب معينة

يستخدمها الأخصائي النفسي في علاج هذه المشكلات . وسوف نعرض هنا لأسلوبين منها .

أسلوب خفض الحرمان النفسي الجسمي

لدى كل إنسان حاجات أو دوافع جسمية ونفسية مثل : الحاجة إلى الطعام والماء والراحة والجنس ، وبذل النشاط الجسمي ، والحاجة إلى التقدير والاهتمام من الآخرين ، والحاجة لإرضاء حب الاستطلاع وغيرها .

وعندما توجد عوائق تمنع إشباع هذه الحاجات تتولد عند الإنسان حالة من التوتر والإحباط والحرمان . . وفي كثير من الحالات نجد أن السلوك غير الملائم يرجع إلى حالة حرمان تتعلق بإحدى هذه الحاجات الجسمية النفسية .

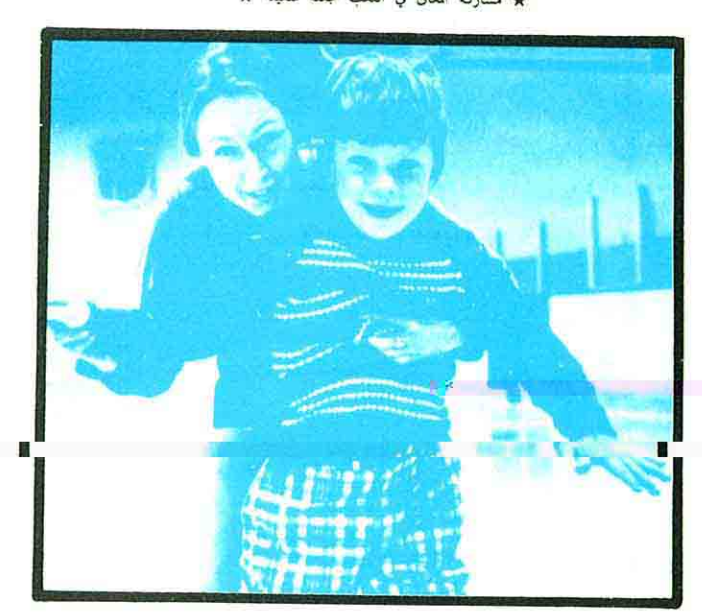
ويقوم الأخصائي النفسي بدراسة مفصلة لحالة الطفل للتعرف على ما يعاني منه . وبناء على ذلك يتم تنظيم الحياة اليومية للطفل بطريقة تقلل من حالات الحرمان النفسي ــ الجسمي . فيتم بذلك إرضاء حاجات الطفل مثلاً للاهتمام من الآخرين أو حب الاستطلاع أو النشاط الجسمي بالطرق الملائمة (٥) .

وفي هذا الصدد يحاول الأخصائي النفسي اكتشاف أي حالات تسبب الألم أو المتاعب للطفل ، وبالتالي تؤدي إلى إحساسه بالتوتر أو الملل . ومن المهم أيضاً تعليم الطفل الأساليب المقبولة اجتماعياً للتعبير عن مشاعره . فمثلاً في حالة الغضب يحسن أن يعبر الطفل عنها بطريقة مقبولة وليس بتكسير الأشياء أو خبط رأسه في الحائط .

أسلوب الانطفاء

يوضح لنا التحليل السلوكي أن الكثير من التصرفات (الجيدة أو السيئة) ــ تصدر عن الأطفال لأنها تلق الاهتمام والتدعيم من الأشخاص

★ مشاركة المعاق في اللعب تجعله سعيداً ★



المحيطين بالطفل ، وهذا الاهتمام والتدعيم يحدث غالباً بشكل آلي ودون قصد أو تنبّه من جانب هؤلاء الأشخاص . وأحد الأساليب الفعالة التي استخدمت لإلغاء مظاهر السلوك غير المرغوب عند الأطفال **أسلوب الانطفاء** (١١) .

وتبعاً لهذا الأسلوب نقوم باستبعاد التدعيم بمختلف أشكاله عند حدوث السلوك غير المرغوب . فمثلاً إذا كان الطفل يتلفظ بكلمات غير ملائمة أو يبكي ويصرخ دون وجود سبب حقيقي (جسمي أو غيره) فإن المعالج أو الأم تدير ظهرها للطفل ولا تعطيه أي اهتمام حتى ينتهي من هذا السلوك غير الملائم ، وبعد مرور ٢٠ ثانية تقريباً من انتهاء الطفل من السلوك غير الملائم يستديره نحوه المعالج ويعطيه مكافأة (حلوى أو غيرها) ويستمر في إعطائه هذه المكافآت طالما ظل سلوكه ملائماً حوالي كل ٢٠ ثانية . . وحالما يصدر عنه السلوك غير الملائم يعطيه المعالج ظهره ويتوقف عن إعطاء المكافآت إلى أن يتوقف مرة أخرى عن هذا السلوك غير الملائم . ويلاحظ أن هذا العرض المبسط يحاول أن يقرب الفكرة الأساسية لأساليب العلاج .

وهناك أساليب عديدة أخرى استخدمها علماء النفس بنجاح في علاج مشكلات الأطفال السلوكية .

وبوجه عام يعتبر تعديل السلوك قوة حقيقية تمكن من تنمية سلوك الأطفال المتخلفين .

الهوامش

١ ــ د . لطفي بركات أحمد : الفكر التربوي في رعاية المتخلفين عقلاً ، مجلة «الفيصل» ، مجلد ٣ ، عدد ٢٨ شوال ١٣٩٩هـ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩ م .

٢ ــ د . فراج (محمد) وآخرون : السلوك الإنساني . . نظرة علمية ، القاهرة : دار الكتب الاجتماعية ، ١٩٧٦ م .

٣ ــ د . فراج (محمد) الحياة النفسية ، القاهرة .

٤ ــ د . فراج (محمد) ، السيد (عبد الحليم) تنمية السلوك الاجتماعي ، دراسة تجريبية غير منشورة .

٥ ــ د . فراج (محمد) ، الملا (سلوى) ترجمة . تعديل سلوك الأطفال ، القاهرة دار المعارف ، ١٩٧٦ م .

6–Anastasi, A. **Psychological Testing**. New York: Macmillan, 1968.

7–Blake, Kathry **The Mentally Retarded. An Educational Psychology**. New Jersey: Prentice Holl, 1976.

8–Hergenhahn, B. R. **An Intred. to Theories Of Learning**. New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1976.

9–Hilgard (E.) & Bower, G. H. **Theories Of Learning**. New York: Appleton - Century - Crofts, 1966.

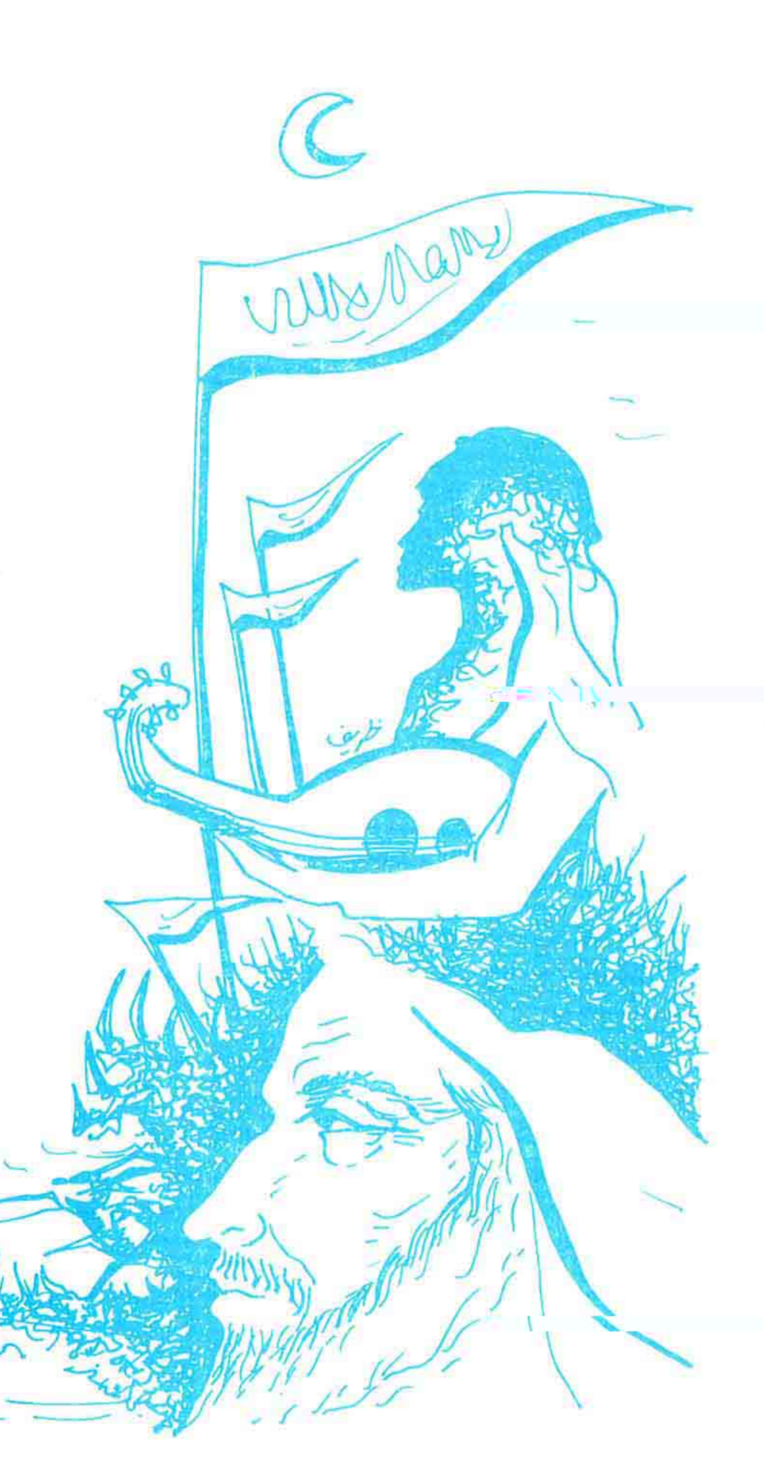
10–Hill (W.) **Learning (a survey of psychological interpretations)**. London: Methuen, 1975.

11–Martin, G. & Pear, J. **Behavior Modification**. New Jersey: Prentice-Hall, 1978.

12–Wechseler, D. **Adult intelligence**. Baltimore: Williams & Wilkins, 1958.

جنة الصحراء

شعر: علي دمر



وافى خيالكِ يـا لــه مِـنْ سـاري
والليــلُ يَغمُــرُني بَعيــدَ الــدَّار
أفْدي الـذي قـد زار في عَـرْض الفَـلا
إنَّ الفَـلاةَ قليلـة الــزُّوار
طيْف يُصـاحِبُني كظلي أينا
يَممتُ في حِلي وفي أسـفاري
مـلأ الفجـاجَ عليَّ حبـاً آسراً
وملأتُ فيـه الـكونَ مِـنْ أشعاري

★ ★ ★

يا يـومَ بِتْنـا في بيـوت الشَّـعر في
أرَج الـرَّبيع وبهجـة الأقمــار
يهفـو نسـيم الشَّـيح يَهْمِسُ شَـوقَهُ
للسَّـامرين بنَفْحـه المِعْــطار
والليــلُ حـاك على التِّــلاع بُــرودَهُ
والنَّــارُ تسْــطعُ والسماءُ ذراري
يـزهو بـأيدينا السـلاحُ كأننا
في الـبَرِّ طـائفة مـن الثـوار
وشـدا (الـرَّبابُ) على يـديْ ذي نخـوة
غَــرِدٍ يُــداعبُ نغمــةَ القيثــار
غَــنَّى بــألحان البَــوادي وهــو في
صَــمْت الـظلام وضـجَّة الأوتــار
وتَنَقَّلَ الفِنجـانُ مـن يـد فـارس
شَـهْمٍ لـكفٍّ مُـدجَّج نَـحَّار
مـن كل أرْوَعَ فيـه نُبْلُ جُـدوده
ثَبْـتٍ على وهْـج الـوغى صَـبَّار
يــزهو العِقــالُ بسُـمرةٍ عـربيَّة
شمخـتْ على الأحـداث والأدهــار
والشَّـيبُ جَلُّـوا بـاللحى بعمائم
تيجـان عـز خـالد جبَّـار
تَلْقَ على قسماتِهمْ كرم العُــلا
وطبـائعَ الإنجـاد والإيثــار
مـأوى الضـيوف ومــوطن السُّفَّار
وغيـاثُ ملهـوف حُمـاةُ ديـار

رفعــوا الأذان ورتّلوا بصـــلاتهم
وتنــاصروا في حــومة الأخـــطار
أجـدادهم حملـوا لــواء الله في
كل الجهـات لسـائر الأمْصـــار

★ ★ ★

وإذا عـروسُ الصبح شُقَّ خبــاؤها
واكتـظّت الأجـواءُ بــالأطيار
وتَناغت الخــرْفانُ في سـفح الرُّبى
وتنــاغَمَ الـرُّعيانُ بــالمزمار
ورعتْ جِمـالُ البيـد تمـلأ سـهلنا
بحنــين نــوق أو رُغــاء خُــوار
طـرنا على الخيـل العتـاق كأننا
جِنٌّ بـدتْ في الـبر للنُّظّار
في فتيــة صيــد ســلالة يعــرب
مــن كل أسمـر زينــة السُّمّار
تهفـو ضـفائره على وجنــاته
بعيـون لَيْـث كاسر مِغْــوار
نَردُ الميــاه مــن العيــون كأنهــا
مــن مــاء حــوض الـكوثر الفوّار
تــرنو لنــا الفتيــات في عجــب كما
تــرنو الـظباءُ إلى شروق نهــار
مــن كل مــائسة القَــوام كأنهــا
نــظرتْ بعــين الفَــرْقَد الـدَّوّار
عيش كأحـلام الصَّـبايا بـاسمٌ
مُتضَـوِّعُ الآصـال والأسحـار

★ ★ ★

ولقـد غفـوتُ على الـدُّجى فألَمَّ بي
وهْنــاً خيــالُك مُبهـجَ الأنــوار
ورنـا إليَّ بشـوقه متــأملاً
وافــترَّت الشـفتان عــن أسرار
شَعْرٌ كحـظي أو كلَيْـل دامس
والثغــرُ كالـبرق اللمـوع السّـاري

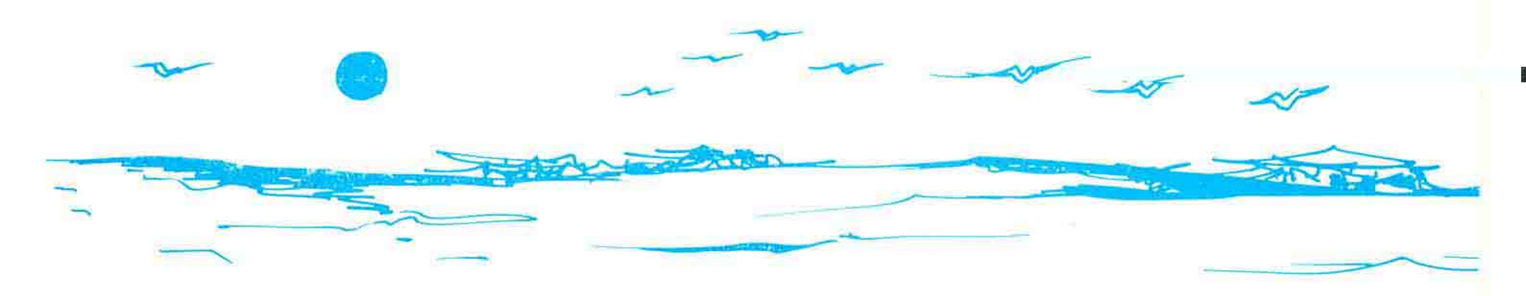
فغـدوتُ منـه على الفــلاة بجَنَّة
رَيّـا النسـيم نـديَّة الأزهـار
أختــالُ في أرجـائها في نشـوة
بـين الغصـون الخضر والأنهـار
مَــنْ ذا دعــاه؟ ولم يـكن ذا رحمــة
هــو في البعـاد بهجـره متـواري
هل جاء عـن طـول الجفـا مسـتعذراً
أخبب بمـا يبـديه مــن أعــذار
فكأنه قـد قــال لي/أنـا جـاهل
من قبـل فيـك تعـالي المِقْـدار
أنّي حللـتُ أرى الأنـام تحـدَّثوا
في دهشـة عــن شِـعرك السَّيار
قد عـاد صـيتُك في حيـاتي شـاغلاً
وصـداك في الأسماع والأبصـار
فأتيت أطلـب منـك رجعـة تـائب
يحنو عليـك مـع الهـوى ويـداري

★ ★ ★

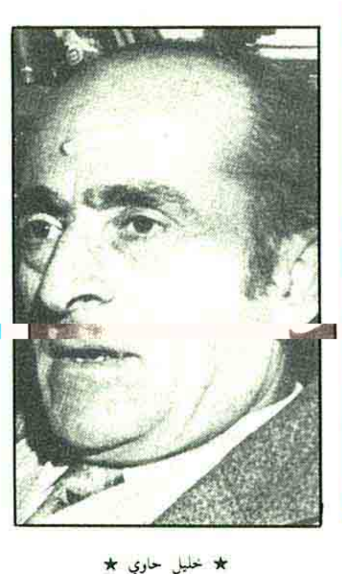
وصحوتُ مــن نـومي وإذ بي في الفـلا
ليس الحبيـبُ وطيْفُـهُ بجـواري
وعلمْـتُ أنْ مــا زال في هجـرانه
مـا لانَ قـطُّ لمُدمعـي المدْرار

★ ★ ★

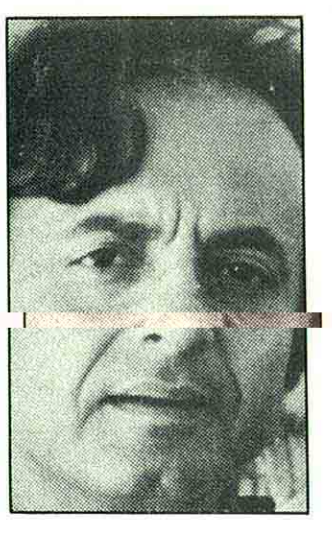
يــا أيهــا العــاتي على كبــدي اتَّئدْ
فهـواك بي قَـدَرٌ مــن الأقـدار
أذكيـتَ بي نــار الـطموح على النَّـوى
فغــدوْتُ أسبحُ في لهيـب النـار
أنا شـعلةٌ لمعـت على ليـل الـورى
يَجْلو سناها غيهبَ الأفـكار
ذَلَّ المحبـون الأُلى خضعـوا لــدى
مُـرِّ الهـوى وبـكوا على الآثـار
زدْ في جفــاك أزدْ عُـلاً في وحْــدتي
أنا يـا حيـاتي مُفـردُ الأطـوار



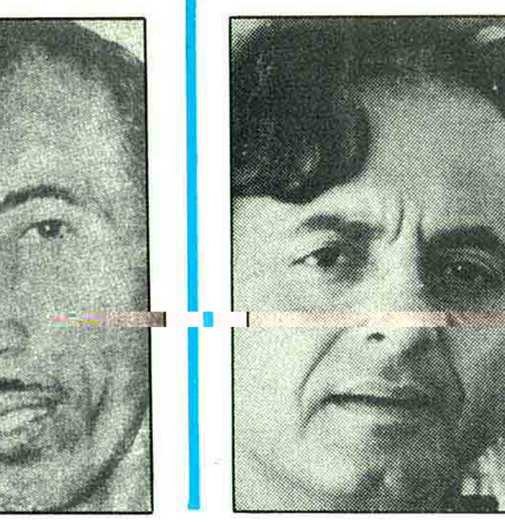
القصيدة ، هذا الحصاد الإبداعي المتفجر من معاناة الشاعر وقلقه الوجودي وانفعالاته حيال هذا الكون المعجون بالأسرار ، هذا البناء المتكلو المنصهر في قلب الفنان ، لا بد له ، ليصل إلينا ، من أن يتجسد في بنية مترابطة متماسكة هي اللغة الشعرية .



★ خليل حاوي ★



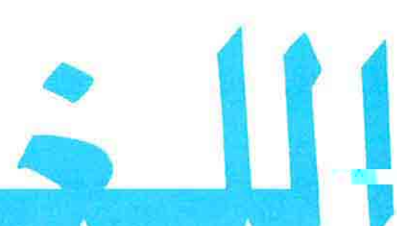
★ أدونيس ★



★ السياب ★



اللغة





ما اللغة الشعرية ؟

هل هي « رباط قانوني » للتجربة الشعرية نفسها[١] ؟

هل هي « بنية العالم الخارجي »[٢] ؟ أم ماذا ؟

في الواقع ، هناك تعريفات لا تنتهي ، وسنحاول هنا عرض أهم ما قيل في هذا الموضوع .

يرى **كولنجوود** أن اللغة الشعرية هي تجسيد التجربة الشعرية في كلمات[٣] .

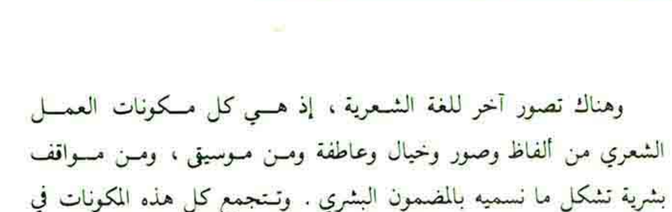
أما **الدكتور مصطفى مندور** فيعتبر أن الشعر بحد ذاته إبداع لغوي « وليس ضرباً من الإيقاع الموسيقي فحسب »[٤] .

والدكتور عز الدين إسماعيل يقول إن الشعر يستمد قوته من اللغة « فالشعر استكشاف دائم لعالم الكلمة ، واستكشاف دائم للوجود عن طريق الكلمة »[٥] .

والكلمات والعبارات في الشعر ، حسب رأي **الدكتور محمد غنيمي هلال** ، هدفها بعث صور إيحائية[٦] .

أما عند **هربرت ريد** ، فالتجربة الشعرية تجربة لغوية ، فالوحدة العاطفية التي دفعته إلى الكتابة عبارة عن صور لغوية داخلية ، وما على الشاعر لإظهار هذه الصورة اللغوية الداخلية إلا أن يخترع الكلمات والصورة[٧] .

ونتبين أن مفهوم الإبداع الأدبي عند **الدكتور محمد زكي العشماوي** يعني سيطرة الأديب على اللغة بما يضيفه عليها من ذاته وروحه[٨] .



وهناك تصور آخر للغة الشعرية ، إذ هي كل مكونات العمل الشعري من ألفاظ وصور وخيال وعاطفة ومن موسيقى ، ومن مواقف بشرية تشكل ما نسميه بالمضمون البشري . وتتجمع كل هذه المكونات في منظور الشاعر لتكون القصيدة[٩] .

أما **سارتر** فيرى أن اللغة « هي ، بالنسبة للشاعر ، مرآة العالم . ومن هنا تطرأ تبدلات هامة على نظام الكلمة الداخلي . إن صوتيتها وطولها وأواخر المذكرة والمؤنثة ومظهرها البصري ، تؤلف له وجهاً حسّياً يمثل المعنى أكثر مما يعبر عنه »[١٠] .

أما **أدونيس** فيدعو إلى الثورة على المفهوم التقليدي للغة الشعرية قائلاً : « إن اللغة الشعرية تكشف عن الإمكان أو عن الاحتمال ، أي عن المستقبل » . واللغة الشعرية تبعاً لذلك تحويل دائم للعالم وللإنسان[١١] . ولغة الشعر هنا ليست لغة تعبير بقدر ما هي لغة إبداع ولغة إشارة[١٢] .

في حين أن **الدكتور ميشال سليمان** يرى أن اللغة الشعرية لا تندرج في سياق اللغة الأدبية وإنما هي زهرتها التي تتفتح بالاغتصاب الواعي ، لكي تصبح اللغة الأدبية الخلفية التي تنسلخ عنها اللغة الشعرية على نحو جمالي جديد . . . إن كل مفردة في هذه اللغة ، هي عامل شعري يتضمن ، بالإضافة إلى معناه ، قيمة تعبيرية تتجاوزه بوصفها ناجمة عن العلاقات القائمة بين الألفاظ المفردة ومظهرها ومعناها وحركتها[١٣] .

وإذ تنوعت الآراء وتعددت التعريفات لم يعد من المهم إيجاد تعريف واحد للغة الشعرية ، ولم يعد مهماً تشريحها إلى عناصر وعوامل ، فقد قيل في ذلك كثير . ولكن الأهم هو دراسة دور اللغة الشعرية ، بتشكلاتها المختلفة ، في إبداعية القصيدة العربية المعاصرة . . وقبل ذلك لا بد من

الإشارة إلى دور اللغة الشعرية في تراثنا الشعري العربي .

اللغة الشعرية في التراث العربي

على سبيل المثال لا الحصر نذكر قول **امرئ القيس** :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

لنأخذ عبارة امرئ القيس « قفا نبك » نجد أن هذه العبارة الصغيرة تفتح أمامنا أفقاً لا ينتهي من الإيحاءات الناتجة عن التركيبة اللغوية .

إن الشاعر هنا – كما نعلم – يخاطب ، على عادة الجاهليين ، خليليه طالباً منهما الوقوف لحظة للبكاء . ولكن المخاطبين يرمزان إلى بعض



حميميات الحياة كالصداقة وأنس الصحبة التي تعد من متع العيش . من هنا فإن أمر الشاعر بالوقوف ما هو إلا أمر لا واع إلى الدنيا وبالتالي إلى عجلة الزمن بالتوقف خشية فقدان الأحبة . إذن فأمنية الشاعر اللاواعية هي أن يتوقف الزمن ولو في لحظة بكاء وحسرة .

تتجلى هنا معاناة الإنسان من هذا النهر الذي يجري باستمرار دون توقف ، جارفاً في غمرة تيّاره كل ما أو من نحب ، هذا النهر – الفجيعة الذي يتجه باستمرار نحو الموت . يتبين لنا أيضاً أن هذا النداء المريع من أعماق الذات ما هو إلا انعكاس لخوفنا الدائم من قدوم اللحظة الحتمية ، فوقوف الزمن عند نقطة معينة يعني عدم السيرورة وبالتالي عدم مجيء الموت ، وهذا ما كان يتمناه شاعرنا في تلك اللحظة .

ولكن وبما أنه لا يمكن إيقاف الزمن فإن الشاعر لم يعد أمامه سوى أن يقف مع صحبه ، كقشة وسط التيّار ، ليمارس النواح والتفجّع على أمس ولّى وحاضر يولّي وآت سيمضي أيضاً . من هنا هذه الغنائية الرقيقة الحزينة في شعرنا العربي ، فما بكاؤنا إلا على ذواتنا الفانية في عالم شاسع أوسع من أن يحتوينا .

ولنأخذ أيضاً قول **ربيعة الرقي** :

قولي نعم ونعم إن قلت واجبة
قالت عسى وعسى جسر إلى نعم

إن جملة « وعسى جسر إلى نعم » لها مدلولات كثيرة وبالذات لفظة « وعسى » . فمن سياق البيت نرى الشاعر يتمنى أن تقول له حبيبته كلمة « نعم » ، ونعم تعني الجزم بحدوث الأمر . ولكن الحبيبة خيّبت ظنّه

بقلم : هدية الايوبي

وقالت : عسى . وعسى نقطة وسط بين احتمال حدوث الشيء أو عدم حدوثه . إن هذه الكلمة تضع الشاعر في حالة حيرة وعدم استقرار إلى مصير معين . فماذا يفعل شاعرنا العربي ؟ إنه يردُّ مباشرة إذ يقول : « وعسى جسر إلى نعم » . إن الواو هنا جاءت تعقيباً مباشراً – دون تفكير – أي دون إعمال العقل ، إنه القلب الذي يتكلم هنا ، إنها العاطفة التي تدفع الشاعر إلى إلقاء نفسه في لجة الحيرة وعدم الاستقرار النفسي إلى يوم أن تتحوّل « عسى » إلى « نعم » .

إذن ، هذه العبارة تمثّل انسياق الشاعر العربي وراء العاطفة ، وراء الأمل ، وأحياناً وراء المستحيل ، وذلك إرضاء لهوىً عَبَرَ القلب ذات يوم . كما تمثّل العبارة تعلّق الذات العربية بأي بصيص أمل وذلك في محاولة للهروب من خيبة الواقع ومرارته بحثاً عن الخلاص .

ويطالعنا قول **الشاعر الشريف العقيلي** :

ضاقت عليّ نواحيها فما قدرت
على الإناخة في ساحاتها القبل

إن الصورة الشعرية في هذا البيت تلعب دوراً كبيراً في إلباسه ثوباً إبداعياً . لو تذكرنا أن كلمتي « نواحي » و « ساحات » تفيدان السعة والامتداد لاستغربنا كيف أن الشاعر لم يقدر أن يوصل قبلاته إلى الحبيبة ، وكيف أن هذه الحبيبة لم تقدر على احتوائه رغم سعتها . هنا إشارة إلى « الوجود الكوني » للشاعر ، وإشارة إلى فقدان الاتصال الحميمي بين الحبيبين وإلى الغربة الوجودية . فحنين الشاعر إلى الحبيبة كبير أكبر منها ومنه ، ورغبته فيها أعظم من أن تحتويها ، وهنا نلمح شمولية الشاعر وكأنها بشمول العالم بل وشمول المدى .

اللغة الشعرية المعاصرة

وقد تطورت اللغة الشعرية بتطور التجربة الذاتية . وإذا تأملنا في شعرنا العربي المعاصر نجد معالم هذا التطور واضحة جداً . وسنحاول في دراستنا هذه أن نستشف هذه المعالم لدى بعض – وليس كل – الشعراء الروّاد الذين تجلت في شعرهم صور التجديد .

وكما ذكر **الدكتور عبد الحميد جيدة**[١٤] فإن اللغة الشعرية المعاصرة تتميز بخصائص جديدة ، منها :

(أ) سيمياء اللغة .

(ب) الاشتقاقات .

(ج) استخدام الرموز المختلفة .

(د) التجريد .

أ ـ سيمياء اللغة

« إن اللغة السيميائية هي لغة التحولات الكبرى ، فاللغة تكون أجساداً ، لا حروفاً ، تتغير من الداخل وتغيّر علاقاتها ودلالاتها المعهودة مع الخارج ، وهي بذلك تكون ثورة جذرية »[١٥] .

يتبين لنا أن السيمياء في اللغة الشعرية هي تحوّل جذري . لم تعد اللغة مؤلفة من مجرد حروف صامتة أو أصوات مغلفة بدلالات معينة نجترّها عبر العصور ، بل أصبحت اللغة فعل تجديد وإبداع ، وتحوّلت الحروف إلى أجساد تتحرك وتغيّر وتلوّن الأشياء بألوان متجددة في كل آن . وبالاختصار : إن سيمياء اللغة هي عملية تجديد في موقع الكلمة وفي دلالاتها . يقول **أدونيس** :

ألمح يوماً يجلس على النهر[١٦] .

لو أخذنا المعنى الحرفي لكل كلمة لأصبحت الصورة بلا معنى ، ولكن حين نعرف أن لفظة « النهر » ترمز إلى الزمن لتغيّرت الصورة تلقائياً .

ولنسمعه يقول أيضاً :

اتركوا للشجر أن يتبادل العصافير[١٧] .

هذه الصورة تصور مدى العلاقة الحميمة بين الشجر والعصافير ، ولكأن الشجر مخلوقات حيّة تحس وتنفعل .

ويقول **الشاعر عبد الكريم شنينة** :

لست سوى حبّار يصطلي الكلام[١٨] .

ويقول **الشاعر سليم بركات** للدلالة على الهرم والعجز :

وأكوّم أيامي حول النار[١٩] .

أما الشاعر **خليل حاوي** فيعبّر عن إحساسه بثقل الزمن وطوله في قوله :

وعرفت كيف تمطّ أرجلها الدقائق[٢٠] .

بمثل هذه اللغة السيميائية غيّر شعراؤنا المعاصرون الوظيفة التقليدية للكلمة وجسّدوها إبداعاً متحولا .

ب ـ الاشتقاقات

ونلاحظ في شعرنا العربي المعاصر كثرة الاشتقاقات في الأفعال ، كما نلاحظ استحداث أفعال وكلمات لم تكن شائعة قبلاً ، وهذا دلالة على غنى لغتنا العربية وعلى تبحر رواد الشعر في هذه اللغة وإبحارهم أيضاً .

وقد بدأت ملامح هذا الاتجاه تظهر عند **الشاعر خليل الخوري** إذ يقول :

« والمدى في هاله **يتمرأى** »[٢١]

« **فهرجت** لك النجوم »[٢٢]

« وكان الأفعوانُ يلوبُ »[٢٣]

وتجلى هذا اللون عند أدونيس في ديوانه « مفرد بصيغة الجمع » :

« العصر **تشنن** جلده وبدّن » (ص ١٩١) .

« **أتسرول** شتلات التبغ » (ص ٣٨) .

« **تتهودج** أيامي رمزاً رمزاً » (ص ٦٠) .

« هكذا خرج **يتمعدن** » (ص ٦٤) .

« سلام لك أيتها السواعد التي **تتنفط** » (ص ٩٩) .

قد يخيّل للمرء للوهلة الأولى أن هذه التراكيب خارجة على اللغة ، ولكنها في الواقع من صميم لغتنا ، ولكن الشاعر المعاصر استحدثها وسكب عليها من روح العصر فخرجت ناصعة .

ج ـ استخدام الرموز

لجأ شعراؤنا المعاصرون إلى استخدام الرموز المختلفة والأسطورية ، وكل ذلك في سبيل السير بالشعر خطوات على دروب التحول والإبداع . والأمثلة على ذلك كثيرة .

يقول **الشاعر أنسي الحاج** :

« أقسم كلما عثرت على قلبي بين السطور
أن أهتف : وجدتك ، وجدتك »[٢٤] .

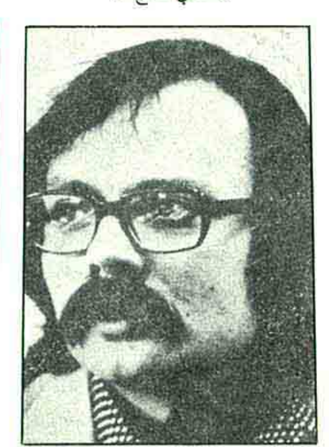
أفاد الشاعر هنا من ردّة فعل **العالم** « **أرخميدس** » حين اكتشف قانون الجاذبية[*] فهتف : « وجدتها ، وجدتها » . أما الشاعر عبد الكريم شنينة فقد أفاد من قانون الجاذبية نفسه ولكنه أخذه بطريقة مبتكرة حين قال :

« أعرف أن تفاحة الألفاظ يحطها
السقوط إلى عل »[٢٥] .

كما أفاد شعرنا المعاصر من **الحروف الأبجدية** ، وقد تأثروا في ذلك بالشعر الأوروبي وبخاصة **رامبو**[٢٦] ، وقد سُخّرت هذه الحروف لغايات الشعراء التعبيرية . يقول أدونيس :

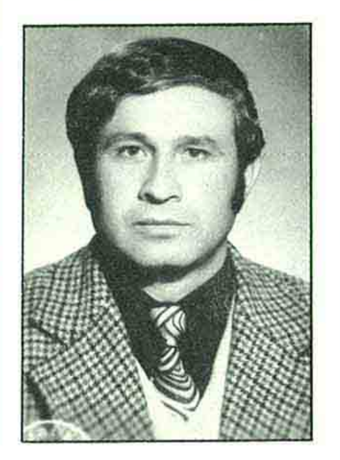
كشفت رأسها الباء والجيم خصلة شعر ، انقرض انقرض
ألف أول الحروف انقرض انقرض
أسمع الهاء تنشج والراء مثل الهلال

★ أنسي الحاج ★





★ د. عبد الحميد جيدة ★



غارقاً ذائباً في الرمال

انقرض انقرض »[٢٧] .

وجدير بالذكر أن استخدام الحروف الأبجدية في الفن لم تسبقنا إليه أوروبا ، بل هي جزء من تراثنا .

أما عند الشاعر عبد الكريم شنينة فأفاد من أحرف المضارعة في قوله :

لا أرى ألفاً

لا أرى نوناً

كيف يخرج الفعل الحي من الفعل الماضي ؟

الياء تسرق الأفق

التاء تصادر الهواء[٢٨] .

الألف والنون ترمزان إلى رمزي المخاطبة اللذان يبدأ بهما الفعل المضارع فنقول (أنا أكتب ، نحن نكتب) ويرمي الشاعر هنا إلى إبراز الغربة الوجودية للفرد والجماعة تحت سيطرة الرواسب الماضوية ، وسيطرة ضميري الغائب (هو يكتب ، هي تكتب) .

اللغة الأسطورية

اغتنى شعرنا العربي المعاصر بالرافد الأسطوري ، فها هو **بدر شاكر السياب** يستخدم مثلاً **أسطورة عشتار** باحثاً عن الأمومة والخصب ، وأدونيس يعايش في شعره **أسطورة الفينيق** معبراً عن الموت والانبعاث ، **وخليل حاوي** ينفخ في شعره روح تموز تعبيراً عن التجدد والولادة ، وغيرهم كثيرون .

إن ديوان « البئر المهجورة » للشاعر يوسف الخال ، يكاد يكون قصيدة واحدة ، تتنوع فيها عملية اكتشاف الجدب في نفس الفرد والجماعة مستصرخاً البعث ، وهذا كله جسّده الشاعر عبر أسطورة تموز . فاسمعه يقول في قصيدته « البئر المهجورة » :

ترى يحوّل الغير سيره كأن

تبرعم الغصون في الخريف أو ينعقد الثمر

ويطلع النبات في الحجر[٢٩] .

أما قصيدة السيّاب « أنشودة المطر » فقد جسّدت الموت والانبعاث والخصب في آن معاً . ففي قوله :

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر .

نرى السيّاب يرمز بعيني الحبيبة إلى غابتي نخيل . استخدم لفظ « نخيل » هنا دلالة على العطاء والخصب والاستمرار ، لأن النخيل شجر معمّر دائم العطاء . ومن هنا فإنه لم يعد يخاطب الحبيبة ، كما نظن للوهلة الأولى ، بل يخاطب الأرض ـ الأم في صورة عشتار رمز الخصب .

وننتقل إلى المقطع الذي يقول فيه :

كالبحر سرّح اليدين فوقه المساء

دفء الشتاء فيه وارتعاشة الخريف



★ د. نورية الرومي ★

★ محمد الأسعد ★

والموت ، والميلاد ، والظلام والضياء .

يصور الشاعر هنا البحر لحظة يمتزج المساء بالنهار ، والبرودة بالدفء ، إنها تلك اللحظة التي هي مزيج من النور والظلام ، التي تجمع النقيضين معاً ، إنها لحظة الموت والولادة .

وقد اختلفت آراء النقاد والباحثين في عملية الإفادة من الأساطير في شعرنا المعاصر .

ترى **الدكتورة نورية صالح الرومي** أن إشارات الشعراء الجدد للتاريخ والأساطير القديمة « تبدو ذات قيمة فنية ، ولكنها في الحقيقة قيمة سطحية . فإنها قد تتسبب في غموض المعاني أكثر من إخصابها ، لأنها تحتاج إلى معرفة بالتراث الديني والأسطوري حتى يمكن فهم دلالاتها الرمزية فهماً صحيحاً »[٣٠] .

ويرد عليها **الأستاذ ماهر قنديل** في قوله : « والواقع أن لجوء الشاعر الحديث إلى التاريخ والأساطير ، قد استطاع أن يمدّ الشعر بأفق جديد يستطيع أن يحلّق فيه ، ويخرج بوساطته عن دروبه المألوفة الرتيبة ، وأن يعبّر به في كثير من الأحيان عن معان لا يستطيع أن يكشف عنها مباشرة في ظل ظروف تقاومه حيناً ، وتقهره أحياناً . . . أما مسألة الغموض فليس اللجوء إلى التاريخ أو الأساطير هو سببها ، وإنما هي موجة يكاد يغرق فيها الشعر الحديث بصفة عامة »[٣١] .

أما **الأستاذ محمد الأسعد** فيبرر اعتماد الشعراء على الأسطورة بأنهم وجدوها جاهزة من حيث المعالم والمغزى ، ولذا اتخذ شعراؤنا من الأسطورة « متكأ يحملون عليه قصائدهم . فكأنهم بذلك اكتفوا من التجديد والمحاكاة ، ولم يستطيعوا وهم يمسكون بمقبض فأس أصيل صناعة أداة في مثل أصالته . وكأن قصائدهم جاءت تكرر نمطاً من الشعر يفتنهم ويجتذب إعجابهم »[٣٢] .

ويطالب **الدكتور ميشال سليمان** « الشاعر الحديث ، لكي يكون إبداعياً بما تحمل الكلمة من عمق المعنى ، أن يبتدع أسطورته من بيئته ومن مجتمعه على نحو ما فعل الشاعر التراثي في استبطان خوالج شعبه وتقديمها عملاً فنياً قادراً على إخراج هذا الإنسان من بيئته الخاصة في رحلة ما يتوخى » .

وهناك رأي آخر ، **للدكتور عبد الحميد جيدة** ، وهو أن

« الأدب جعل من هذه الرموز الأسطورية مادة خصبة يرسم بها ما لم تستطع اللغة العادية أن تقوم به »[٣٣] .

وفي رأيي لا يمكننا أن نرى في إفادة الشعراء من الأساطير مجرد نوع من الاتكالية الفنية ، أي أنهم يبغون إراحة طاقاتهم الشعرية فتفيأوا الأسطورة يجترون معالمها . إن المسألة ، في الواقع ، هي مسألة « ارتياح » بقدر ما هي مسألة هم إبداعي . لقد وجد شعراؤنا في الأساطير متنفساً لمعاناتهم وشحناتهم الإبداعية ، فراحوا يبدعون من هذا المنطلق وبخاصة أن الأسطورة هي عالم غني بالإيحاءات والطاقات والكنوز . لذا رأيناهم يسلّطون الضوء على تراث ظل لفترة طويلة مطموساً وينظر إليه على أنه نوع من الشعوذة أو الغيبيات .

كل هذه الخصائص التي ذكرناها ، والتي تميّزت بها لغتنا الشعرية المعاصرة ، أدت إلى وجود ما يسمى « النحو الشعري » ، إذ صار لكل شاعر نعته الخاصة التي يصهر فيها انفعالاته ورؤاه ، وصار لكل شاعر قاموس خاص له رموزه وتراكيبه ومفاتيحه الخاصة . أضف إلى ذلك أنه لم يعد يهم ما شكل القصيدة (شعرية أو نثرية) ، المهم أنه توجد « كتابة شعرية » هذه الكتابة « التي اتخذت بعداً شمولياً إيحائياً لتزيل الحواجز بين الملكات الإنسانية المختلفة كما أزالتها بين السمع والمشاهدة ، ويكون الشعر في هذه الحالة قد تخلى عن الخطابة الصرفة ، ليتجلى في الكتابة التي تسعى إلى إبداع عالم جديد ، لأنها فعل مستمر وعمل دائم واستمرار للنشاط الفكري الإنساني »[٣٤] .

وهكذا فإن « الصورة الإبداعية ليست فريدة في شكلها ، وإنما فقط في التعابير الجديدة التي عرفت عبقرية الشاعر أن تجسّدها فيها [. . .] . وليست الصور مجرد زخارف عبثية ولكنها تشكل جوهر الفن الشعري . إنها هي التي تحرر الشحنة الشعرية المخبّأة في الكون والتي يبقيها النثر أسيرة أيضاً »[٣٥] .

نستنتج أن مهمة اللغة الشعرية هي التحرر ، فالصورة الشعرية ليست مجرد إطار تندرج في داخله التعابير ، وإنما هي أفق مشحون بطاقات واحتمالات لا تنتهي .

إن اللغة الشعرية ليست سوى عملية اغتصاب للغة العادية . إنها خروج على هذه اللغة . لكنه ليس خروجاً سلبياً إذ إن اللغة الشعرية تعود فتحبل اللغة العادية بمولود جديد هو التعبير الإبداعي نفسه . . وفي النهاية ، ماذا لدينا سوى الكلمات ؟ العالم منسوج في صدى الكلمات .

الهوامش

١ ـ Cohen, Jean: Structure du Language Poétique Flammarion (P. 33).

٢ ـ جان بول سارتر : ما هو الأدب ؟ ترجمة جورج طرابيشي ، دار عويدات بيروت (ص ٥٣) .

٣ ـ روبين جورج : مبادئ الفن ، ترجمة د . أحمد حمدي محمود ، الدار المصرية (ص ٣٢٢) .

٤ ـ د . مصطفى مندور : اللغة والحضارة ، منشأة المعارف (ص ٨٩) .

٥ ـ د . عزالدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، دار العودة (ص ١٧٤) .

٦ ـ د . محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، دار ومطابع الشعب (ص ٤١٥) .

٧ ـ Read, H.: Collected Essays in Literary Critiasm, Faber & Faber. P. 43.

٨ ـ د . محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (ص ٣١) .

٩ ـ د . السعيد الورقي ، لغة الشعر العربي الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (ص ٨٨) .

١٠ ـ جان بول سارتر ، ما هو الأدب ؟ (ص ٥٤) .

١١ ـ د . أدونيس : صدمة الحداثة ، دار العودة (ص ٢٩٤) .

١٢ ـ د . أدونيس : مقدمة للشعر العربي ، دار العودة (ص ٧٩) .

١٣ ـ مجلة الفكر العربي : عدد ٣ سنة ١٩٧٨م (ص ١١١) .

١٤ ـ د . عبدالحميد جيدة : الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، مؤسسة نوفل (ص ٣٤١) .

١٥ ـ المرجع السابق : (ص ١٣٤) .

١٦ ـ أدونيس : مفرد بصيغة الجمع ، دار العودة (ص ٢٥٨) .

١٧ ـ المرجع السابق : (ص ٩٧) .

١٨ ـ مجلة مواقف (ص ٤١) عدد ٣٦ .

١٩ ـ سليم بركات : هكذا أبعثر موسيسانا : منشورات تريونف (ص ٢٨) .

٢٠ ـ خليل حاوي : الأعمال الكاملة ، دار العودة (ص ٢٧٩) .

٢١ و ٢٢ و ٢٣ ـ خليل خوري : لا درّ في الصدف ، المكتبة العصرية (ص ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٩٩) .

٢٤ ـ أنسي الحاج : الرسولة بشعرها الطويل حتى الينابيع ، دار النهار (ص ٨٢) .

٢٥ ـ مجلة مواقف ، عدد ٣٦ (ص ٤٢) .

٢٦ ـ المرجع السابق (ص ٣٦٠) .

٢٧ ـ أدونيس : الأعمال الكاملة ، الجزء الثاني ، دار العودة (ص ٥٨٦) .

٢٨ ـ مجلة مواقف ، عدد ٣٦ (ص ٤٢) .

٢٩ ـ يوسف الخال : « البئر المهجورة » ، الأعمال الكاملة ، دار العودة (ص ٢٠٦) .

٣٠ ـ مجلة الكويت : العدد ٣ ، ١٩٨٠م (ص ٣١) .

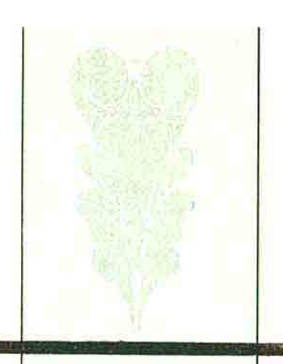
٣١ ـ المرجع السابق (ص ٣١) .

٣٢ ـ محمد الأسعد : مقالة في اللغة الشعرية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (ص ١٢٨) .

٣٣ ـ د . عبدالحميد جيدة : الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر (ص ١٠٨) .

٣٤ ـ المرجع السابق : (ص ٣٤٩) .

٣٥ ـ Jean Cohen: Structure du Language Poétique (P. 47).



بين شاعرين

شارل بودلير ● ابراهيم عبد القادر المازني

أزهار الشر

هو عنوان الديوان الشهير للشاعر الفرنسي **شارل بودلير** (١٨٢١ ـ ١٨٦٧ م) الذي سمي بحق شاعر العصر الحديث ، والذي لم يقتصر أثره على الشعر الحديث من بعده إلى يومنا هذا فحسب ، بل امتد كذلك إلى نظريات فن الشعر التي تتحدث عن طبيعة بنائه وظواهره وقضاياه ، والواقع أن الشعر الفرنسي بعد **بودلير** صار مسألة لا تعني القارة الأوروبية كلها ، ولكنه امتد حتى إلى شعراء العالم العربي ، وكما تأثر به **فيرلين ورامبو ومالارميه** ، حتى لقد اعترف هذا الأخير بأنه بدأ من حيث انتهى **بودلير** ، فقد تأثر به كذلك من شعراء العالم العربي **المازني ، وعبد الرحمن شكري ، وبدر شاكر السياب** ، وغيرهم ، ممن تبينوا أن شعر **بودلير** كان أبعد أثراً من شعر الرومانسيين ، أما ديوانه الشهير « **أزهار الشر** » أو « **زهور الشر** » ١٨٥٧ م ، ففيه كل ملامح الشعر البودليري الجديد ، فهو ليس من شعر الاعتراف الذاتي ، ولا هو من قبيل المذكرات الشخصية ، التي يسجل فيها الشاعر قصة حياته وعذاباته وإنما هو بداية الاتجاه إلى التخلي عن النزعة الشخصية والعواطف الذاتية في الشعر الحديث :



زهرة الشر

هي إحدى قصائد الجزء الثاني من ديوان الشاعر **إبراهيم عبد القادر المازني** ، وهو الجزء الذي صدره بقلمه ، وأدلى فيه برأيه في الشعر ، وكيف أنه ديوان يقيد فيه أهل العقول الراجحة ما يجيش في خواطرهم ، في أسعد الساعات ، وهو الذي ينقذ من الفناء والعدم خواطر الإلهام ، وهو الذي يحلق بالمرء فوق الحياة ، ويرغمه أن يحس ما يرى وأن يرى ما يحس ، وأن يتخيل ما يعلم وأن يعلم ما يتخيل ، وهو الذي يجعل القبح جمالاً ، ويزيد الجمال نضرة وجلالاً ، ويفجر في النفس ينابيع الأمن والفزع والسرور والألم ، ويذهب مياه الموت المسمومة المتدفقة في عروق الحياة ، وواضح من تعريف **المازني** لوظيفة الشعر ، مدى تأثره بالشاعر **بودلير** ، حتى لقد سمى هذه القصيدة « **زهرة الشر** » استلهاماً لديوان **بودلير** الشهير « **أزهار الشر** » ولقد كان **المازني** علماً في مدرسة الشعر العربي الحديث بعامة ، كما كان هو وزميليه **العقاد وشكري** أعمدة مدرسة الديوان في الشعر .



• أزهـــــار الشـــــر •

الطبيعة هيكل ، تنبعث من أعمدته الحية

في بعض الأحيان كلمات مختلطة

هناك يسير الإنسان وسط غابات من الرموز

تحدق فيه وتتأمله بنظرات أليفة

وكما تختلط الأصداء المديدة من بعيد

في وحدة مظلمة وعميقة

لها رحابة الليل والضياء

تتجاوب العطور والألوان والأنغام

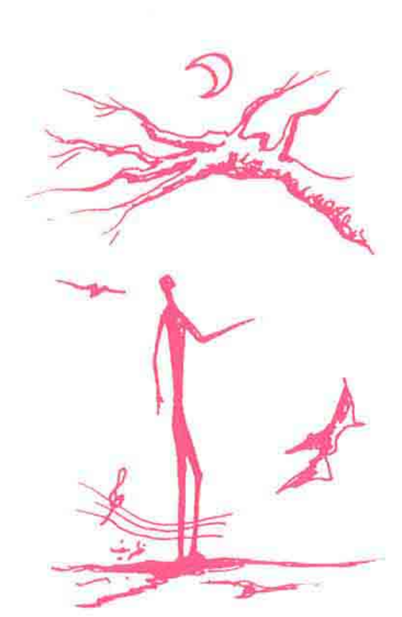
هناك عطور ندية كلحم الأطفال

عذبة كالمزامير ، خضراء كالمراعي

وأخرى فاسدة متبرجة وظافرة

شاسعة كالأشياء غير المحدودة

كالعنبر والمسك والصمغ والبخور



التي تتغنى بنشوة الروح والحواس

★ ★ ★

هناك فوق البرك ، عالياً فوق الوديان

فوق الجبال ، الغابات ، السحب ، البحار

وراء الشمس ، وراء الأثير .

وراء حدود الأفلاك ذات النجوم

تنطلقين خفيفة يا روحي

وكمثل سباح ماهر ينعم بالأمواج

تشقين أعماقها المهولة

بلذة رجولية تستعصي على التعبير

★ ★ ★

حلّقي بعيداً ، بعيداً عن هذا الغصن المريض

• زهـــــرة الشـــــر



يـــا زهـــرة النحس والشـــقاء

ووردة الـــكرب والهـــموم

تنضـــح أنفـــاسك المنـــايا

وطـــيُ أنـــدائك الســـموم

تـــرود مـــن حـــولك الأفـــاعي

مـــطرورة النـــاب للنعـــيم

العيش رمـــس وأنـــت دودٌ

يـــا فـــرحة الـــدود بـــالرميم

★ ★ ★

يصـــدأ منـــا النهـــار حـــتى

نخـــاله ليلنـــا البهـــيم

والليـــل مـــن وقعهـــا كفيف

فـــكيف ينجـــاب أو يـــريم

لا يخصـــب الظـــنُّ حيـــث تنمـــو

فـــالنفس مـــن شرّهـــا عقـــيم

★ ★ ★





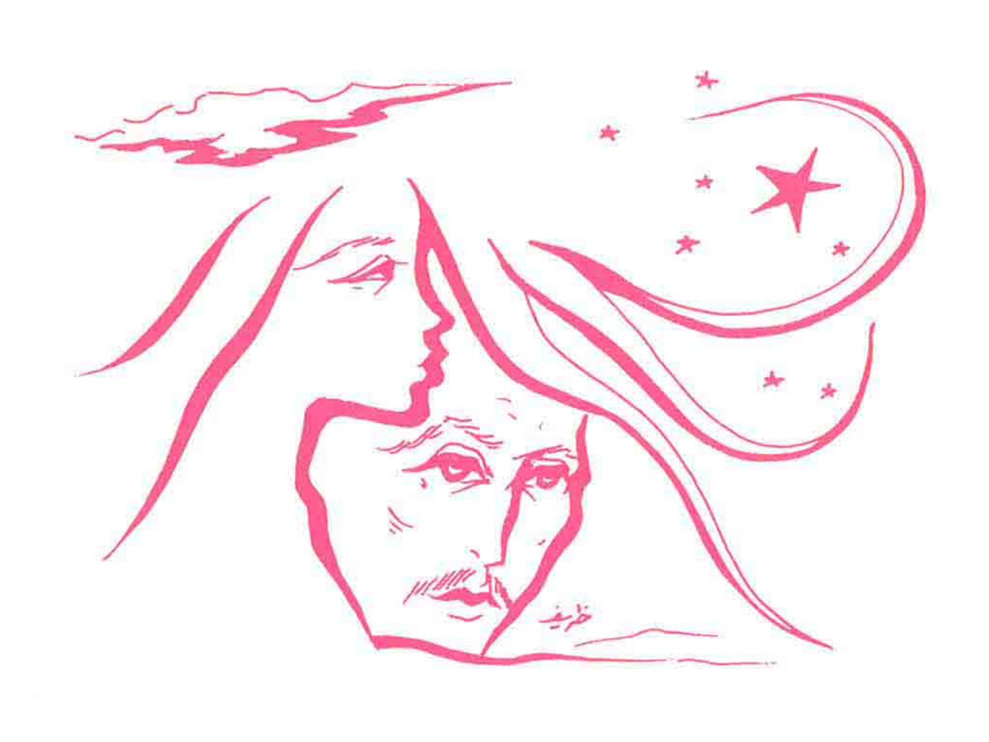
هيا ، طهري نفسك في أعالي الهواء
وعبي من تلك النار الناصعة التي تملأ ساطع الأجواء

وراء الهموم ووراء الأحزان البهيمة
التي ترزح بثقلها على الوجود الغائم كالضباب
ما أسعد من يستطيع بجناحه الجبار
أن يطير صوب المروج المضيئة الصافية !

★ ★ ★

من تحلق أفكار كالقبرات
حرة كل صباح إلى السموات
من يرفرف فوق الحياة ويفهم بغير عناء
لغة الزهور والأشياء الخرساء .

ثورة الشعر الحديث : ج (١) للدكتور عبد الغفار مكاوي



تـترك دون الحشـا عــراكا
كما التقت بـالقنا الخصــوم
فـإن تـكسّرن في فــؤاد
أودى الــذي يُضـمر الحــزيم
كأنمـا تثـار الليــالي
مـن الصـبا وهــو لا يــدوم
تـوقد دون الضـلوع نــاراً
طعــامها النفس والجســوم

★ ★ ★

يـا بـؤس للحـب كيف يُجنى
مـن جنّة الحسـن ذي الجحيم !
يا بـؤس للنـاس هـل تغنـوا
بـالبغض لـو يحمـد الـذميم !
وليس في البغض مــا يعـنّى
وخــطبه ليس بــالجسيم !

ديوان المازني .. راجعه وضبطه وفسره : محمود عماد

يعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي توفي في ١٦ أبريل (نيسان) سنة ١٩٤٠م، عن عمر يناهز الواحد والخمسين عاماً، من أعظم رجال الإصلاح الإسلامي، والتربية الإسلامية في الجزائر، بل في أقطار المغرب العربي في العصر الحديث: (تونس ـ الجزائر ـ المغرب).

وقد ترك بصماته واضحة جلية على معظم أحداث تاريخ الجزائر الحديث، لأنه كان من صنّاعه البارزين، ولذلك احتل ويحتل مكانة مرموقة في قلوب كل الجزائريين رجالا ونساءً، شباناً وشيوخاً، فأينا بحثنا في مختلف جوانب تاريخ الجزائر الحديث، سواء في التربية والتعليم، أو في الإصلاح الديني، والاجتماعي، والسياسي، للمجتمع العربي المسلم في الجزائر، أو في الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية، أو في العمل المخلص والجاد من أجل حرية الجزائر واستقلالها، من ربقة الاحتلال الفرنسي (١٨٣٠ ـ ١٩٦٢م) إلا ونجد للشيخ عبد الحميد بن باديس مواقف بارزة، وأعمالا جليلة، لا يستطيع أن ينكرهما أحد، كما لا يستطيع أن يقلل من شأنهما أحد كذلك.



ابن باديس
رائد الإصلاح الإسلامي والتربية

وقد عمل بدون كلل ولا ملل من أجل النهوض بالشعب الجزائري ثقافياً. وعلمياً، ودينياً، وناضل بعلمه، وقلمه، وبكل ما يملك من إرادة المؤمن الصادق، والمجاهد الجسور، من أجل حرية الجزائر واستقلالها على المدى البعيد، في أحلك الظروف وأقساها، وأشدها طغياناً وعنفواناً. عن طريق تكوين الرجال، وإعداد القادة، ونشر الوعي العربي الإسلامي، والتربية السياسية بين الجزائريين، حتى يصبح الشعب قادراً على خوض غمار معركة الاستقلال المسلحة حين يأتي وقتها بكل متطلباتها من عُدة وعتاد، وتنظيم وقيادة، ضد الاستعمار الفرنسي الذي احتل الجزائر العربية المسلمة أكثر من قرن من الزمان، (١٨٣٠ ـ ١٩٦٢م)

ومنذ وفاته في ١٦ أبريل (نيسان) ١٩٤٠م، والشعب الجزائري في كل عام يحتفل بذكرى وفاته. فيقيم المهرجانات، وينشد الأناشيد الوطنية التي ألّفها ابن باديس مثل نشيده الرائع.

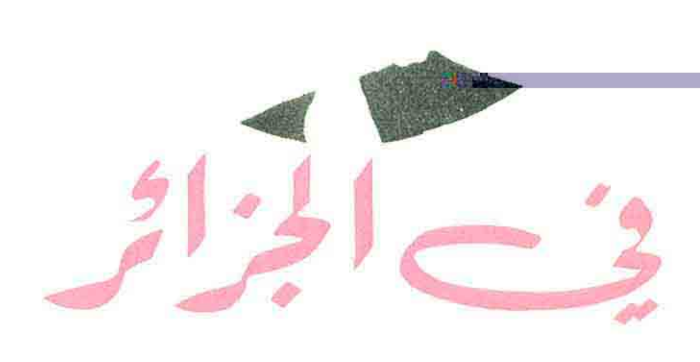
شعب الجزائر مسلم ... وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله ... أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجاً له ... رام المحال من الطلب
من كان يبغي ودنا ... فعلى الرحابة والكرم
أو كان يبغي ذلنا ... فله المهانة والحرب
هذا لكم عهدي به ... حتى أوسد في الترب
فإذا هلكت فصيحتي ... تحيا الجزائر والعرب

وهو نشيد طويل كانت الجزائر ولا تزال تردده في فخر واعتزاز لأنه يعبر تعبيراً صادقاً عن صادق إسلامها، وصادق عروبتها، وصادق وطنيتها، وصادق انتمائها الحضاري والثقافي.

الثورة الجزائرية والشيخ ابن باديس

وبعد استقلال الجزائر في عام ١٩٦٢م، بعد ثورة شعبية شاملة، كانت إحدى ملاحم التاريخ الإنساني المعاصر، في التضحية، والفداء، والبطولة، عرفت الثورة الجزائرية الظافرة مكانة الشيخ عبد الحميد بن باديس، ودوره العظيم في إعداد الشعب الجزائري لمدة ثلاثين عاماً (١٩١٣ ـ ١٩٤٠م)، للثورة ضد المحتل الغاصب، وما قام به من أعمال جليلة من أجل المحافظة على مقومات الشخصية العربية الإسلامية





بقلم: د. تركي رابح

للشعب الجزائري، وبعثها بعثاً جديداً لذلك كانت وفية له، فقررت جعل يوم ١٦ أبريل (نيسان) من كل عام وهو ذكرى وفاة ابن باديس يوماً وطنياً يحتفل به الشعب الجزائري ومنظماته الوطنية في كل مكان من الوطن الجزائري.

وقد أطلقت قيادة الثورة الجزائرية على هذا اليوم اسم «**عيد العلم**» لأن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان قبل كل شيء من رجال العلم الأفذاذ في الجزائر، وقد قضى شطراً كبيراً من حياته ينشر العلم العربي والإسلامي أي الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر بعد أن كادت فرنسا تقضي على هذه الثقافة وتقضي على اللغة العربية وتقضي على القرآن الكريم في الجزائر.

لقد كان الاستعمار الفرنسي في الجزائر استعماراً استيطانياً، وثقافياً، ومسيحياً، وعنصرياً، ولغوياً. وقد عمل طيلة قرن وثلث على محاولة محو اللغة العربية، وثقافتها، ومحو الإسلام أو كتابه القرآن الكريم في الجزائر

﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾.

وقد تصدى ابن باديس وجماعة من رفاقه في عزيمة وفدائية لمواجهة تلك الحرب الشرسة والمتعددة الأطراف، وكان النصر، وكانت الغلبة في الأخير لهم ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾.

من هنا أصبحت الجزائر تحتفل في كل عام بعد الاستقلال «بعيد العلم» في يوم وفاة ابن باديس حتى تبقى ذكراه حيّة وهاجة في قلوب الجزائريين، وتبقى أعماله الجليلة التي قام بها من أجل بعث الشعب الجزائري، والنهوض به ثقافياً، وإسلامياً، وسياسياً، وعربياً وتحريره من الخرافات، والشعوذة، المنافيتين للدين، تبقى نبراساً للشباب الجزائري ينسج على منوالها ويهتدي بها في خدمة الجزائر، والعروبة، والإسلام، ضد كل الأيديولوجيات المستوردة من الخارج، التي تتنافى مع العقيدة الإسلامية، والتراث الإسلامي العربي للجزائر.

جوانب من شخصية ابن باديس

والشيخ عبد الحميد بن باديس إلى جانب وطنيته الصادقة، وعمله المتواصل، من أجل تحرير الجزائر من الخرافات والجهل، والاستعمار، ذو شخصية عظيمة بأتم معنى العظمة، ولا تقتصر عظمته على جانب دون آخر بل شملت جوانب عديدة نلخصها فيما يلي:

١ ـ إنه **مرب عظيم استطاع أن يربي للجزائر جيلين من الرجال الصناديد** كانا عمدة نهضتها العربية الإسلامية الحديثة.. وقد كان له رأي خاص في تربية الناشئة الجزائرية تربية خاصة نظراً لظروف الجزائر في الفترة ما بين الحربين العالميتين (١٩١٤ ـ ١٩٤٥م)، لخصه الشيخ **البشير الإبراهيمي** نائب ابن باديس في رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٣١ ـ ١٩٥٦م)، كما يلي: «كانت الخطة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة ١٩١٣م، في تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم وإنما نربيه على فكرة صحيحة، ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا[1]».

٢ ـ وهو **مفسر للقرآن الكريم قدير على الطريقة السلفية** مراعياً مقتضيات العصر أو متطلباته، وشروط النهضة الحديثة، **يعتمد على تفسير القرآن للقرآن، وعلى بيان السنة النبوية، من أفعال النبي وأقواله**، ثم على أصول البيان العربي، وله قدرة فائقة على فهم مدلول الآيات القرآنية، واستخراج العبر والعظات منها، والقدرة على تطبيق كل ذلك على أحوال المجتمع الإسلامي المعاصر، الجزائري وغيره من المجتمعات الإسلامية الأخرى.

وقد أتم تفسير القرآن كله في حوالي خمسة وعشرين عاماً، **في الجامع «الأخضر» بمدينة قسنطينة** «مسقط رأسه[2]» في الشرق الجزائري، وذلك في عام ١٩٣٨م، وقد احتفل الشعب الجزائري بهذه المناسبة احتفالات رائعة دامت حوالي أسبوع في مدينة قسنطينة في شهر جوان

(يونيو ــ حزيران) . . وذلك لسببين :

● **الأول** : بمناسبة ختم تفسير القرآن الكريم .

● **والثاني** : بسبب أن فرنسا التي أعلن وزير داخليتها «**شوطان**» في مارس (آذار) سنة ١٩٣٨ م ، بأن اللغة العربية تعتبر لغة أجنبية في الجزائر ، لا يجوز تعلمها وتعليمها إلا على هذا الأساس ، وذلك لكي يظهر الشعب الجزائري لفرنسا مدى تعلقه بالعربية ، وبكتابها الأكبر «**القرآن الكريم**» ولذلك كانت الاحتفالات المذكورة مظاهرة إسلامية ذات دلالات دينية ، وسياسية[٣] ، ووطنية ، فهمتها فرنسا فهماً جيداً في ذلك الوقت .

٣ ــ **وهو مصلح ديني واجتماعي مجدد كان أول من دعا إلى الإصلاح الديني والاجتماعي على الطريقة السلفية** في المغرب الإسلامي (الجزائر ــ تونس ــ مراكش) وكان يلتقي مع المدرسة الوهابية في نجد ، ومدرسة محمد عبده في مصر في دعوته الإصلاحية السلفية ، وضرورة محاربة البدع ، والخرافات والعودة بالإسلام إلى منابعه الأولى في الكتاب والسنّة .

وقد قاوم البدع ، والخرافات ، والتقاليد الفاسدة ، وحارب رجال الطرق الصوفية (المرابطين) الذين أكثروا من البدع التي شوّهت وجه الدين الإسلامي النقي ، وصرفت المسْلمين عن العمل الجاد لدينهم ودنياهم ، إلى خدمة مشايخ الطرق الصوفية ، والتمسّح بأعتابهم . هؤلاء المشايخ الذين انتهى بمعظمهم المطاف إلى التعاون مع الإدارة الاستعمارية ضد مصالح بلادهم العليا في الحرية والاستقلال ، وكان إلى جانب ذلك داعية حضارة ، وتقدم ، ورقي ، وخير ، ومحبة ، بين جميع أبناء البشر[٤] .

٤ ــ **وهو خطيب مصقع يتمتع بموهبة خطابية فذة** ، وله قدرة كبيرة على التأثير في مستمعيه وإقناعهم بسلامة الفكرة التي يدعو إليها ، ويعمل من أجلها ، أو في المشاريع التي يريد القيام بها ، ويحتاج من الشعب المساندة والتأييد .

وقد كان يعتمد كثيراً على هذه الموهبة «الخطابية» في نشر دعوته الإصلاحية في مختلف الأوساط الجزائرية ، وإقناعهم بوجاهتها ، كما كانت سلاحه في إفحام خصومه من دعاة الفرنسة والاندماج في فرنسا ، والتجنس بجنسيتها ، والقضاء النهائي في الأخير على انحرافاتهم الخطيرة ضد الشخصية الجزائرية .

والواقع أن موهبة الشيخ ابن باديس[٥] الخطابية ، كانت إحدى عوامل نجاحه في جمع كلمة الشعب الجزائري حول المبادئ التي كان ينادي بها ، ويعمل من أجلها ، والتي تتلخص في الشعار المعروف في الجزائر فيما بين الحربين العالميتين وهو «**الإسلام ديننا ــ والعربية لغتنا ــ والجزائر وطننا**» .

٥ ــ **وهو صحافي قدير كان من بناة الصحافة العربية الحديثة في الجزائر** ، وقد أسس مجموعة من الجرائد منها **جريدة «المنتقد»** التي صدرت في ٥ أغسطس (آب) سنة ١٩٢٥ م ، والتي أغلقتها فرنسا بعد صدور ١٨ عدداً فقط منها وكانت أسبوعية . **وجريدة «الشهاب»** التي أصدرها في عام ١٩٢٥ م ، كجريدة أسبوعية ثم تحولت إلى مجلة شهرية في عام ١٩٢٩ م ، وتوقفت عن الصدور في بداية الحرب العالمية الثانية ، وتعتبر مرجعاً هاماً للحركة الوطنية ، والإصلاحية ، والعربية ، لا يستغني عنها باحث في تاريخ الجزائر الحديث ، أو في تاريخ الحركة الإصلاحية في الجزائر وبقية أقطار المغرب العربي ، **كما تولى رئاسة تحرير جرائد جمعية العلماء التي أسسها مع مجموعة من العلماء المصلحين** في عام ١٩٣١ م ، بعد أن بلغ عمر الاحتلال الفرنسي للجزائر قرناً كاملاً . وهي جرائد : السنّة ، والشريعة ، والصراط ، والبصائر .

وقد لعبت الجرائد المذكورة[٦] دوراً بارزاً في النهضة العربية الحديثة في الجزائر حيث نشرت الوعي السياسي ، والتربية الوطنية ، وروح الثورة ضد الاحتلال في نفوس الجزائريين ، كما حملت لواء الدفاع عن حقوق الشعب الجزائري السياسية ، ومقومات شخصيته الوطنية .

خصائص عصر ابن باديس

ولا يمكننا فهم وتقدير الدور الذي لعبه الشيخ عبد الحميد بن باديس في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية فيما بين الحربين العالميتين إلا إذا فهمنا أولاً خصائص العصر الذي عاش فيه ، وناضل خلاله من أجل مقومات الشخصية الجزائرية التي كان ابن باديس يلخصها في ثلاثة مقومات رئيسية هي : الإسلام[٧] ــ العروبة ــ الجزائر ــ فما هي تلك الخصائص ؟

الواقع أن العصر الذي عاش فيه ابن باديس (١٨٨٩ ــ ١٩٤٠ م) كان عصر بداية اليقظة الوطنية العامة في الجزائر ، وكانت البلاد تبحث عن طريقة ناجعة تخرج بها من ظلام الاحتلال الذي أطبق عليها بكل قواه ، وسلبها جميع الحقوق الأساسية للإنسان في القرن العشرين .

وقد كانت الآراء والاتجاهات السياسية التي سادت في الجزائر فيما بين الحربين العالميتين تشبه في كثرتها وتقلباتها أمواج البحر العاصف المتلاطمة في كثرتها وتقلباتها .

فالبعض من الساسة الجزائريين رأى السلامة في طلب مساواة الجزائريين بالفرنسيين المحتلين في الحقوق والواجبات مع المحافظة على قانون الأحوال الشخصية الإسلامي . وهذا منتهى ما كان يأمل في الحصول عليه من الإدارة الاستعمارية في الجزائر .

والبعض الآخر من هؤلاء الساسة من تطرف فنادى بتطبيق سياسة الاندماج الكامل في فرنسا على الجزائريين ، حتى يحصلوا على حقوق المواطنة الفرنسية مع التنازل الكامل عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي ، وهم المعروفون في تاريخ الجزائر الحديث **بدعاة الاندماج في فرنسا والتجنس بجنسيتها** .

والبعض الثالث من هؤلاء الساسة ارتموا في أحضان الاستعمار وباعوا أنفسهم ووطنهم للشيطان حيث أصبحوا عملاء للاستعمار الفرنسي ضد مصالح بلادهم العليا في الحرية ، والكرامة ، والاستقلال ، وهم المعروفون في تاريخ الجزائر الحديث **بجماعة بني (وي وي)** أي

(**موافق، موافق**) لكل ما يقوله المستعمر، وما يقرر عمله في الجزائر.

وفي مقابل تلك الاتجاهات الثلاثة كانت هناك طليعة ثورية جزائرية نادت بالاستقلال التام للجزائر منذ عام ١٩٢٧م، وتكوين جمهورية جزائرية حرة وذات سيادة، وأن تحرير الجزائر يجب أن يتم في نطاق حضارتها الإسلامية العربية، وليس في نطاق الاندماج، أو التجنيس، أو الفرنسة.

حالة الشعب الجزائري في الفترة (١٩٠٠ ـ ١٩٤٥م)

ومن المعروف أن سوء أحوال الشعب الجزائري قد بلغت حداً لا يطاق، من فقر مدقع، وبؤس شامل، وجهل دامس، وذل ومهانة، وسيطرة واستعباد فيما بين الحربين العالميتين على الخصوص، حيث تمكنت فرنسا من إخماد كافة الثورات الشعبية التي قامت في وجه احتلالها منذ ثورة **الأمير عبد القادر** في بداية الاحتلال (١٨٣٠ ـ ١٨٤٧م) ثورة بعد ثورة حتى الثورات التي قامت في وجهها قبل الحرب العالمية الأولى. وبالتالي فرضت على الشعب الجزائري حكماً رهيباً تحت ظل ما كان يعرف «**بقوانين الأنديجينا**[٨]» أو قوانين الأهالي، وهي قوانين استثنائية رهيبة كانت تحصي على الجزائريين جميع حركاتهم ومسكناتهم، وأنفاسهم.

إن فرنسا كما قال مؤرخ معاصر «لم تكتف بتجريد الإنسان الجزائري من أرضه، ومسخ شخصيته فقط، ولكنها عملت كذلك على إفساد الأفئدة والعقول لدى البعض من الجزائريين»، وقد تجلى عملها التخريبي في إغلاق المساجد والمدارس، التي كانت تعلم العربية، وفي هدم الزوايا، لأنها كانت مراكز لتثقيف الشباب، وغرس روح المقاومة في نفوسهم، كما أنها حولت الزوايا التي سلمت من التخريب إلى أوكار تدين لها بالولاء، مع الاقتصار فيها على حفظ القرآن الكريم فقط، وهو ما اعترف به أحد المستشرقين الفرنسيين في عام ١٩٠٨م، حيث قال: «إن المساجد والزوايا مقتصرة على تعليم القرآن الكريم الذي يحفظه التلميذ عن ظهر قلب».

«أما المدارس التي يستطيع التلميذ أن يتعلم فيها مواداً أخرى فعددها محصور جداً ويبدو أن هذا العدد يتناقص باستمرار[٩]».

وإلى جانب القضاء على مراكز الدين والتربية والثقافة الوطنية لعبت المدرسة الفرنسية دورها كما هو مرسوم لها من طرف الاستعمار الفرنسي في محاربة الشخصية العربية الإسلامية للجزائر، والقيم الوطنية الجزائرية. كتب أحد رجال الاستعمار كلمة صريحة حول دور المدرسة الفرنسية في إفساد القيم الأساسية للشعب الجزائري فقال: «إن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا، وجعلها أكثر ولاءً، وأخلص في خدمتهم لمشاريعنا هو أن نقوم بتنشئة أبناء الأهالي (أي سكان المستعمرات) منذ الطفولة، وأن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمرار، وبذلك يتأثرون بعاداتنا الفكرية، وتقاليدنا، فالمقصود إذن أن نفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف فيها عقولهم[١٠] حسبما نريد».

هذه باختصار وتركيز هي خصائص العصر الذي عاش فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس وناضل وسط تياراته وأمواجه المتلاطمة على الشخصية الجزائرية، وحق الشعب الجزائري في الحياة الحرة الكريمة: سيطرة استعمارية خانقة على الشعب الجزائري، وحرمان كامل من كافة حقوق الإنسان الأساسية، واستبداد طاغ، وتحكم مطلق، في كل مقدرات الشعب الجزائري السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والدينية، والفكرية.

فما الطريق الذي اختاره ابن باديس للعمل من أجل تحرير الجزائر ثقافياً، وفكرياً، ودينياً، ثم بعد ذلك سياسياً على المدى البعيد؟ وما مدى مساهمته في بعث مقومات الشخصية الجزائرية التي كاد الاستعمار الفرنسي أن يقضي عليها قضاء مبرماً عندما بلغ عمره في الجزائر قرناً كاملاً في عام (١٨٣٠ ـ ١٩٣٠م).

دعائم نهضة كل شعب

لقد كانت الطريق التي اختارها الشيخ عبد الحميد بن باديس لتحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي على المدى البعيد وإحداث النهضة الحقيقية في الجزائر، تقوم على أساس مجموعة من الدعائم، هي في الحقيقة والواقع دعائم كل نهضة اجتماعية، وسياسية، وثقافية، واقتصادية، لكل شعب ينشد التقدم، والتطور، والرقي، ويطمح إلى الحرية والاستقلال.

هذه الدعائم يمكن تلخيصها في إيجاز وتركيز في الأمور التالية:

١ ـ تأسيس المدارس والمعاهد العلمية لتربية الأجيال الصاعدة، وإعداد القادة القادرين للأمة في شتى مجالات الحياة الحيوية.

٢ ـ تكوين المطابع لإحياء الثقافة العربية، والإسلامية، والوطنية، ونشرها بين الناس.

٣ ـ تأسيس الجرائد والمجلات للتكوين السياسي، والأيديولوجي للمواطنين الجزائريين.

٤ ـ تأسيس المساجد والنوادي للتربية الدينية، والسياسية، والوطنية للشباب والرجال والنساء، استعداد لخوض معركة الحرية والاستقلال ضد الاستعمار الفرنسي.

مجالات الإصلاح الإسلامي

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن جهود ابن باديس في مجال التربية والتعليم، وقد تناولنا ذلك بالتفصيل في كتابنا عنه، وكذلك عن نشاطه الصحافي، ونشاطه، في تكوين المساجد والنوادي. لذلك ننتقل إلى الحديث عن مجالات الإصلاح التي عمل فيها ابن باديس للمجتمع الجزائري.

وباختصار فقد عمل الشيخ عبد الحميد بن باديس بصفة أساسية على إصلاح ثلاثة أمور جوهرية لنهضة الشعب الجزائري العربية الإسلامية هي كما يلي :

١ ـ إصلاح عقلية الجزائريين .
٢ ـ إصلاح عقيدة الجزائريين .
٣ ـ إصلاح أخلاق الجزائريين .

أولا : إصلاح عقلية الجزائريين

لقد أخذت قضية إصلاح عقلية الجزائريين حيزاً كبيراً من وقت وجهد الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ومن أجلها أنشأ المدارس والمعاهد ، ومن أجلها كوّن الصحافة الوطنية ، لأنه كان يرى أن الشعب الجاهل لا يستطيع أن يفرض وجوده على الناس في الحياة ، ولا يستطيع أن ينال حريته من أعدائه ، وفي حالة ما إذا تحصل عليها فإنه لا يعرف كيف يحافظ عليها ، وأن الاستعمار لم يستطع أن يفرض سيطرته على الجزائر إلا لكون الشعب الجزائري في أغلبيته الساحقة شعبٌ أميٌّ **« يعيش في غياهب الجهل والغفلة »** .

ولذلك يجب إصلاح عقليته عن طريق نشر العلم والمعرفة بين أبنائه ، حتى يدركوا حقوقهم ، ومن ثم ينهضون للمطالبة بها ، والنضال من أجل الحصول عليها . ذلك أن الشعب المتعلم لا يمكن استعباده أبداً من طرف أية أمة ، مهما كانت قوتها .

ولذلك عمل ابن باديس في ميدان التربية والتعليم حوالي ثلاثين سنة عملاً متواصلاً من أجل تربية الجيل الصاعد تربية علمية ، ووطنية ، وإسلامية ، حتى يمكنه عن طريق سلاح العلم والمعرفة ، أن يعمل على تحرير الجزائر من العبودية والاستعمار الأجنبي الغاصب . وهذا ما حصل بالفعل في ثورة الفاتح من نوفمبر (تشرين الثاني) (١٩٥٤ ـ ١٩٦٨ م) .

وقد نجح ابن باديس في هذا الميدان نجاحاً كبيراً حيث كوّن للجزائر جيلين كاملين من الرجال والنساء الصناديد الذين ساهموا مساهمة كبيرة في بعث النهضة العربية الإسلامية في الجزائر ، ومحاربة سياسة الفرنسة ، والاندماج ، والتجنيس ، حتى قضى عليها قضاء مبرماً عقب نهاية الحرب العالمية الثانية ، وعندما شبّت ثورة الجزائر الكبرى في فاتح نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٤ م ، وهي الثورة المشهورة في العالم بأنها **« ثورة المليون شهيد »** كانوا من جنودها الصناديد .

ثانياً : إصلاح عقيدة الجزائريين

وإصلاح عقيدة الجزائريين هي الأخرى أخذت حيّزاً هاماً في نشاط الشيخ عبد الحميد بن باديس التربوي والاجتماعي ، ذلك أن الاستعمار والطرقية المحلية قد أفسدا تلك العقيدة إفساداً كبيراً .

فالاستعمار أفسد عقيدة الجزائريين عن طريق الجهل الذي نشره عامداً متعمداً بين صفوف الشعب الجزائري ، حيث حرمه من التعليم



★ الأمير عبد القادر الجزائري ★

الإسلامي الصحيح ، لأنه قضى على معظم معاهد العلم الإسلامية التي كانت قائمة في الجزائر قبل دخول الاستعمار الفرنسي إلى البلاد ، في عام (١٨٣٠ م) . ولذلك لم يجد أبناء وبنات الجزائر معاهد إسلامية مثل **« الأزهر »** في القاهرة أو **« الزيتونة »** في تونس ، أو **« القرويين »** في المغرب الأقصى ، يدرسون فيها أصول الدين الإسلامي الصحيح ، وعلوم الشريعة في مصادرها الأساسية لكي تصبح عقيدتهم الدينية قائمة على أسس علمية إسلامية كما هي مشروحة ومفصلة في مصادر الإسلام الأساسية التي هي **الكتاب ، والسنة ، وعمل السلف الصالح .**

أما الطرقية (رجال الصوفية المحرفون)[١١] فقد أفسدت عقيدة الجزائريين عن طريق البدع ، والخرافات ، والشعوذة ، التي نشرها رجالها بين عامة الشعب الجزائري على أنها من الدين ، والحال أن الدين منها بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

ومن هنا أعلن الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة « الشهاب » التي كان يحررها من عام ١٩٢٥ م ، حتى بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ م : « بأن الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ، ومبناها كلها على الغلو في الشيخ ، والتحيز لأتباع الشيخ ، وخدمة دار الشيخ ، وأولاد الشيخ ، إلى ما هنالك من استغلال وإذلال ، وإعانة لأهل الأذلال والاستغلال ، ومن تجميد للعقول ، وإماتة للهمم ، وغير ذلك[١٢] من تلك الشرور » ولذلك شنّ حرباً شعواء على الطرقية ، والمرابطين ، لكي يخلص جماهير الشعب من خرافاتهم ، وتدجيلهم ، واستغلالهم ، حتى تصبح عقيدة الجزائريين الإسلامية طاهرة من كل البدع ، والضلالات ، والخرافات ، والشعوذات ، وقائمة على أساس ما جاء في كتاب الله وسنّة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقط .

وقد كانت حربه ضد الطرقية قوية[١٣] وعنيفة مثل حربه ضد الاستعمار الذي حال بين الجزائريين ، وبين دراسة أصول دينهم ،

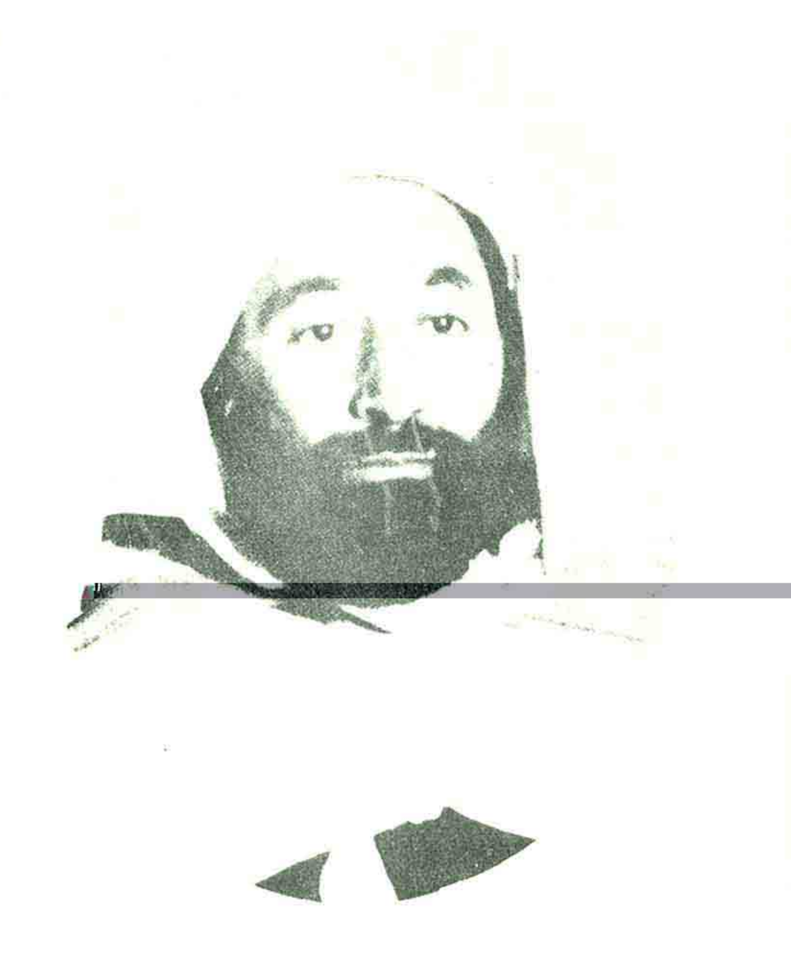
وتاريخهم الوطني ، والعربي والإسلامي ، ولغتهم العربية .

ثالثاً : إصلاح أخلاق الجزائريين[١٤]

والميدان الثالث الذي حاول ابن باديس إصلاحه في المجتمع الجزائري هو إصلاح أخلاق الجزائريين التي تدهورت تدهوراً خطيراً نظراً للجهل والفقر ، ومختلف الأمراض الاجتماعية التي نشرها الاستعمار الفرنسي في الجزائر طيلة قرن كامل بقصد زرع الانحلال الخلقي والديني ، وإشاعة الفساد بين شباب وشابات الجزائر ، ورجالها ، حتى ينصرف الجميع إلى الخمر ، والفسق ، والقمار ، وغيرها من الأمراض الاجتماعية ، ويتركوا الاستعمار الفرنسي يبسط نفوذه وسيطرته الحديدية على البلاد ، واستغلال ثرواتها وخيراتها كما يشاء ويريد .

ومن هنا عمل ابن باديس على إصلاح أخلاق الجزائريين عن طريق تربية الناشئة الجزائرية في الأسرة والمدرسة ، والمجتمع ، تربية إسلامية متينة حتى تتكون أجيال صالحة في أخلاقهم وسلوكهم العام تكون عمدة تحرير البلاد من الاحتلال الفرنسي ، وإعادة السيادة ، والكرامة للوطن .

ولا يخفى أن الأخلاق الصالحة هي أساس النهضة الصالحة ، وعمدة العمل الوطني الصالح . يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس مبيناً طريقته في تكوين الرجال الصالحين : « **فإننا نربي - والحمد لله - تلامذتنا على القرآن الكريم ، ونوجه نفوسهم إلى القرآن الكريم ، من أول يوم ، وفي كل يوم ، وغايتنا التي ستتحقق هي أن يكون القرآن الكريم منهم رجالا كرجال سلفهم ، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها ، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها** »[١٥] .


★ عبد الحميد بن باديس ★

ابن باديس والشخصية الجزائرية

يعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس من أكبر قادة الجزائر المعاصرين دفاعاً عن مقومات الشخصية الجزائرية ، ومن أكبر الذين عملوا بدون كلل ولا ملل على إحياء اللغة العربية ، والثقافة العربية ، الإسلامية ، وتاريخ الجزائر العربي الإسلامي ، في تاريخ الجزائر المعاصر .

وهو يرى أن مقومات الشخصية الجزائرية تتمثل في ثلاثة مقومات أساسية هي : (الإسلام - العروبة - الجزائر) وهو يحلل عروبة الجزائر تحليلاً دقيقاً حيث يرى أن الشعب الجزائري العربي المسلم ، قد تكوّن من انصهار السكان الأصليين للجزائر وهم **الأمازيغ (البربر)** مع العرب الذين حملوا الإسلام واللغة العربية إلى الجزائر حيث أسلم الأمازيغ (البربر) وتعلموا اللغة العربية طائعين ، وبذلك امتزج الجنسان عن طريق : المصاهرة ، والعشرة الطويلة . **وهكذا فإن**

مقومات الشخصية الجزائرية تنحصر في رأي ابن باديس في ثلاثة مقومات أساسية هي :

(١) **الإسلام** : كدين ، وحضارة ، وأخلاق ، وسلوك .

(٢) **العروبة** : كلغة ، وثقافة ، وتاريخ ، وانتماء .

(٣) **الجزائر** : كوطن عربي إسلامي . (هو جزء لا يتجزأ من الوطن العربي والإسلامي الأكبر) .

وقد عاش ابن باديس طوال حياته مناضلاً صلباً عن تلك المقومات في وجه كل من تسوّل له نفسه المساس بها ، سواء كان جزائرياً ، أو كان استعمارياً ، لا يخاف ولا يهادن أبداً .

وقد عاهد الله والوطن على أن يعيش للعروبة والإسلام ، وأن يموت من أجل العروبة والإسلام .

ففي عام ١٩٣٨ م ، ألقى الشيخ ابن باديس خطاباً جامعاً في جماهير المحتفلين بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم في كلية الشعب بمدينة قسنطينة مسقط رأسه تحت عنوان « الإسلام دين الحياة ، والعلم ، والفن » ختمه بالعهد التالي :

« إنني أعاهدكم على أنني أقضي بياضي على العربية والإسلام ـ كما قضيت سوادي عليهما وإنهما لواجبات ، وإنني سأقصر حياتي على الإسلام والقرآن الكريم ، ولغة الإسلام والقرآن الكريم ، هذا عهدي لكم ، وأطلب منكم شيئاً واحداً وهو أن تموتوا على الإسلام والقرآن الكريم ، ولغة الإسلام والقرآن[١٦] » .

وانسجاماً وتمشياً مع هذا الاخلاص والغيرة على العروبة والإسلام ، ووفاء للخط العام الذي كرس له حياته وهو المحافظة على عروبة الجزائر ، وإسلامها ، ووطنها الجزائر ، كان يتصدى لكل منحرف عن الخط الوطني والقومي للشعب الجزائري . كتب في عام ١٩٣٥ م ، مقالا تاريخياً تحت عنوان « **كلمة صريحة** » رد فيها على بعض الجزائريين الذين كانوا ينكرون الشخصية الجزائرية ، وينادون باندماج الجزائر التام في فرنسا . قال ابن باديس : « قال البعض من النواب المحليين ، ومن الأعيان ، ومن كبار المتوظفين بهذه البلاد ، إن الأمة الجزائرية مجمعة على اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي ، ولا غاية لها إلا الاندماج الفعلي التام في فرنسا ، ولا أمل في تحقيق هذه الرغبة ، إلا بأن تمد فرنسا يدها بكل سرعة . فتلغي جميع ما يحول دون تحقيق هذا الاندماج التام » ، بل لقد قال أحد النواب النابهين ، إنه فتّش عن القومية الجزائرية ، في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر ، وفتّش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر ، وأخيراً أشرقت عليه أنوار التجلي فإذا به يصيح : فرنسا هي أنا !!! .

وقد رد عليهم الشيخ ابن باديس في مجلته « شهاب » رداً قوياً ومفحماً فقال : « لا » يا سادة . . . إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ ، وفتشنا في الحالة الحاضرة ، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة وموجودة ، كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا . ولهذه الأمة تاريخها الحافل ، بجلائل الأعمال ، ولها وحدتها الدينية أو اللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة ، وعوائدها وأخلاقها ، بما فيها من حسن وقبيح ، شأن كل أمة في الدنيا . . . ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تريد أن تصير فرنسا ، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت ، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا ، كل البعد في لغتها ، وفي أخلاقها ، وفي عنصرها ، وفي دينها . لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين ، هو الوطن الجزائري ، بحدوده الحالية المعروفة ، والذي يشرف عليه الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية[١٧] .

وكما حارب المنكرين للشخصية الجزائرية حارب كذلك دعاة الاندماج والتجنيس وقد أصدر فتوى بتكفير المتجنسين بالجنسية الفرنسية ونشرها في **جريدة البصائر**[١٨] « لسان حال جمعية العلماء » التي كان يتولى رئاستها ، وكان يقول إن من يتزوج امرأة أوروبية قد أدخل الاستعمار إلى بيته وأصدر فتوى ضد الزواج[١٩] بالفرنسيات ، محافظة على كيان الأسرة الجزائرية والشخصية الجزائرية ، والنشء الجزائري من الفرنسة ، والكفر ، والزيغ ، والإلحاد ، والميوعة .

وطنية الشيخ عبد الحميد بن باديس

وإلى جانب نضاله المستميت في سبيل المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية فقد كان الشيخ ابن باديس وطنياً من الطراز العالي ، يحب الجزائر والعرب ، يغار عليهما ، ويضحي من أجل سعادتهما وعزتهما وكرامتهما ، بكل غال ونفيس ، وكتاباته عن العرب ، والمسلمين ، والجزائر تفيض بالحب ، والغيرة ، والإخلاص ، والعواطف الجياشة .

في عام ١٩٣٦ م ، ألقى الشيخ عبد الحميد بن باديس محاضرة في أعضاء جمعية « التربية والتعليم » التي كان يتولى رئاستها في مدينة قسنطينة تحت عنوان « لمن أعيش ؟ » وأجاب عن سؤاله قائلاً : « أعيش للإسلام والجزائر » . . وبعد أن شرح مطولا لماذا يعيش للإسلام ؟ . قال : « أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص ، وتفرض عليَّ تلك الروابط لأجله ـ كجزء منه ـ فروضاً خاصة ، وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة ، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل[٢٠] به مباشرة » .

وكتب في « الشهاب » تحت عنوان « **كلمات حكيمة** » يحدد حقوق الوطن على المواطنين فقال : « إنما ينسب إلى الوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي ، ومصالح الحاضر ، وآمال المستقبل ، والنسبة للوطن توجب علم تاريخه ، والقيام بواجباته . من نهضة علمية ، واقتصادية ، وعمرانية ، والمحافظة على شرف اسمه وسمعته ـ فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ، ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه[٢١] » .

وقد كان يغتنم كل فرصة ممكنة لحث الشباب المثقف على خدمة وطنه والمساهمة في النهوض بشعبه ، من ذلك على سبيل المثال . . أن جمعية التربية والتعليم بقسنطينة التي كان يتولى رئاستها أقامت في أواخر

أغسطس (آب) ١٩٣٩م، حفلة تكريم لمجموعة من الطلبة الجزائريين الذين تخرجوا من جامع الزيتونة في تونس. وقد ألقى الشيخ خطاباً في الاحتفال المذكور جاء فيه: «إنكم رجعتم إلى وطنكم تحملون شهادات علمية، ومن أجل ذلك كنتم جديرين بهذا التكريم، ولكن لا تظنوا أنكم ستجدون مصاعب الحياة قد أزيلت من طريقكم يجب أن تعلموا ـ يا أبنائي ـ أنكم مقبلون على خوض معركة شديدة من أجل خدمة أمتكم ووطنكم بما أحرزتم عليه من علم»... ثم قال لهم: «ينبغي أن تكونوا عند حسن ظن أمتكم بكم، وكونوا على استعداد لأداء[22] واجبكم نحو وطنكم».

وفاة ابن باديس

وفي يوم ١٦ أبريل (نيسان) ١٩٤٠م، توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس وكان ممنوعاً من الخروج من مدينة قسنطينة بأمر من سلطات الاستعمار الفرنسي.

وقد شيعت جنازته في اليوم التالي في وسط جموع غفيرة من الجزائريين «وكان المشيعون خمسين ألفاً أو يزيدون[23]» جاءوا من كافة أنحاء القطر الجزائري لتوديعه الوداع الأخير.

وقد تركت وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس فراغاً كبيراً في صفوف الحركة الوطنية، وفي صفوف رجال الإصلاح، وبين جماهير الشعب التي كانت تعتبره الزعيم المخلص، والوطني الغيور على دينه وشعبه ووطنه، وعلى الإسلام، والعروبة.

وقد صرح **أحمد مصالي الحاج زعيم حزب الشعب الجزائري** في ذلك الوقت «بأن وفاة هذا الزعيم الروحي تعتبر أكبر كارثة لا على الإسلام وحده، بل على الحركة الوطنية أيضاً».

وقد قاد **الشيخ العربي القبسي** في رثائه للشيخ عبد الحميد بن باديس في المقبرة ما معناه «**لقد كان عبد الحميد بن باديس في جهاده، وأعماله هو الجزائر كلها ـ فلتجتهد الجزائر بعد وفاته أن تكون هي الشيخ عبد الحميد بن باديس**».

هذا هو ابن باديس الذي تحتفل الجزائر منذ ٤١ عاماً بيوم وفاته وتلك بعض خصاله وأعماله، وقد ترك من ورائه تراثاً ضخماً في العلم، والأدب، والتاريخ، والصحافة، والتفسير، والحديث، والسياسة، والرجال الأوفياء. صار اليوم بعد الاستقلال مرجعاً خصباً للدراسات الجامعية الرصينة داخل الجزائر وفي المشرق العربي، وفرنسا، وجامعات عديدة في أوروبا، وأميركا.

رحم الله ابن باديس وكل علماء العرب والمسلمين العاملين لخدمة الإسلام والعروبة والوطن. ووفق أجيال العرب والمسلمين على السير على منوالهم.

الهوامش

(١) مجلة «مجمع اللغة العربية» بالقاهرة عدد ٢١/١٩٦٤م، ص ١٤٣.

وانظر كذلك كتابنا «الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم» ط٢، أهداف التربية عند ابن باديس من ص ٣٩٠ إلى ٣٠٢/الجزائر، ١٩٧٦م.

(٢) انظر عبد الحميد بن باديس «مجالس التذكير من كلام الحكم الخبير» أو «تفسير القرآن» دار الكتاب الجزائري ط٢ بدون تاريخ.

(٣) راجع كتابنا «التعليم القومي والشخصية الوطنية» ـ الجزائر ١٩٧٥م، الباب الأول «سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ومحاولة محو الشخصية القومية للجزائريين» من ص ٦١ إلى ص ١٢١.

(٤) انظر ابن باديس في محاضرة «لمن أعيش»؟ مجلة الشهاب/ج١٠ م١٢/يناير (كانون الثاني) ١٩٣٧م، من ص ٤٢٤ إلى ص ٤٢٨، الجزائر.

(٥) لا يتسع المجال لضرب أمثلة على موهبته الخطابية هنا في هذه الدراسة القصيرة.

(٦) انظر الدكتور محمد ناصر «الصحف العربية في الجزائر» من عام ١٨٠٧م، /إلى عام ١٩٣٩م/الجزائر ١٩٨٠م، صفحات: (٥٢ ـ ٥٨).

(٧) ابن باديس/مجلة الشهاب ج١ م١٤/ مارس (آذار) ١٩٣٨م، ص ١٣٠ ـ ١٥٠ ـ ١٨١.

(٨) انظر تفاصيل هذه القوانين الرهيبة في كتاب «الجزائر» للأستاذ أحمد توفيق المدني/من ص ٣٠٤ إلى ص ٣١٤ ط٢ دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣م.

(٩) انظر الدكتور صلاح العقاد (الجزائر المعاصرة) معهد الدراسات العربية العالية/جامعة الدول العربية القاهرة ١٩٦٤م، من ص ٢٠ إلى ص ٤٩.

(١٠) الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي (تخليص الثقافة الجزائرية من الشوائب الاستعمارية) مجلة الثقافة/عدد ٢٦ الجزائر ـ السنة الخامسة ـ أبريل ـ مايو (نيسان ـ أيار) ١٩٧٥م، ص ٦.

(١١) أقصد الطرقية في الجزائر فقط ولا أعمم الحكم خارج الجزائر.

(١٢) مجلة «الشهاب»، ج٤، م١٣/عدد جوان (يونيو) حزيران ١٩٣٧م، ص ١٧٦ ـ ١٧٩.

(١٣) راجع كتابنا الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم/مرجع سابق ص ٢١١ إلى ص ٢٣٨.

(١٤) ابن باديس «تفسير القرآن» مرجع سابق ٤٢٨ ـ ٤٢٩.

(١٥) مجلة «الشهاب» ج٤ م١٤/عدد يونيو ـ يوليو (جوان ـ جويليه) ١٩٣٨م، ص ٢١١.

(١٦) مجلة «الشهاب» ج٧ م١٥/عدد أغسطس (آب) ١٩٣٤م، ص ٣٤٦ (يقضي بياضه على الإسلام = شيبه أما سواده فيعني بها سواد شعر لحيته).

(١٧) ابن باديس «الشهاب» ج٩ م١٣/عدد نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٧م، ص ٤٠٣ ـ ٤٥٤ الجزائر.

(١٨) البصائر عدد ٩٥/السنة الثالثة/١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٨م، الجزائر.

(١٩) البصائر المرجع السابق.

(٢٠) مجلة «الشهاب» ج١٠ م١٢ عدد يناير (كانون الثاني) ١٩٣٧م، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥ الجزائر.

(٢١) مجلة «الشهاب» ج١ م١٢ عدد أبريل (نيسان) ١٩٣٥م، ص ١٥٥ الجزائر.

(٢٢) علي مرحوم «لمحات من حياة الشيخ ابن باديس» مجلة «الأصالة» السنة الرابعة عدد ٢٤/ مارس ـ أبريل (آذار ـ نيسان) ١٩٧٥م، ص ١٠٦ الجزائر.

(٢٣) تقارير الشرطة الفرنسية/جريدة الوفاق باللغة الفرنسية/عدد ٣٤/السنة الثالثة ـ وهران ٩ مايو (أيار) ١٩٤٠م، ص ١.

ابتهالات في يثرب

شعر: علي عبد الفتاح عيسى

أيّ عطر في حنايا يثرب — عطّر الآفاق في أرض النبي
وضياء .. قد كسا الأرض سنا — وسرى البشر به في الموكب
وابتهالات .. مشت في فرحة — طائفات بالمقام الطيّب

* * *

وانثنت مبهورة في لهفة — تحضن الكعبة والركن الأبي
جأرت منا الحنايا تشتكي — لرحاب الله بُعد المطلب

* * *

نحن عبّادك جئناك .. وفي — روحنا شوق لعذب المشرب
نحن جئناك .. وفي أعماقنا — ذلة الروح .. وخوف المذنب
ضاعت الأشواق من آماقنا — تاهت البسمة في ثغر الصبي
جفّ زهر الحب في أيامنا — نضب النبع .. ولمّا نشرب

* * *

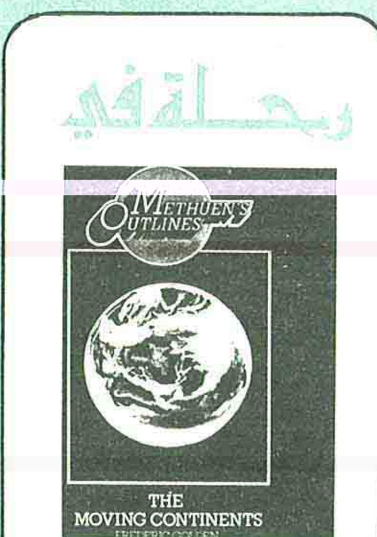
كم قصور شدتها في خاطري — وأمانٍ .. لم تزل تهتف بي
وأتى الصبح .. فأضحت في يدي — بعض أشلاء هوى منسكب

* * *

فاسقنا يا رب .. حباً وهدى — وامنح الأمن لقلب المتعب
وانشر الحب على أبياتنا — من يد الغيم، ووجه السحب
وأفض فوق أمانينا الرضا — إننا لم نرتوِ .. لم نطرب
وارو يا رب صدى أيامنا — بفيوضٍ من رضاك الأعذب
واسكب الراحة في أعماقنا — تزدهي الروح بروض معشب

* * *

رحلة في كتاب





زحف القارات

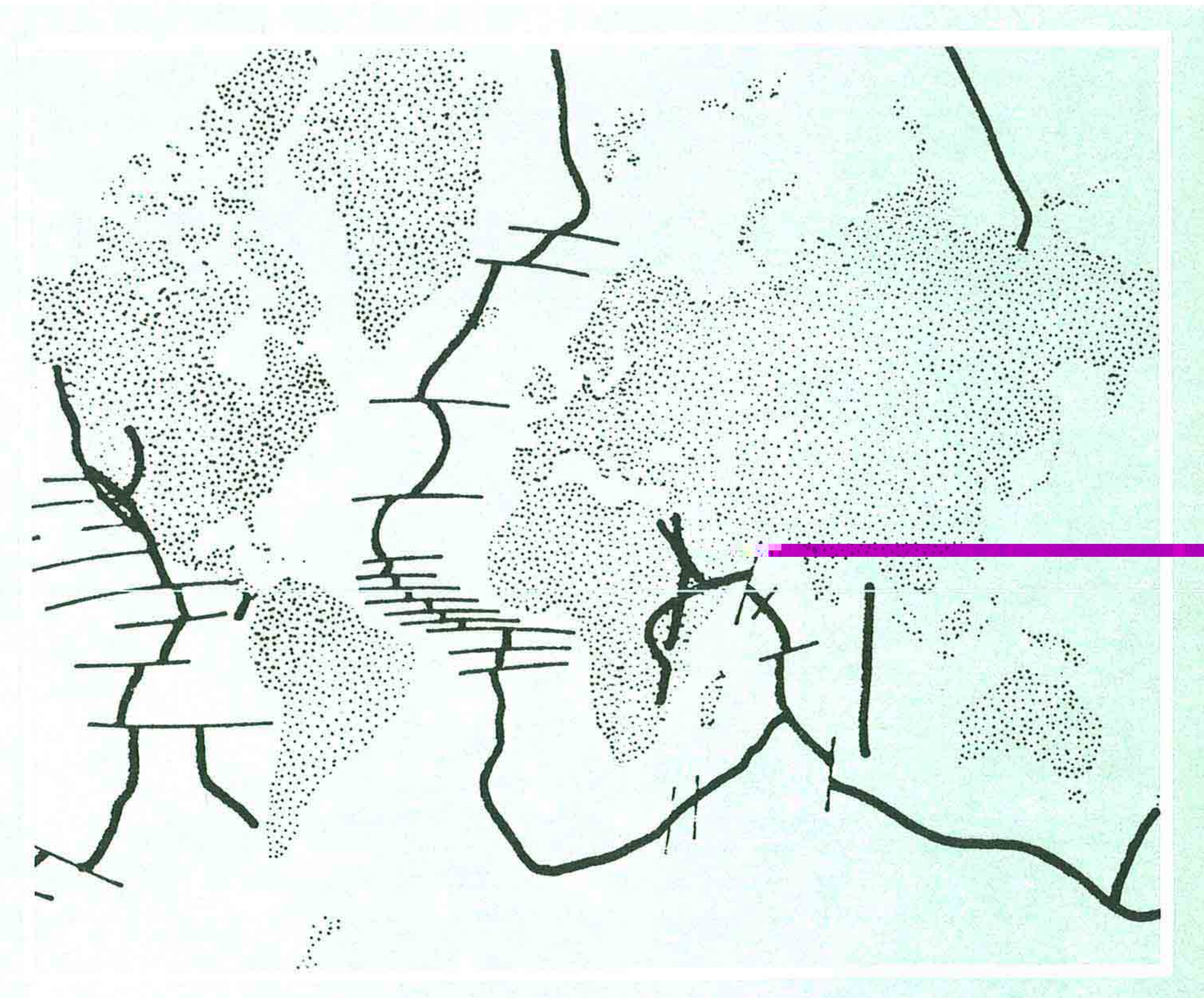


تأليف :
فردريك جولدن

عرض وتقديم :
د. أحمد عبد القادر المهندس

يحكي هذا الكتاب قصة مولد وتطور **نظرية زحف القارات**. ويتميز الكتاب بأنه **يروي حلقات مولد وتطور الفكرة بشكل قصة بوليسية علمية، ويصف خطوة بخطوة الأدلة العلمية التي تثبت نظرية زحف القارات.**

نشر هذا الكتاب لأول مرة في عام ١٩٧٢م، في **نيويورك**، ثم في عام ١٩٧٤م، في **لندن** بواسطة دار نشر Methuen and Co. Ltd. ويقع الكتاب في (٦٤) صفحة تحتوي على مقدمة وستة فصول بالإضافة إلى قائمة بالمراجع، **وفهرس تحليلي** في آخر الكتاب. كما يحتوي الكتاب على (٢٨) صورة ورسماً توضيحياً بالأسود والأبيض، لكن بعض الصور غير واضحة، كما أن لغة الكتاب تبدو صعبة أحياناً. وبالرغم من هذا فإن الكاتب قد نجح في إبراز أهم ملامح نظرية زحف القارات وتطورها من الناحية العلمية والقدرة على جذب اهتمام القارئ المتخصص من أول صفحة.



★ نظام سلاسل الجبال والحيود في العالم ★

جمجمة في قارة القطب الجنوبي

في أواخر عام ١٩٦٩ م، وخلال بعثة علمية إلى قارة **القطب المتجمد الجنوبي** قام فريق من العلماء الأميريكيين باكتشاف غاية في الأهمية. وجد هؤلاء العلماء جمجمة متأحفرة لزاحف منقرض منذ زمن بعيد وهو **الليزتروسورس** Lystrosaurus، وهو نسيب قريب للديناصورات. استطاع العلماء أن يدركوا أن ذلك الزاحف الصغير الشبيه بفرس النهر كان يسكن منذ زمن بعيد في **المستنقعات الاستوائية بإفريقيا والهند**. لكن كيف أتى هذا الحيوان الزاحف الذي يعيش عادة في الأماكن الحارة إلى هذه المنطقة الباردة المغطاة بالثلوج، والتي لا تبعد عن القطب الجنوبي إلا بحوالي (٦٥٠) كيلومتراً فقط. **هل يحتمل أن يكون حيوان الليزتروسورس سباحاً ماهراً في ذلك الزمن البعيد منذ حوالي ٢٠٠ مليون سنة تقريباً**؟ ربما. لكن من غير المحتمل أن يكون لديه القدرة الكافية لكي يجدف عبر آلاف الكيلومترات في البحر من الهند أو إفريقيا، إلى قارة القطب الجنوبي. كما أن هذا الزاحف الصغير كان حيواناً يعيش في المحيط المالح.

إذن ما التفسير لما حدث؟ كانت هناك إمكانية واحدة لوجود ذلك الحيوان في قارة القطب الجنوبي، وذلك أن قارة القطب الجنوبي نفسها قد تحركت، وخلال رحلة هذه القارة المتجولة فإنها ببساطة حملت جسم ذلك الزاحف القديم معها.

إن السطور التالية سوف تحكي بإيجاز ملامح من الفكرة القديمة الجديدة عن أرضنا المتغيرة التي برزت من خلال الاكتشافات الحديثة. وتتلخص هذه الفكرة في أن القارات في حالة نزوح وانتقال من مكان إلى آخر.

جماعة الموحدين

كان الجيولوجيون ـ في القرن السابع عشر الميلادي ـ يعتقدون بأن **عمر**

الأرض لا يمكن أن يزيد عن (٦٠٠٠) سنة فقط. لذلك فإن المظاهر الجيولوجية مثل القمم العالية ، أو الأخاديد العميقة ، قد وجدت منذ بدء الخليقة ، أو تكونت بعد ذلك بقليل . ذلك لأن الجيولوجيين لم يأخذوا في الاعتبار عمر الأرض الحقيقي . وفي عام ١٧٨٥ م ، شرح الجيولوجي **هتون** Hutton في سلسلة من المحاضرات أمام **الجمعية الملكية بأدنبره ، (اسكتلندا)** ملاحظاته عن المظاهر الجيولوجية المختلفة .

وقد عرف هتون من مشيه الطويل خلال المناطق المختلفة من إنجلترا واسكتلندا بأن كثيراً من الكوارث أحياناً تشوه المظاهر الجيولوجية المختلفة للأرض . أشار هتون أيضاً إلى أن الأرض تتشكل بخطوات أكثر بطأ مما نتصور .

وفي الواقع فإن التغيرات التي تحدث على سطح الأرض بطيئة جداً ، لدرجة أنها لا يمكن أن تلاحظ في حياة شخص واحد أو أكثر . لكنها يمكن أن تلاحظ خلال فترة طويلة تقدر بآلاف الأعوام . كما أن عوامل التغير لم تكن كوارث مفاجئة ، وإنما عمليات ثابتة وبطيئة ، مثل ضربات الأمواج ضد الشواطئ ، أو طرقات الأمطار والرياح ضد الصخور الصلدة ، وكذلك غسل الطمي والحطام المختلفة بالأنهار السريعة .

بعد وفاة هتون بخمس سنوات ، أي في عام ١٨٠٢ م ، نشر **البروفيسور بلايفير** J. Playfair كتابه المسمى «**إيضاحات النظرية الهتونية عن الأرض**» ، الذي شرح فيه بوضوح نظريات صديقه هتون . وهكذا أصبحت نظريات وأفكار هتون تعرف بقاعدة **الموحدين** ، التي تقول بأن سطح الأرض يتغير بانتظام وليس بطريقة الكوارث ، وبأن الحاضر هو مفتاح الماضي ، وتعتبر قاعدة الموحدين هي البداية الحقيقية لعلم الأرض الحديث . لكن نظريات هتون الجديدة لم تستطع أن تشرح أو تفسر كثيراً من الألغاز الجيولوجية . فبينما نجد أن تأثير البحر والمطر والهواء يمكن أن تشكل بعض المظاهر الجيولوجية لسطح الأرض فإنها لا تستطيع أن تفسر عملية تشكيل القارات أو تحريك بعضها عن بعض .

وفي عام ١٨٨٥م ، نشر الجيولوجي النمساوي إدوارد سويس Edward Suess ، خريطة توضح كيف أن القارات الجنوبية يمكن أن تندمج في قارة واحدة سماها «**جوندوانا**» نسبة إلى منطقة جوندوانا الغنية بالحفريات . وفي عام ١٩٠٨ م ، اقترح **الجيولوجي الأمريكي تايلور** F. B. Taylor بعض الملاحظات التي تؤيد زحف القارات . لكن نظرية زحف القارات لم تكسب أي احترام علمي إلا بعد ظهور **ألفريد ڤيجنر** Alfred Wegener **عالم الإرصاد الألماني** ، الذي حاول أن يشرح فكرة زحف القارات بطريقة علمية جديدة . رفض ڤيجنر فكرة الكوارث التي يمكن أن تحرك القارات .

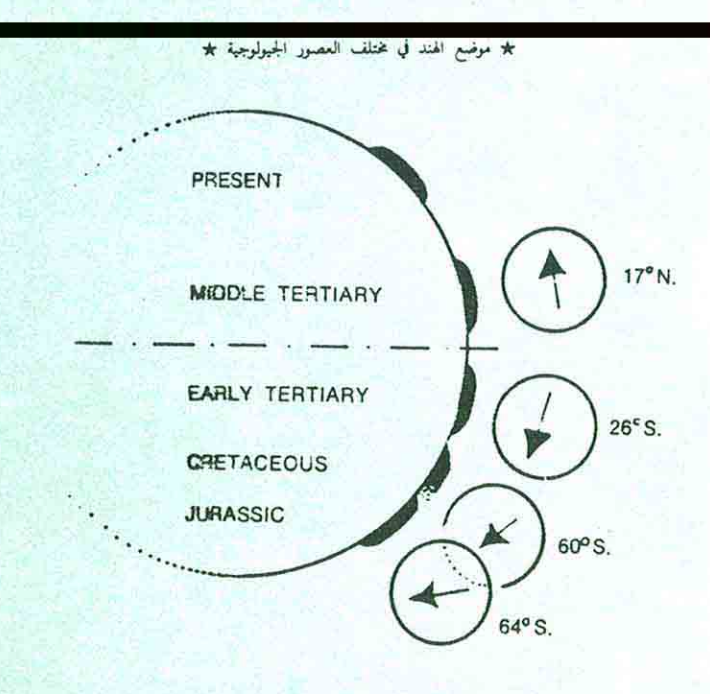
الفريد ڤيجنر وزحف القارات

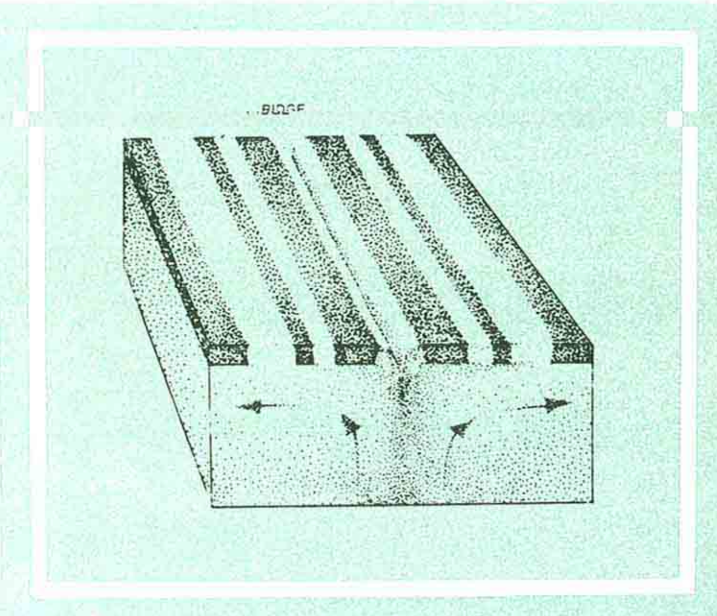
بعد أن أنهى ڤيجنر دراسته في علم الأرصاد التحق **بالمرصد الفضائي البروسي** كمساعد فني . كان عمله الرئيسي هو دراسة طبقات الجو العليا بوساطة جهاز موجود في طائرات ورقية وبالونات . وفي عام ١٩٠٦ م ، اشترك ڤيجنر مع البعثة الدانمركية لزيارة غطاء الثلج **بجرنيلاند** . وعند عودته أصبح محاضراً في علم الأرصاد **بمعهد ماربورج للفيزياء** . بدأ اهتمام ڤيجنر بتحرك القارات بالصدفة عندما كان محاضراً لعلم الأرصاد . كان ڤيجنر يعلم بالطبع عن تماثل أشكال سواحل قارتي **إفريقيا وأميريكا الجنوبية** ، لكنه تعلم أيضاً أنه يوجد كذلك بعض التشابه للعظام القديمة التي أحضرت من إفريقيا وأميريكا الشمالية . كما أنه اكتشف وجود بعض التشابه بين الحيوانات المنقرضة على القارات المختلفة ، كما أنه يوجد بعض التشابه بين الأنواع الحية من الحيوانات .

وقد وجد ڤيجنر أن **نظرية قشرة الأرض** المعروفة يمكن أن تقدم الحل لمشكلة وجود الحفريات المتشابهة في القارات . وتنص هذه النظرية على أن أي قطعة من الأرض تحاول الوصول إلى مستوى الطفو المطلوب في قاعدة الطفو . فمثلاً ترتفع **سكندينافيا** بمعدل يزيد عن متر واحد في القرن الواحد . وستظل ترتفع حتى يتم لها تحقيق مستوى الطفو . واقترح ڤيجنر بأن الحيوانات قد انتشرت وتوزعت في القارات المنفصلة . فإذا أمكن للقارات أن ترتفع وتنخفض مثل الفلين في الماء فلعله من الممكن أيضاً أن تنتقل جانبياً ، أي تتحرك قريباً أو بعيداً من بعضها البعض مثل الطوف الضخم . أي أن القارات هي التي تحركت ، وليس الحيوانات . لكن ڤيجنر كان يعلم أن العلماء لن يصدقوا نظريته هذه ، لذلك فقد أمضى ساعات طويلة في البحث ، ودراسة الخرائط الجيولوجية . ولاحظ أنه إذا أمكن وصل قارة أميريكا الشمالية بقارة أوروبا فإن هناك بعض الجبال التي يمكن أن تكون حلقة أو سلسلة واحدة في هاتين القارتين ، فمثلاً **جبال سيرا** Sierras في جنوب **بوينيس أيرس بالأرجنتين** يمكن أن تلتحم تماماً **بجبال كيب** Cape خلال المحيط الأطلسي في جنوب إفريقيا ، وكذلك الجبال الموجودة في شرق **كندا** ، بتلك الموجودة في **اسكتلندا والنرويج** . كما أن هذه الجبال لها نفس العمر الجيولوجي تقريباً . وعند ذلك أعلن ڤيجنر نظريته في محاضرة عامة ألقاها في عام ١٩١٢ م . وقد تمكن من توضيح آرائه عن زحف القارات في كتابه المشهور : «**أصل القارات والمحيطات**» .

كانت الفكرة الرئيسية في كتاب ڤيجنر هي أن **القارات كانت جزءً من قارة ضخمة واحدة تغطي ثلث الأرض** . وقد سمى ڤيجنر هذه القارة

★ موضع الهند في مختلف العصور الجيولوجية ★





★ صخور اللابة (الصخور البركانية) الممغنطة على جوانب حيد قاع البحر ★

بانجايا Pangaea ، من الكلمة الإغريقية التي تعني « الأرض الكلية » ، أما بقية الكرة الأرضية فقد كانت مغطاة بمحيط ضخم سماه **بنثالاسا** Panthalassa أو « **البحر الكوني** » . وقبل ٢٠٠ مليون سنة تقريباً بدأت بعض العوامل الجيولوجية داخل الأرض في تفتيت بانجايا ، وببطء بدأت أجزاؤها تزحف في ذلك المحيط اللجي ؛ **قارتا أميريكا** تزحف إلى الغرب ، **وآسيا** إلى الشمال ، **وأستراليا** إلى الشرق ، **وانتاركتيكا** إلى الجنوب ، وبقيت قارتا أوروبا وإفريقيا في مكانهما إلى حد ما . وقد أجابت نظرية ڤيجنر عن بعض الأسئلة المحيرة كما يلي :

س ــ **لماذا تبدو القارات وكأن سواحلها يمكن أن تتلاءم أو تتناسب في أشكالها ؟**

ج ــ لأنها كانت جزءً من قارة ضخمة واحدة .

س ــ **لماذا توجد النباتات والحيوانات ذات النوع الواحد متفرقة في أماكن مختلفة من القارات ؟**

ج ــ لأنها تشتتت عندما زحفت القارات عن بعضها البعض .

س ــ **لماذا نجد الأحافير التي توجد في المناطق الاستوائية في المناطق ذات المناخ البارد جداً ؟**

ج ــ لأنها حملت بواسطة القارات عندما كانت هذه القارات تزحف من نطاق مناخي إلى آخر . والمثل على هذا هو زحف قارة أميريكا من جنوب خط الاستواء إلى شماله .

بالإضافة إلى هذا فقد أجابت النظرية عن عملية تكوّن سلاسل الجبال الضخمة مثل **جبال الهملايا والأنديز والروكي** . لكن القليل من العلماء آمنوا بهذه النظرية والكثير منهم وجدوا أنه من الصعب القبول بكل ما جاء فيها .

★ عندما تتصادم صفيحتان فإن تصادمها ينعكس بوساطة الزلازل العميقة المركز التي تحدد مكان اصطدامها ★

المغناطيسية القديمة

ربما كان **الصينيون** هم أول من استخدم **حجر المغناطيس** . فعندما علّقوا هذا الحجر بواسطة حبل وجدوا أنه يؤشر دائماً إلى الشمال . وهكذا ولدت **البوصلة المغناطيسية** . وتأتي **كلمة المغناطيس من اسم منطقة باليونان تسمى « ماغنسيا »** ، حيث يوجد بها كثير من أحجار المغناطيس .

وقد استخدم العلماء الذين يدرسون المغناطيسية القديمة قاعدة المغناطيسية ، أو الميل المغناطيسي لحجر المغناطيس كأحفورة مغناطيسية . حيث إن هذه الأحجار الطبيعية عبارة عن مؤشرات ممتازة للحقل المغناطيسي الأرضي الذي يؤثر على هذه الأحجار في زمان ومكان تكوينها ، حيث إن حقل الأرض المغناطيسي يُسجل دائماً في ذرات الصخور عندما تبرد وتتصلب . وحتى إذا تحرك الصخر ، أو تغير الحقل المغناطيسي للأرض ، فإن الصخر سيظل يحتفظ بالخاصية المغناطيسية الأصلية التي اكتسبها . ولعل أفضل البصمات المغناطيسية هي تلك التي توجد في « **اللاڤا** » لأنها غنية بالحديد .

وقد عرف العلماء هذه المغناطيسية منذ أكثر من قرن واحد من الزمان . وحيث إن هذه المغناطيسية ضعيفة جداً فلم يعرها العلماء كبير اهتمام حتى حدث التطور الحديث للأجهزة المغناطيسية ذات الحساسية المفرطة ، التي تسمى « **العدادات المغناطيسية غير الموجهة** » Astatic Magnetowe-ters ، والتي اخترعها **العالم الفيزيائي البريطاني بلاكيت** P. M. S. Blackett ، في العقد الخامس من هذا القرن الميلادي . وتستطيع هذه الأجهزة أن تكتشف المجالات المغناطيسية الضعيفة جداً التي تصل أحياناً إلى مليون/١ من مغناطيسية الأرض .

وأتى أول اكتشاف للعلماء عندما كانوا يدرسون طبقات من الصخور في الريف الإنجليزي ، التي تكونت منذ حوالي ٢٠٠ مليون سنة مضت . وطبقاً لقياساتهم لهذه الصخور فإن الميل المغناطيسي المتوسط لإنجلترا في ذلك الوقت كان حوالي ٣٠° . أما الميل المغناطيسي المتوسط لإنجلترا في الوقت الحاضر فهو

إلى ٢٦°. وأخيراً، وفي أواسط **العصر الثلاثي** منذ حوالي ٢٥ مليون سنة فإن الميل المغناطيسي للهند قد أصبح ١٧° فقط إلى الشمال. وهذا يعني أن الهند كانت تقع جنوب خط الاستواء في الجزء الجنوبي من الكرة الأرضية، ثم تحركت ببطء إلى موقعها الحالي.

اكتشاف قاع المحيط

في أواخر العقد الخامس من هذا القرن الميلادي، بلغ **علم المحيطات** Oceanography قمته من حيث النشاط العلمي. وقد استطاعت السفن البحرية تحت رعاية البحرية الأميريكية أن تعبر البحار جيئة وذهاباً في محاولة مركزة، ومكثفة، لرسم قاع جميع بحار ومحيطات العالم.

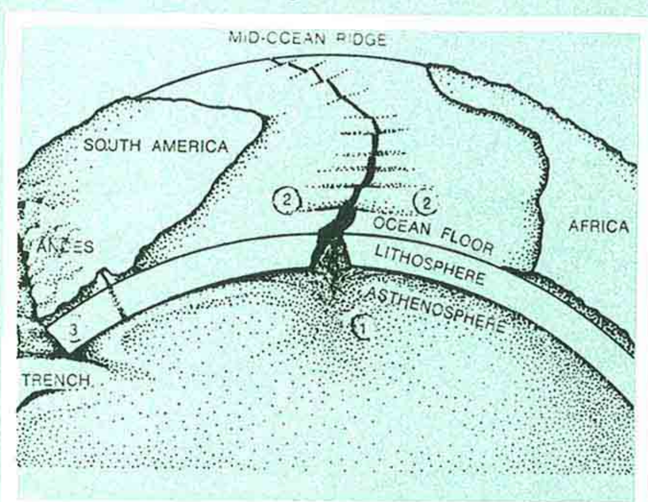
وقد كان السبب في رسم قاع المحيطات هو الحاجة الماسة للحصول على خرائط دقيقة **للأساطيل البحرية والغواصات الذرية**، التي كانت تغوص في أعماق هذه المحيطات. وقد أثبتت هذه الخرائط الدقيقة بأن الجبال المغمورة في البحار والمحيطات، والحيود البحرية تشكل سلسلة مستمرة تغطي أجزاء كبيرة من العالم، والتي تدور حول الكرة الأرضية من الداخل. وبالرغم من أن هذه الجبال والحيود والمرتفعات الموجودة في وسط المحيط تكون مغمورة تحت الماء، فإن المظاهر الجيولوجية هي أهم ما تتميز به الكرة الأرضية، حيث إنها تمتد في مساحة أكبر من منطقة جبال الهملايا والروكي والأنديز مجتمعة.

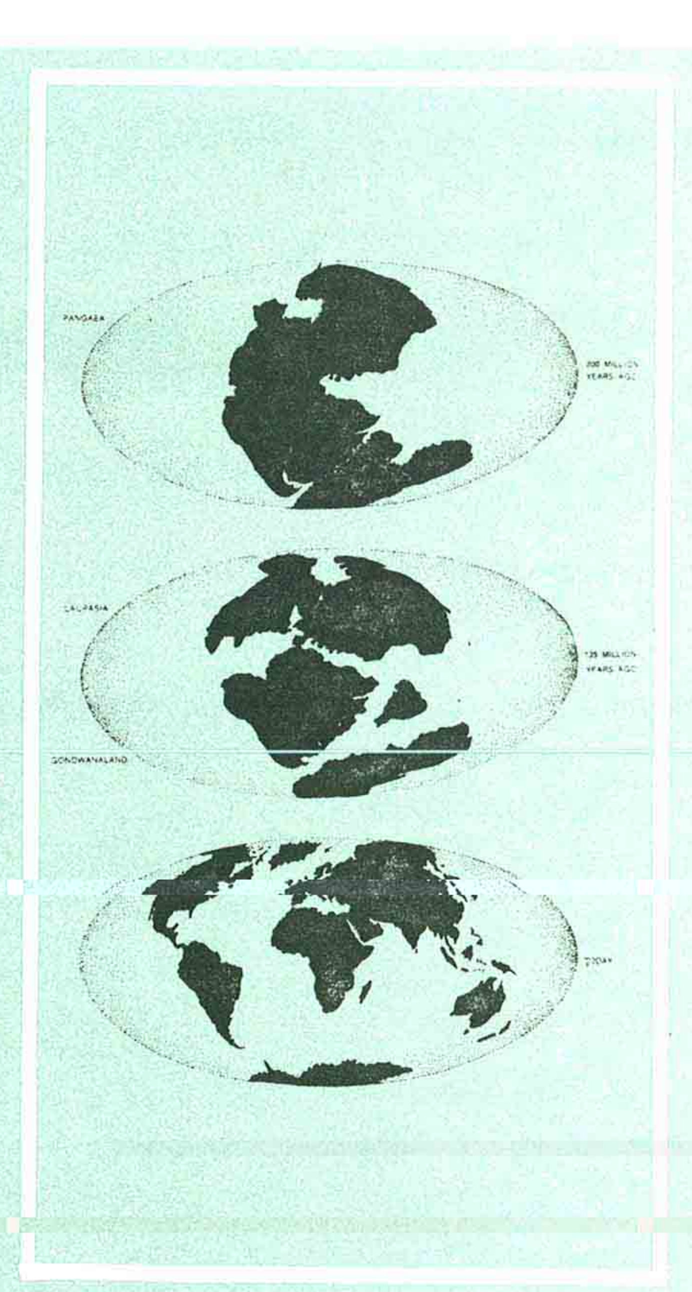
إن هذه الحيود والشقوق في وسط المحيط هي موقع **الزلازل والثورات البركانية** الدورية مثل تلك التي أنتجت **جزيرة سورتسي** Surtsey بالقرب من **شاطئ جزيرة ايسلندا** في عام ١٩٦٣م. وقد ثبت أن قاع المحيط أكثر نشاطاً مما توقعه العلماء، ويبدو أيضاً أقل عمراً وخاصة في وسط المحيط. كما أن النشاطات البركانية فيه تدل على أن هذا الشق الموجود في وسط المحيط يمكن أن يضيف مادة جديدة إلى قاع المحيط.

نظرية انتشار قاع البحر

وافق **الجيولوجي الأميريكي هاري هس** Harry Hess في بحثه

★ ميكانيكية انتشار قاع البحر ★





★ الفكرة الجيولوجية الحديثة عن الطريقة التي أنتجت فيها القارة بانجيا (Pangaea) القارات المختلفة وتبدو هنا القارة الأم قبل ٢٠٠ مليون سنة كما تبدو قارتي لوراسيا وجوندوانا قبل ١٣٥ مليون سنة، ثم القارات كما تبدو الآن ★

٦٥°. كيف يمكن تفسير هذا الفرق؟ إن **إنجلترا** يجب أن يكون موقعها بعيداً عن الموقع الحالي، أي إلى الجنوب خلال **العصر الترياسي**، لأن ٣٠° تعني بأن موقع إنجلترا كان قريباً من خط الاستواء، وبطريقة علمية أخرى قرر العلماء التأكد من معلوماتهم الجديدة هذه باختبار آخر. وقد أجروا اختبارهم على **صخور البازلت** من **هضبة ديكان بالهند**. وتعطي هذه الصخور أعماراً مختلفة في كل طبقة من طبقاتها وتمتد حتى ١٥٠ مليون سنة في الماضي البعيد. وبهذا فإن المنطقة تشبه كتاباً جيولوجياً تاريخياً حيث إن كل طبقة تغطي فصلاً مختلفاً من القصة الجيولوجية. فمنذ حوالي ١٥٠ مليون سنة كان الميل المغناطيسي المتوسط للهند حوالي ٦٤° إلى الجنوب. وهذا يعني أن إبرة البوصلة المغناطيسية كانت تميل ناحية القطب الجنوبي في ذلك الزمان والمكان. ومنذ حوالي ١٠٠ مليون سنة فإن الميل المغناطيسي للهند قد نقص إلى حوالي ٦٠°. ومنذ حوالي ٥٠ مليون سنة فإن الميل المغناطيسي قد نقص

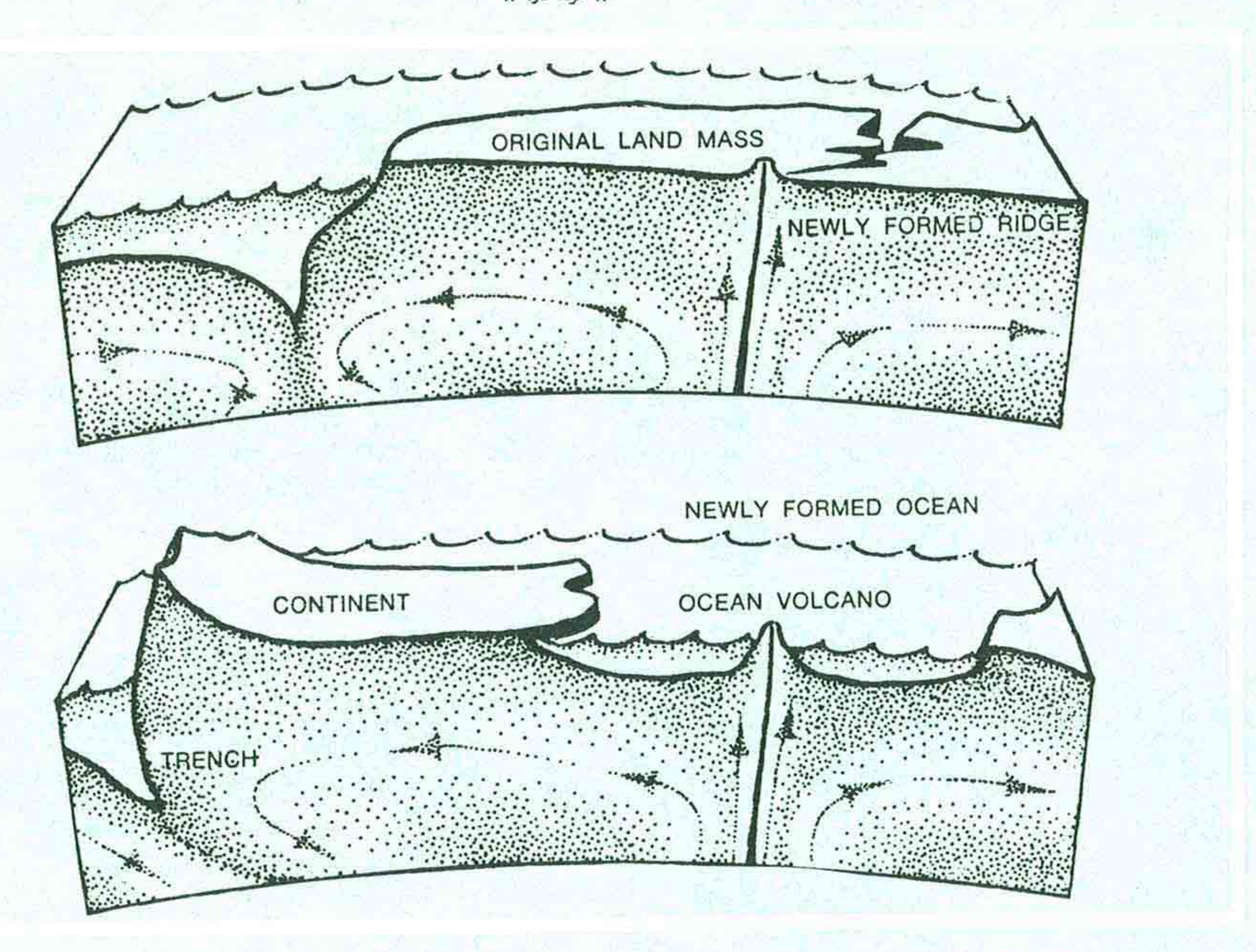
الكلاسيكي المشهور «**تطور حوض المحيط**» ، على أن وسط المحيط عبارة عن كسر أو شرخ في قشرة الأرض ، لكن هذا الشق لم ينتج عن التمدد ، ويعود أصل هذا الشق أو الشقوق إلى تيارات الحمل الحرارية Convection Currents وهي الفكرة القديمة التي نادى بها **الجيولوجي البريطاني هولمز** Holmes . فعندما ترتفع درجة حرارة الصخور في **طبقة الاستينوسفير** Asthenosphere ، فإنها تصعد ببطء إلى أعلى مثلما يحدث في **دقيق الشوفان** في وعاء يغلي ، حيث ينساب الدقيق إلى أعلى على شكل سائل ، ثم ينسكب على الجوانب . وبعد ملايين السنين فإن الصخر يصل إلى الطبقة العليا من **الوشاح** Mantle ، والتي تسمى **الليثوسفير** Lithosphere . وعند هذه المنطقة وبانخفاض درجة الحرارة والضغط فإن الصخر الأصلي ـ الذي يحتوي على معدن الأوليفين ـ يخضع لتحور فيزيائي ، ويتغير إلى صخر معرق يسمى «**السربنتين**» . ويتعلق جزء من هذا الصخر بطبقة الليثوسفير ، أما الجزء الآخر فإنه يستمر في الصعود ضاغطاً خلال طبقة الليثوسفير (سمكها حوالي ١١٢ كيلومتراً) ، حتى يقترب من قاع المحيط . وبعد ذلك يحدث تغير آخر حيث ينصهر صخر السربنتين ، ويكسر قشرة الأرض في وسط المحيط ، ويتدفق على شكل صهير بركاني . ولا تبقى اللافا أو الصهير البركاني سائلاً لمدة طويلة . فعندما تبرد فإنها تتصل بالمواد البركانية القديمة على جانبي شق وسط المحيط ، وتتصلد إلى الصخر البازلتي المعروف والمميز لقاع المحيط . وتحت الضغط من المادة التي تصعد من أسفل فإن الصخر يبدأ في الضغط إلى الخارج ، في الاتجاهين المتعاكسين . ولا زالت نظرية هاري هس «انتشار قاع المحيط Sea-Floor Spreading» كما سماها **الجيولوجي الأميريكي دايتز** R. S. Dietz لم تحل المشكلة تماماً بالنسبة **لزحف القارات** Continental Drift .

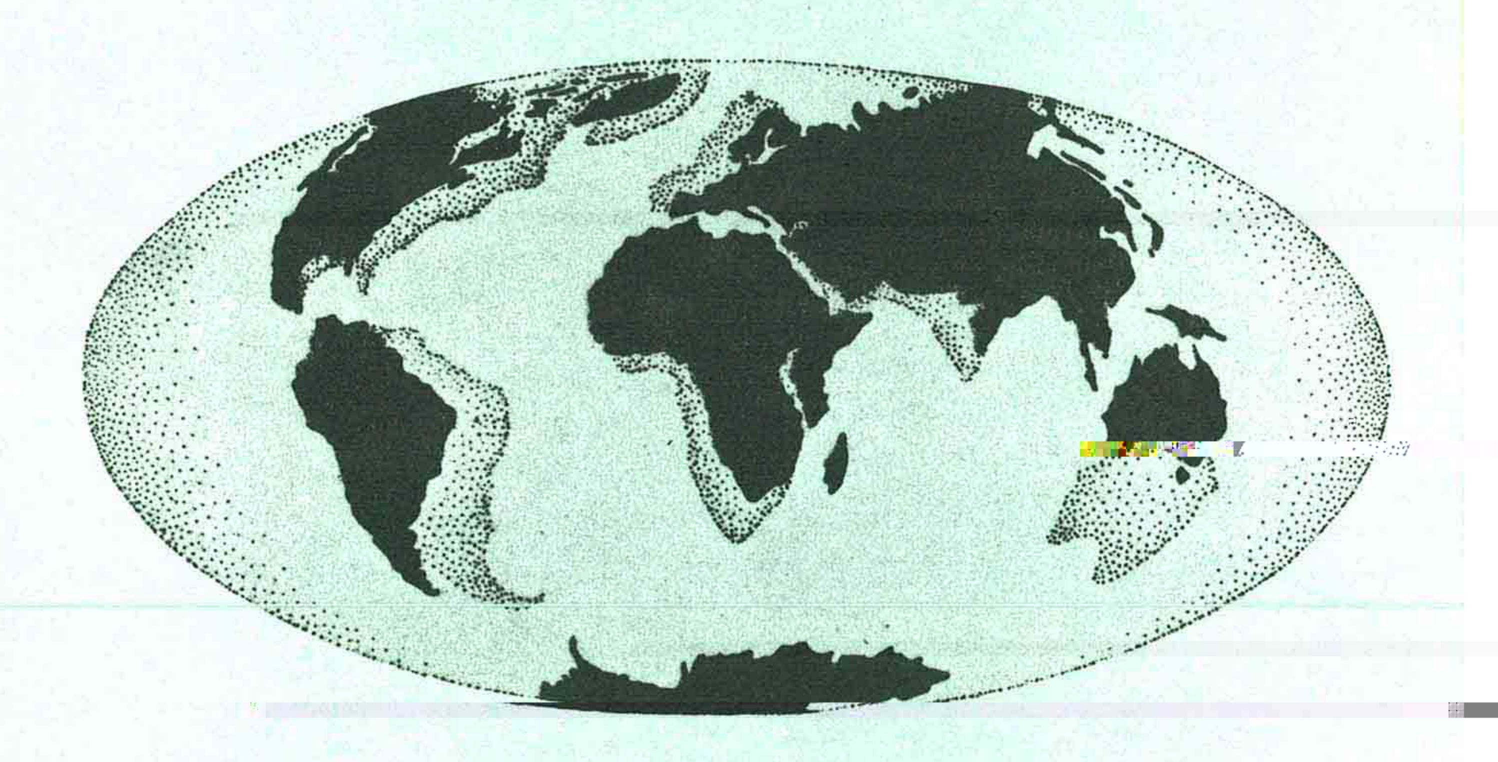
زحف القارات والمغناطيسية القديمة

في عام ١٩٦٣م ، ابتكر طالب الدراسات العليا في الطبيعة الجيولوجية **بجامعة كامبردج ببريطانيا** اختباراً لفحص نظرية هس عن انتشار قاع المحيط . كان هذا الطالب هو **البروفيسور فاين** F. Vine ، الذي كان عمره آنذاك حوالي ٢٤ عاماً . وجد فاين بأن هناك حركات عكسية ، أو انقلابات في الحقل المغناطيسي للأرض ، أي أن **القطب الشمالي أصبح في يوم من الأيام القطب الجنوبي وبالعكس** . وقد عرف العلماء من دراستهم لمغناطيسية الصخور القديمة بأن الأقطاب المغناطيسية قد انعكست عدداً من المرات خلال الثلاثة ملايين والنصف مليون سنة الماضية .

وقرر فاين بأن هذا السجل المغناطيسي يمكن أن يكون ذا فائدة كبيرة . فإذا كان قاع المحيط ينتشر بعيداً عن وسط المحيط فإن هذه الحركة يمكن أن ترى مغناطيسياً . فإذا كان الصهير البركاني ينبثق من شق وسط المحيط ويتصلد مكوناً قشرة المحيط ، فإن هذه القشرة سوف تسجل الحقل المغناطيسي للأرض في ذلك

★ مولد قارة ★





★ الشكل الذي ربما تبدو عليه الأرض بعد خمسين مليون سنة من الآن (المساحات المنقطة تمثل الشكل والموضع الحالي للقارات) ★

الوقت، ولن يتغير هذا الانطباع المغناطيسي حتى ولو كان الصخر يبتعد عن كل طرف من طرفي وسط المحيط. وعندما يتغير الحقل المغناطيسي للأرض فإن الصهير البركاني (اللافا) عند وسط المحيط سوف يتحفظ بشكل معين، ويكون زوجاً مغناطيسياً على جانبي وسط المحيط في كل مرة. وقارن ڤاين انتشار قاع المحيط بواسطة شريط مسجل مغناطيسي يسجل بأمانة ودقة كلما حدث زحف على جانبي شق وسط المحيط. وقد قدم ڤاين وزميله **الجيوفيزيائي الكندي توزو ويلسون** J. Tuso Wilson تدعيماً أكثر لنظرية انتشار قاع المحيط باستخدام جدول زمني معروف لانعكاسات الحقل المغناطيسي للأرض. حسب العالمان عمر عدد من القطع المغناطيسية المفردة في مناطق مختارة من قاع المحيط. وقدمت حسابات العالمَيْن الطريقة الدقيقة لقياس المعدل الحقيقي لانتشار قاع المحيط. فإذا وجد أن عمر قطعة مغناطيسية حوالي مليوني سنة فإن هذا يعني أن الصخور قد زحفت منذ ذلك الحين من مكان ولادتها، وهو وسط المحيط. وعند تقسيم هذا العمر على المسافة التي تبعدها هذه القطعة المغناطيسية عن شق وسط المحيط، فإنه يمكن حساب السرعة السنوية المتوسطة لذلك الجزء من قاع المحيط.

وقد دلت المعلومات المغناطيسية بأن المحيط الأطلسي قد انفتح منذ حوالي ١٥٠ إلى ٢٠٠ مليون سنة. وهذا الرقم قريب جداً من الرقم الذي اقترحه العالم ڤيجنر منذ نصف قرن تقريباً على انفصال قارة إفريقيا عن قارة أمريكا الشمالية.

حفر قاع المحيط

في أوائل العقد السادس من هذا القرن الميلادي، بدأ مشروع طموح هو **«مشروع موهول»**. وكان أهم أهداف ذلك المشروع أن يخترق وشاح الأرض. وقد أتى اسم موهول Moho من اسم الجيوفيزيائي اليوغسلافي A. Mohorovicic، لكن بعد وقت وجيز أدركت الحكومة الأمريكية أن هذا المشروع سوف يكلف الخزينة أموالا طائلة، دون فائدة اقتصادية تذكر، فأوقفوه بعد أن كلف أكثر من ثمانين مليون دولار في مراحله الأولى، وذلك في عام ١٩٦٦م. وفي شهر أغسطس (آب) من عام ١٩٦٨م، أعقب ذلك المشروع الطموح، **مشروع الحفر البحري العميق** Deep Sea Drilling Project (DSDP) ولم يكن هدف مشروع الحفر البحري العميق أن يثقب قشرة الأرض ليصل إلى الوشاح Mantle لكن هدفه الأساسي هو حفر عدة ثقوب صغيرة خلال **رسوبيات المحيط**.

وقد أثبت هذا المشروع بأنه من أكثر المشاريع نجاحاً من الناحيتين العلمية والاقتصادية. وقد أثبتت الدراسات التي أجراها العلماء على رسوبيات المحيط نظريتي زحف القارات، وانتشار قاع المحيط. وتبدو الرسوبيات أقدم وأكثر سمكاً كلما كان الحفر بعيداً عن شق وسط المحيط. وقد ظهر بأن المحيط الأطلسي الشمالي قد انفتح منذ حوالي ١٧٠ إلى ١٨٠ مليون سنة. وقد انفصلت أوروبا عن أمريكا الشمالية بمعدل سنوي يبلغ ٢٥ ملليمتراً. ويقول **الدكتور بيترسون** المسؤول عن مشروع الحفر البحري العميق بأنه:

«خلال حياة الإنسان، فإن قاع المحيط يمكن أن يزحف مسافة تقدر بطول جسمه تقريباً، أما المعدلات العالية لزحف قاع المحيط في بعض المناطق فإنها تبلغ نحو بعض الأشجار العادية».

صورة الأرض بالحاسب الآلي

استطاع العالمان **هولدن ودايتز** Holden & Dietz أن يجعلا الزمن يعود إلى الخلف عشرات الملايين من السنين. ولقد كانت ساعتهما الزمنية العجيبة عبارة عن حاسب آلي حديث. وقد استطاع العالمان أن يحللا كثيراً من الأدلة العلمية الجديدة التي تثبت نظرية زحف القارات. وقد جمع العالمان القارات في قارة واحدة، وتتبعا حركة هذه القارة، أو القارات خلال الأزمنة الجيولوجية المختلفة. ومضى العالمان في رحلة إلكترونية إلى الماضي الجيولوجي السحيق إلى العصر الترياسي، أكثر من ٢٠٠ مليون سنة مضت. وقد وجد

العالمان بأنه لا توجد سبع قارات بل قارة ضخمة واحدة، شبيهة إلى حد كبير بقارة (بانجايا) التي اقترحها ڤيجنر. ويحيط بهذه القارة الضخمة بحر ضخم يشبه بحر (بانثالاسا)، الذي اقترحه ڤيجنر. وتغطي بانجايا حوالي ٤٠٪ من سطح الأرض. وتقع قارة أمريكا الشمالية إلى الجنوب الشرقي من موقعها الحالي، أما الهند وأستراليا فإنهما تقعان إلى الجنوب قريباً من القطب المتجمد الجنوبي. وفجأة انبثقت كميات هائلة من المواد البركانية من الأرض خلال شقين كبيرين من منطقة تتكوّن الآن المحيطين الأطلسي والهندي، وتحت ضغط هذه الصهارة البركانية (اللافا) فقد بدأت قارة (بانجايا) تتفكك بالتدريج.

وذهب العالمان عشرين مليون سنة إلى الوراء، إلى **العصر الجوراوي**، حوالي ١٨٠ مليون سنة مضت. ففي النصف الشمالي من الكرة الأرضية أنتجت قارة بانجايا الضخمة، **قارة لوراسيا Laurasia القارة الأم لقارات أمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا**. أما في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية فقد أنتجت قارة بانجايا قارة أخرى اسمها **«جوندوانا» Gondwana، القارة الأم لقارات إفريقيا والهند وأمريكا الجنوبية وأستراليا وقارة القطب الجنوبي**. وقد انفصلت الهند عن قارة جوندوانا، وبعد ذلك تم انفصال قارتي أمريكا الجنوبية وإفريقيا عن قارتي أستراليا والقطب الجنوبي. ووصل العالمان إلى **العصر الكريتاوي**، حوالي ١٣٥ مليون سنة مضت، حيث ظهرت الطيور لأول مرة في سماء الأرض البدائية. كانت قارة أمريكا الجنوبية تنفصل بعيداً عن قارة إفريقيا، وزحفت هذه القارة الأخيرة إلى الشمال حتى اقتربت من قارة آسيا وحجزت البحر الأبيض المتوسط إلى شرقها. وفي نفس الوقت فإن المحيط الأطلسي الشمالي كان يتسع أكثر كلما ابتعدت قارة أمريكا الشمالية عن قارة أوروبا.

وعند الزمن الثالث الذي بدأ منذ حوالي ٦٥ مليون سنة، فقد كانت الأرض مغطاة بكثير من الأشجار، والنباتات المألوفة، وظهرت أيضاً بعض الحيوانات الثديية. أما الهند فبعد سفر طويل يقدر بآلاف الكيلومترات إلى الشمال اصطدمت بقارة آسيا، مجعدة جزء كبيراً من القشرة الأرضية في ملحمة درامية أنتجت جبال الهملايا، أعلى جبال في العالم.

نظرية الصفائح أو القطع

في عام ١٩٦٩م، نشر **الجيوفيزيائي الأمريكي مورجان** W. J. Morgan **نظرية الصفائح أو القطع** Plate Tectonics Theory، وقد اعتبر مورجان بأن القشرة الخارجية للأرض ليست ثابتة وصلبة كما يعتقد كثير من الجيولوجيين، لكنها عبارة عن مجموعة من القطع أو الصفائح الضخمة.

يبلغ سمك كل واحدة منها حوالي ١٠٠ كيلومتر. وهذه القطع أو الصفائح مكونة من القشرة الأرضية الرقيقة، بالإضافة إلى الجزء الأصلب الذي يسفل القشرة الأرضية، وهو الليثوسفير، ويرتكز الليثوسفير على طبقة لدنة من الصخور تسمى الاسثينوسفير. وبالإضافة إلى هذا فإن القطع أو الصفائح الرئيسية يمكن تقسيمها إلى صفيحات أصغر. وفيما تطفو هذه الصفائح على سطح الوشاح الأرضي، فإنها تنتج نتوءات عظيمة على سطح الأرض.

وعندما تتمزق الصفيحة مثلاً فإن قارة جديدة يمكن أن تولد. فقارتي أوروبا وأمريكا الشمالية قد ولدتا كما كما يظهر عندما بدأت الصفيحة التي تسفل قارة لوراسيا تتحطم عند وسط المحيط الأطلسي. وعندما تتصادم صفيحتان فإن قوة الدفع لإحداهما تحت الأخرى يمكن أن ترفع القشرة الأرضية لبناء جبال عالية، مثل جبال الأنديز والهملايا، أو لإنتاج سلاسل طويلة من الجزر البركانية، مثل **جزر اليابان والفلبين**. كما أن القارات نفسها تحمل بواسطة الصفائح عندما تزحف رويداً رويداً.

وعادة فإن حركة الصفيحة، أو **النشاط التكتوني** يكون بطيئاً جداً، لكنه في أحيان أخرى يكون سريعاً وعنيفاً جداً. فإذا حدث وانزلقت صفيحتان على بعضهما في اتجاهين متعاكسين مثل الصفيحة الباسيفيكية والصفيحة الأمريكية الشمالية تحت صدع **سانت اندرياس بكاليفورنيا** فإنهما تتوقفان أحياناً. ويتولد على هذا اجهاد ضخم في الأرض مما يسبب حركات عنيفة وزلازل.

لكن ما هو الشكل الذي سوف تأخذه الأرض في المستقبل؟
لا أحد يعلم حقاً أي شيء عن ذلك، لكن العالمين دايتز وهولدن التجآ إلى آلتهما الإلكترونية للإجابة على هذا السؤال. وبواسطة معرفة حركات الصفائح في الوقت الحاضر والاعتقاد بأنها ستستمر كذلك في المستقبل.
وجد العالمان بأن صورة الأرض بعد ٥٠ مليون سنة من الآن ستكون كالتالي:

سيتمدد المحيط الأطلسي على حساب المحيط الهادي، وستزحف قارة أستراليا إلى الشمال، لكنها ستتجنب اصطداماً عنيفاً مع قارة آسيا. وعلى طول الساحل الشرقي لإفريقيا فإن قطعة كبيرة من الأرض قد انفصلت عن إفريقيا. أما القارتان الأمريكيتان فقد انفصلتا عن بعض ولم يعد هناك حاجة **لقناة بنما**، وكذلك انفصلت قارتا آسيا وإفريقيا، ولم يعد هناك حاجة لقناة السويس. وأصبح البحر الأحمر محيطاً جديداً.

لكن أين سينتهي هذا كله؟ لا أحد يعلم هذا غير الله جل جلاله، فهو القادر على كل شيء سبحانه.





الفيلة.. والأجيال القادمة

بقلم :
د . أحمد محمد غندور

تعد الفيلة أضخم وأكبر الحيوانات على اليابسة ، واحتلت قطعانها الطليعة بين الحيوانات البرية في براري إفريقيا وآسيا ، لكن أنيابها الطويلة شكلت خطراً ووبالا عليها ، فقد كونت تجارة مزدهرة تعتمد على الحصول على هذا العاج الثمين ، الذي أسر أذهان الناس ، والذي تبارى الملوك وعلية القوم للحصول عليه ، ولم يبدأ اهتمام العلماء بهذه الحيوانات الضخمة إلا عندما بدأت التجارة تتدهور ، وبدأت القطعان تتلاشى .

فعندما اهتم علماء الحيوان ومحبو الطبيعة بالفيلة ، صورت أفلام عديدة في الطبيعة عنها ، ودرست بجدية لمعرفة أنواعها المختلفة ونشاطاتها العديدة وسلوكها المتنوع !!

★ مجموعة من الفيلة الإفريقية ترتاد أحد الأنهار لشرب الماء والاستحمام ★

أنواع الفيلة

عاشت الفيلة في القديم في كل القارات **ما عدا قارة أستراليا** ، وكانت توجد أنواع عديدة انقرضت بسبب الحجم الكبير والتغيّر الشديد في الظروف المناخية ، ومن أهم هذه الأنواع المنقرضة **فيلة الماستودون والماموث ، والفيلة الكولمبية والملكية** . واليوم يوجد نوعان من الفيلة هما : **الفيلة الإفريقية** Loxodonta africana ، **والفيلة الآسيوية** Elephas maximus ، وهما يتفقان في التكوين الأساسي ، لكن توجد عدة اختلافات جسدية وسلوكية ، وتوجد ثلاث فصائل من الفيلة الإفريقية في أواسط **السودان وشرق وجنوب إفريقيا** ، ومن أهم مميزاتها أنها أضخم من الفيلة الآسيوية (حوالي **١١ قدماً في الطول ، و ٦ أطنان في الوزن**) ، ولها أذنان وسيقان أكبر ، والظهر والجبهة مقوسان ، والخرطوم خشن الملمس ، وله اثنان من الزوائد إصبعية الشكل في نهايته ، ويمتلك كل من الذكر والأنثى أنياباً ، وفي المتوسط تصل في الذكر إلى خمسة أقدام في الطول ويزن كلاهما حوالي ٧٠ رطلاً .

ويعتقد العلماء أن الفيلة تنام واقفة ، ولا تنام أكثر من ٣ ـ ٤ ساعات في اليوم ، وهي في العادة تتغذى على الفواكه اللينة والجذور ولا تتغذى إلا نادراً على الحشائش . وتوجد أعداد بسيطة من الفيلة الإفريقية القزمة التي لا تتعدى **٦ أقدام في الطول** ، ولا تعيش في **قطعان منفردة** ، وإنما بين قطعان الفيلة الأخرى . أما الفيلة الآسيوية **فهي توجد في جنوب شرقي آسيا** ويعرف منها أربع فصائل هي : **الهندية** (وهذه تمثل الغالبية العظمى من الفيلة الآسيوية) ، **والسيرالنكية والسوماترية والملازية** وهي أصغر من الفيلة الإفريقية (حوالي **٩ أقدام في الطول ٦ أطنان في الوزن**) ولها أذنان صغيرتان ، والظهر مستقيم والجبهة كذلك ، والخرطوم ناعم الملمس ، وله زائدة إصبعية واحدة في نهايته ، وفي العادة الذكر فقط يمتلك أنياباً ، وتنام وهي ممددة على الأرض ، وفي العادة تتغذى أساساً على الحشائش لكنها قد تتغذى أيضاً على **فواكه البلانتين وأوراق وجذوع الأشجار** . . . ويوجد في **سيام وبورما** بعض الفيلة الآسيوية التي لا تمتلك غدداً صبغية في الجلد ، وبالتالي فهي باهتة ، وقد أعجب بها سكان تلك البلاد وقدسوها !!

★ حمام الطين عند الفيلة ★



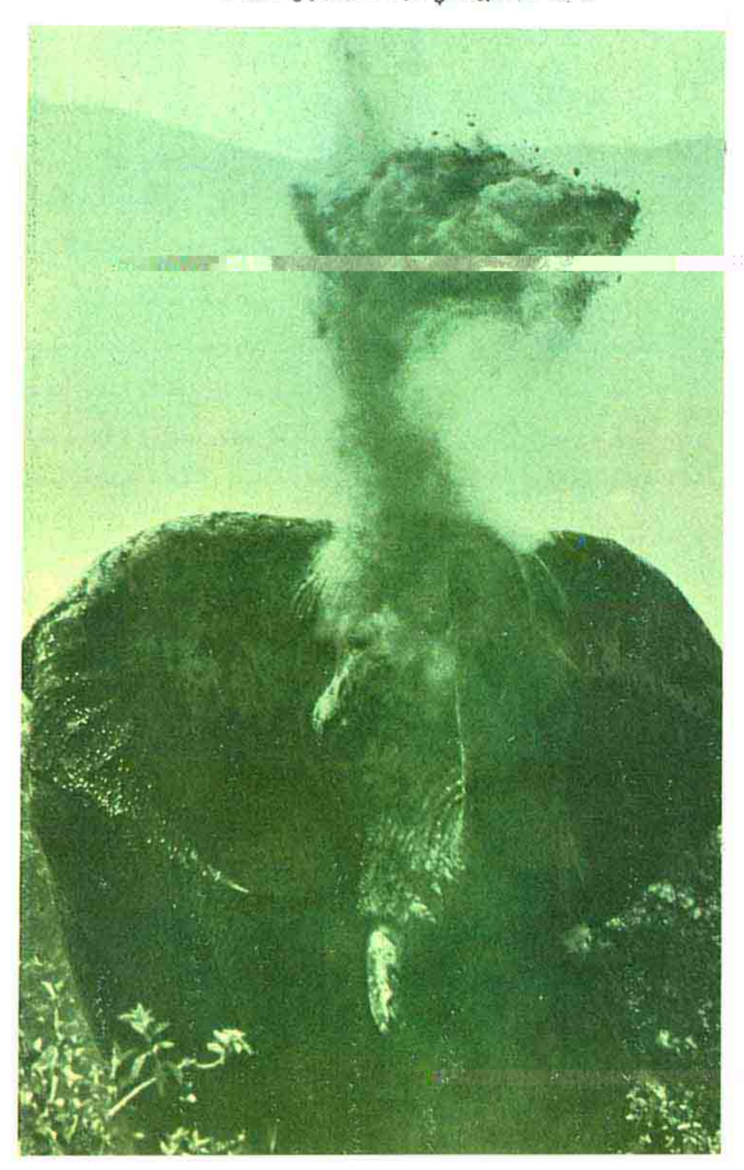
قطعان الفيلة

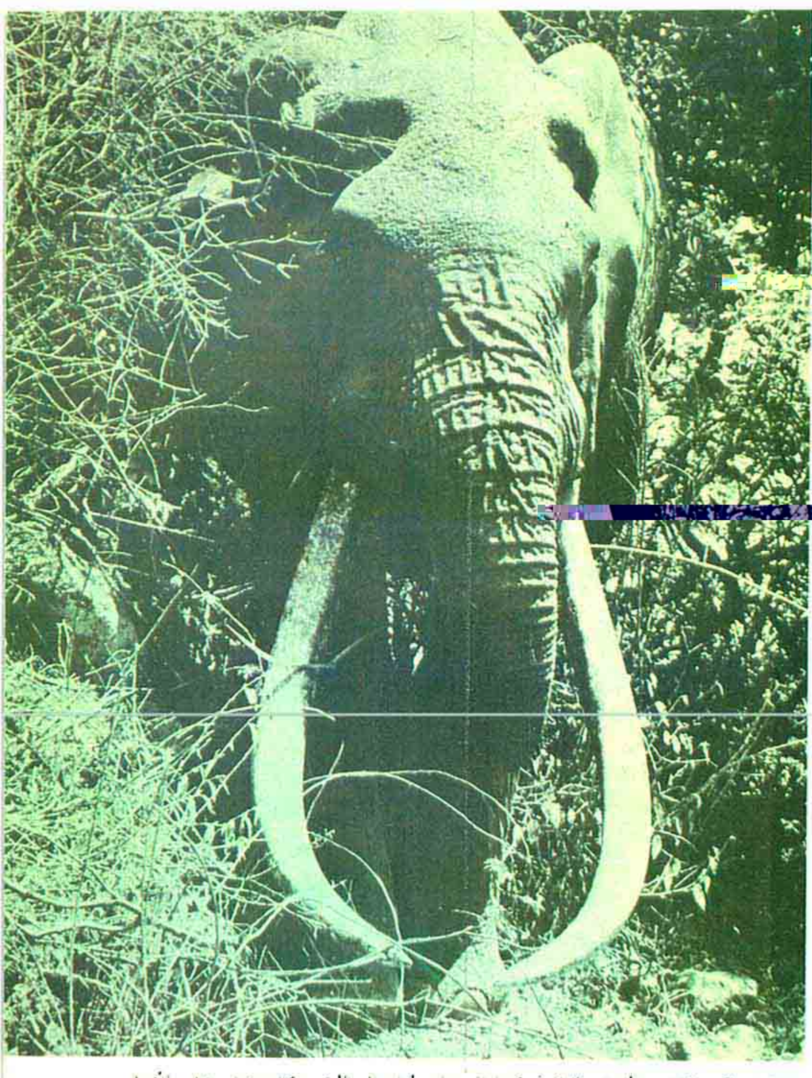
تعيش الفيلة في قطعان كبيرة ، قد تصل في العدد إلى **مائة فرد** . ويقود المسيرة مجموعة من الذكور البالغين ، ثم يليهم الإناث والصغار ، ثم تحتل المؤخرة مجموعة أخرى من الذكور ، وقد يختلف هذا النظام وتقود المسيرة أكبر الإناث سناً في بعض القطعان ، وعندما يصل الفيل الكبير إلى منتهى العمر يطرد من القطيع ويعيش وحيداً ، وهو في هذه الحالة خطير وشرس للغاية !.. ولا يصل إلى هذا العمر إلا بعد **٣٥ ــ ٥٠ سنة** ، وهو متوسط عمر الفيل ، ولكن قد يعمر أكثر من ذلك كثيراً في الأسر ، إذ إن الفيل الآسيوي عمر **١٣٠ سنة** ، والإفريقي **٨٠ سنة** ، في بعض [illegible] حيث يحظى بالحماية والرعاية التامة .

وحتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي كانت تمرح آلاف القطعان في سهول وغابات آسيا وإفريقيا ، ولكن مع **احتلال الإنجليز** لدول آسيا بدأت حملة لقطع الغابات وزراعة القهوة والشاي ، وبالتالي إما قتلت الفيلة الآسيوية أو هربت من بيئاتها الطبيعية إلى مناطق غير مناسبة لمعيشتها حيث نفقت هناك .

وفي إفريقيا تم نفس الشيء ، وبدأت **«تجارة العاج»** في الانتشار

★ بعد حمام الطين تغطي الفيلة جسمها بالرمل الدقيق ★





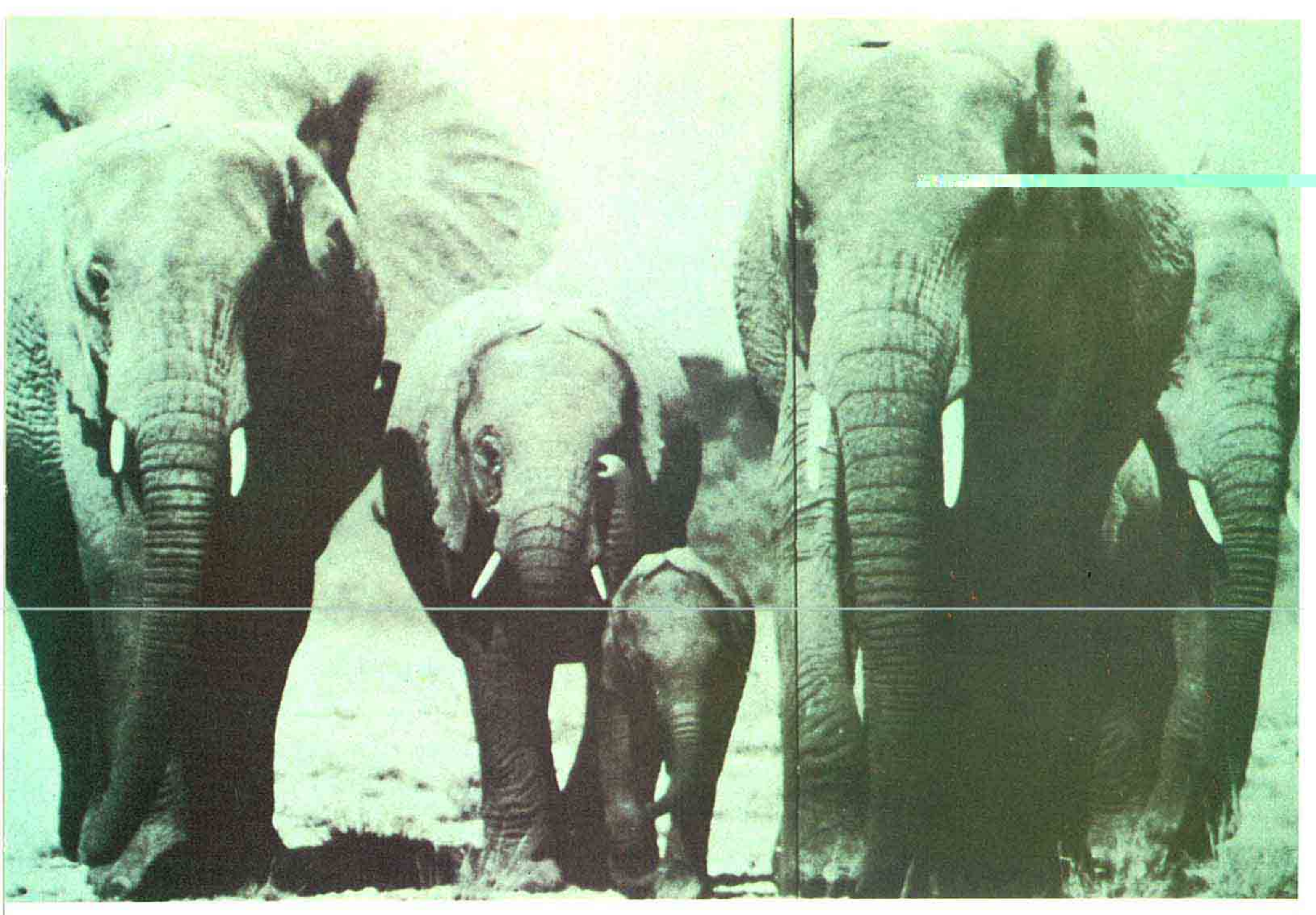
★ الفيل الكيني كان من أضخم الفيلة في كينيا إذ وصلت أنيابه إلى الأرض وكانت تزن ١٨٠ رطلاً ★

وبدأت تقل الفيلة ، ولكن في النصف الثاني من القرن العشرين أصدرت قوانين عدة لحماية الفيلة وبنيت حدائق الحيوانات المفتوحة لهذا الغرض ، وقد تمكنت الفيلة الإفريقية من الحفاظ على مكانها في الطبيعة ، إذ يوجد اليوم حوالي **٣٥٠,٠٠٠** منها في حين لم تحظ الفيلة الآسيوية بنفس النجاح ، إذ لا يتعدى اليوم عددها **٤٠,٠٠٠** فقط !

الرعاية الأبوية وحضانة الصغار

تهتم الفيلة اهتماماً بالغاً بالصغار ، ويشترك جميع أفراد القطيع في هذا الغرض ، فعندما تبدأ الأنثى في الوضع بعد **حمل ٢٢ ــ ٢٤ شهراً** يلتف حولها باقي الإناث لمساعدتها في الوضع ، وحالما يولد الصغير **(ولا تلد الأنثى في حياتها أكثر من أربع مرات)** تقوم الإناث بمهمة تخليصه من **المشيمة** ، وتنظيفه ، ويكون الصغير ضعيفاً ولا يقوى على الوقوف ، فتحمله الإناث على الأنياب والخراطيم حتى يقوى ، وبعد **خمس عشرة دقيقة** يبدأ في المشي ، ويتغذى على لبن الأم ، **ولا يفطم إلا بعد حوالي سنتين** ، حيث يبدأ في التغذية على الحشائش والفواكه والجذور .

وأثناء مسيرة القطيع تولي الأم اهتماماً بالغاً بالصغير ، فإن تعب فإنها



★ عائلة صغيرة من الفيلة يظهر فيها الصغير الذي تهم به الأم وباقي الإناث اهتماماً بالغاً ★

ترفعه وتزيل عن طريقه أي عوائق ، وأثناء صعود المرتفعات والأراضي الوعرة تدفعه الأم إلى الأمام ، وأثناء الجو الحار الذي لا تحتمله الفيلة تحرك الأم وباقي الإناث الآذان الطويلة كالمراوح لترطيب الجو حول الصغار ، وعندما يوجد في القطيع مجموعة من الصغار تتناوب الإناث حراستها حيث يتركون بالقرب من مصادر المياه ويذهب باقي القطيع للحصول على الطعام !!

التواصل

اشتهرت الفيلة **بقوة حاستي السمع والشم** ، وهي تنقل المعلومات لبعضها البعض باستعمال هاتين الحاستين . . . فدائماً تصدر بعض الأصوات التي تشبه (صوت البوق) لتمييز النوع أو أثناء الدفاع عن النفس ، أو الهروب من العدو ، وأيضاً تستعمل الأذنين الكبيرتين فتحركها بشدة ، وتلعب هذه الحركات والأصوات دوراً هاماً في حياة الفيلة ! . . وقد استغل مدربو الفيلة هذه المقدرة على إصدار وسماع الأصوات ودربوا الفيلة على الاستجابة لأوامر صوتية للقيام بحركات أو مهام محددة !

وتعتمد الفيلة أيضاً على حاسة الشم المتطورة لتمييز أفراد القطيع ، فعندما تتلاقى تتحسس بعضها البعض بواسطة **الخرطوم** ، وبواسطة هذه الحاسة تستطيع أن تتعرف على مصادر المياه حتى على بعد خمسة كيلومترات ، وعندما تشعر الفيلة بوجود الخطر أو أي دخيل ، فإنها ترفع الخرطوم عالياً في الهواء وتفرد آذانها للتعرف على مكان ونوع الدخيل !

الاهتمام بالجلد

تعد الفيلة من أكثر الحيوانات اهتماماً بالجلد ، فلا بد أن تأتي كل يوم إلى مصادر المياه لكي تشرب وتستحم ثم تغطي جلدها بالطين اللين ثم تغطي الجلد بالرمل وذلك بقذفه بالخرطوم وقد تحتك بالأشجار وتعتمد على بعض الطيور الصغير لكي تخلصها من الحشرات والطفيليات الملتصقة بالجلد ، وأثناء هذه العمليات من استحمام ومساج تترك الفيلة رائحتها المميزة وبذلك تعد مصادر المياه أكبر تجمع للتعارف بين قطعان الفيلة ، إذ إنها تدرك من وصل إلى الماء قبلها وأين وفي أي اتجاه تحرك !!

الحركة بخفة

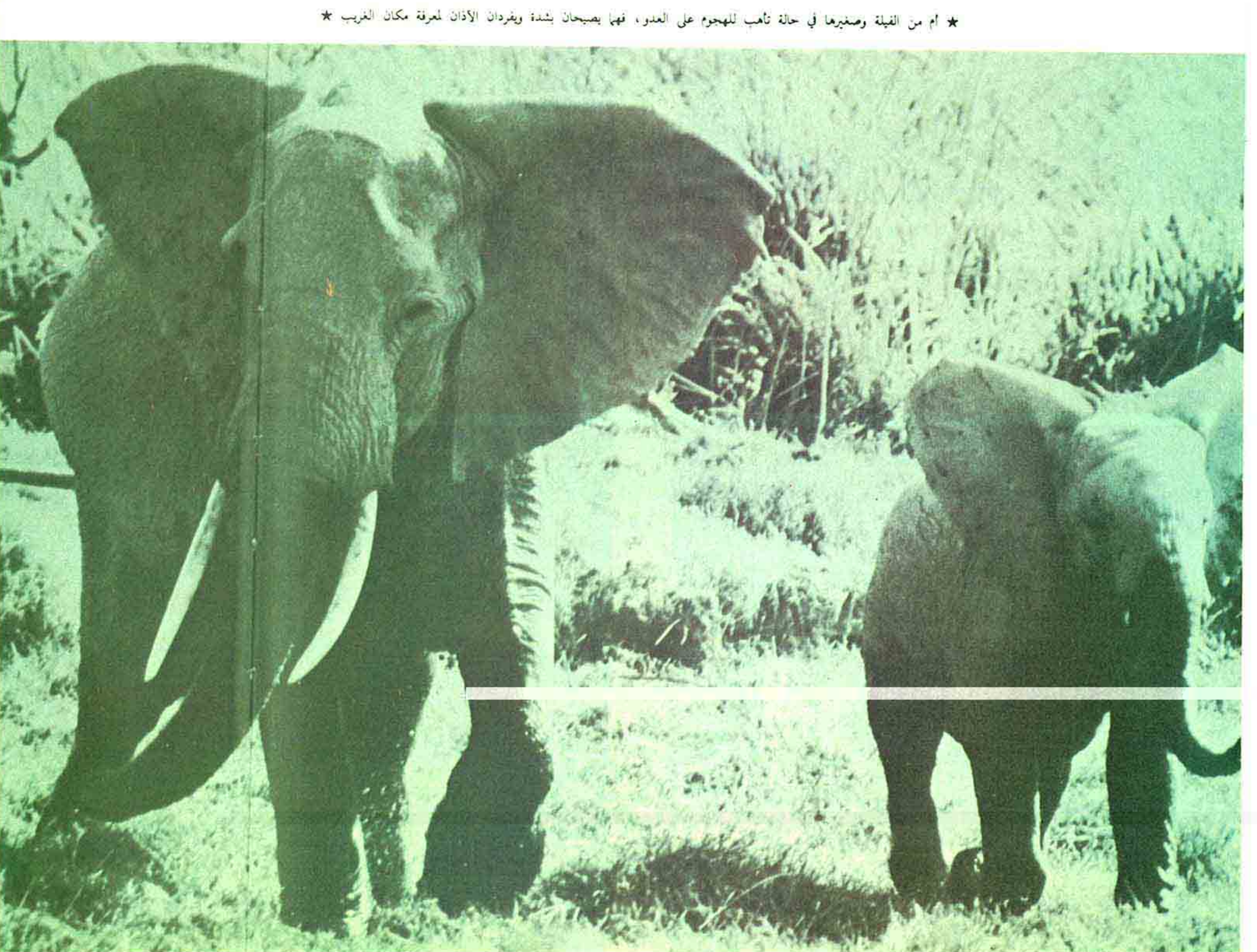
بالرغم من ضخامة الفيلة فمن العجيب أنها تتحرك بخفة إذ توزع وزنها الجبار بالتساوي وتمشي على أطراف الأقدام ، ولا تترك أي أثر على الأرض وأثناء مسيرة القطيع لا تصدر أي أصوات ، ولا تصطدم بالأغصان والأشجار ، وقد يفاجأ المرء عندما يظهر فجأة أمامه قطيع مكون من مائة فيل (يزن كل منهم حوالي ستة أطنان) من غير أن يسمع صوتهم وهم يتحركون !!

والفيلة رشيقة على الأرض وفي الماء ، وبالرغم من أن الفيلة لا تستطيع أن تركض أو تقفز من على المرتفعات ، فإن باستطاعتها أن **تتسلق المرتفعات والجبال وقد تصل إلى ارتفاع خمسة آلاف قدم بسهولة** ، وقد يكون الشخص في مأمن في المناطق الجبلية وهو على ظهرها أكثر من على ظهور الخيل ، وتمشي الفيلة بنفس سرعة الإنسان ، ولكن في الظروف الطارئة أثناء الهرب من الأعداء أو الهجوم فقد تصل إلى سرعة قصوى حوالي **٣٠ كيلومتراً في الساعة** ، ولكن لفترة وجيزة وهي حوالي ١٠٠ دقيقة فقط .

السلوك العدواني والدفاع عن النفس

في العادة تعتبر الفيلة من الحيوانات الخجولة وتبتعد عن الإنسان ، ولا تشكل الأنثى خطورة ولكن الذكر شرس وهو الذي يبدأ الهجوم ، وعند الشعور بوجود الخطر فلا تبدأ الفيلة في الهجوم ولكن **يتجمع القطيع في شبه دائرة** لمعرفة مصدر الخطر ، وعند التأكد منه إما أن تنسحب بنظام أو تهاجم بشراسة وتضرب خرطومها بالأرض لإخافة العدو . . وأثناء الهجوم تختفي الخرطوم والرأس وتضم الأذنين إلى الجسم وتبدو كأنها أصغر في الحجم ، ثم تجري باندفاع إلى العدو حيث تلف الخرطوم حوله وتقذف به في الهواء ثم تدوس عليه بأرجلها الكبيرة الضخمة ، وقد تستعمل الأنياب أيضاً في هذا الغرض ، ولا يوجد أي عدو طبيعي للفيلة سوى الإنسان ، وقد انتشرت أفكار خاطئة عن أن الفيلة الجبارة تهاب الفأر الصغير ، وهي في الحقيقة قد تقلق أن يدخل الفأر في الخرطوم ، ولكن حتى إن تم ذلك فإن باستطاعة الفيلة أن تخرجه بسرعة وذلك بنفخه خارج الخرطوم . وقد أجرى مؤخراً أحد العلماء تجربة عن هذا الموضوع ، ووضع فأراً صغيراً أمام أحد الفيلة ، فما كان منه إلا أن تحسسه بواسطة الخرطوم ثم وقف

★ أم من الفيلة وصغيرها في حالة تأهب للهجوم على العدو ، فهما يصيحان بشدة ويفردان الآذان لمعرفة مكان الغريب ★

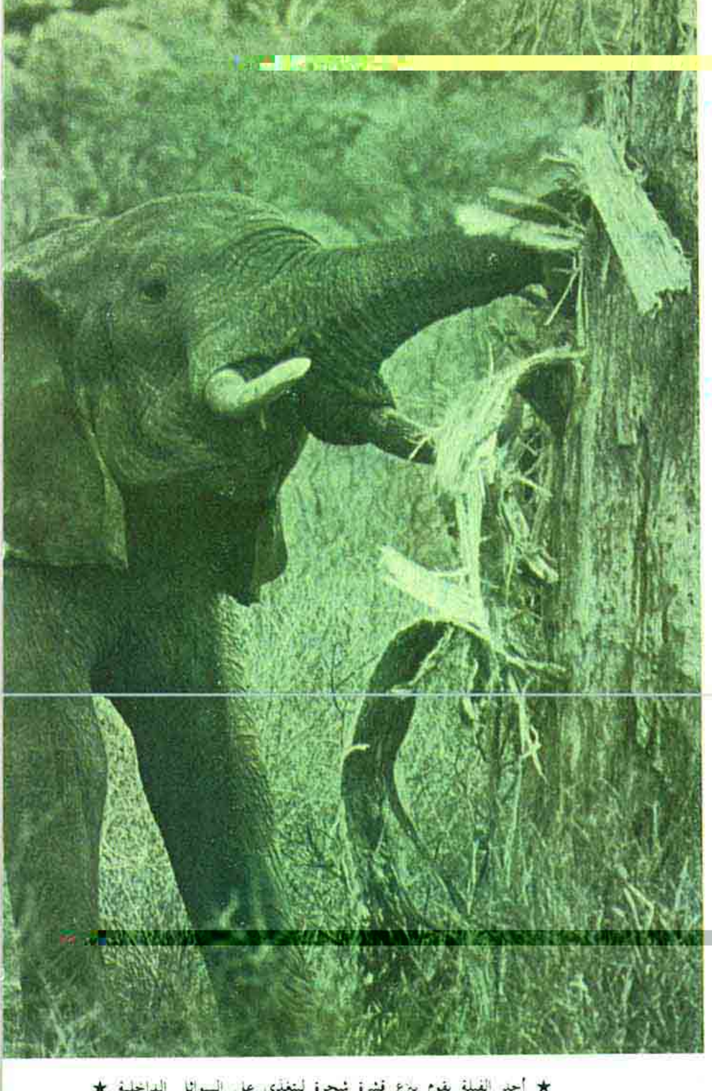


عليه بقدمه وسحقه سحقاً !!

أهمية الفيلة

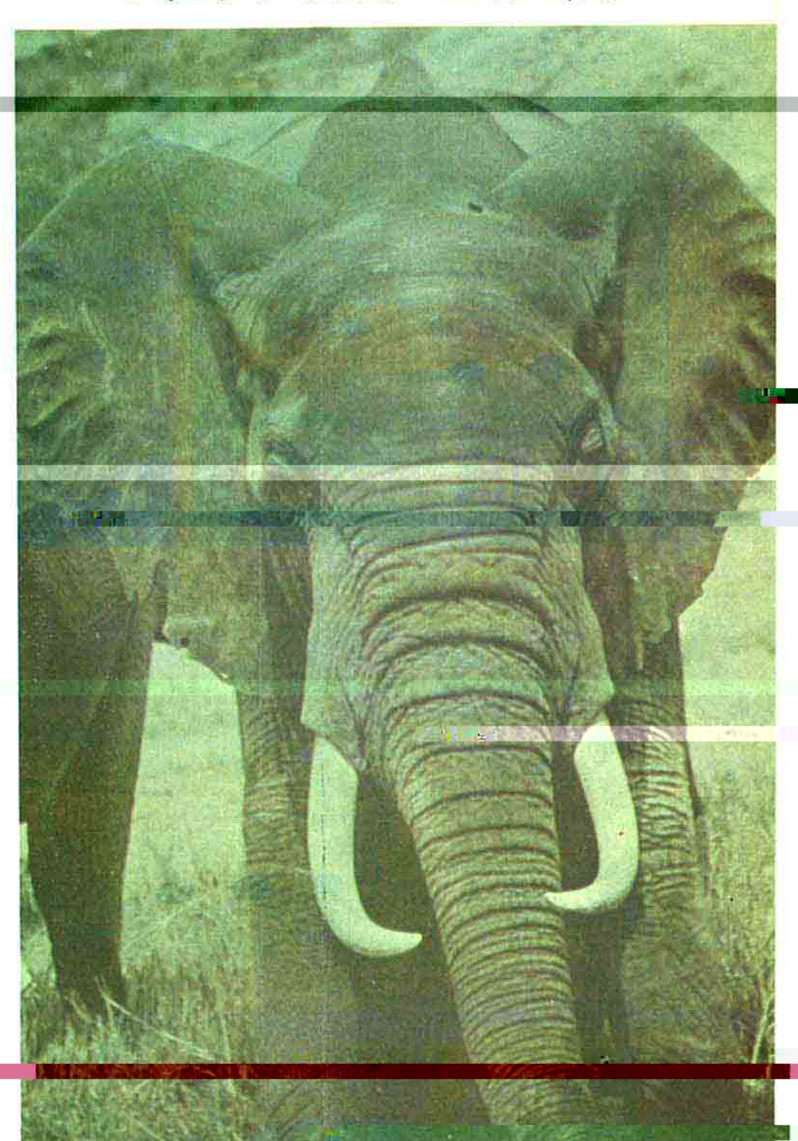
حتى بداية النصف الثاني للقرن العشرين **كانت الفيلة أهم مصادر العاج في العالم** . ولكن اليوم اضمحل هذا المصدر ، وتكون أهمية الفيلة لسكان غابات إفريقيا وآسيا قصوى لأنها أثناء مسيرتها تزيح الأشجار والأغصان والأشواك ، وبالتالي تمهد طريقاً صالحاً بإمكان الإنسان أن يستخدمه ، وقد بنى الناس في الغابات طرقاً مهمة عديدة على دروب الفيلة .

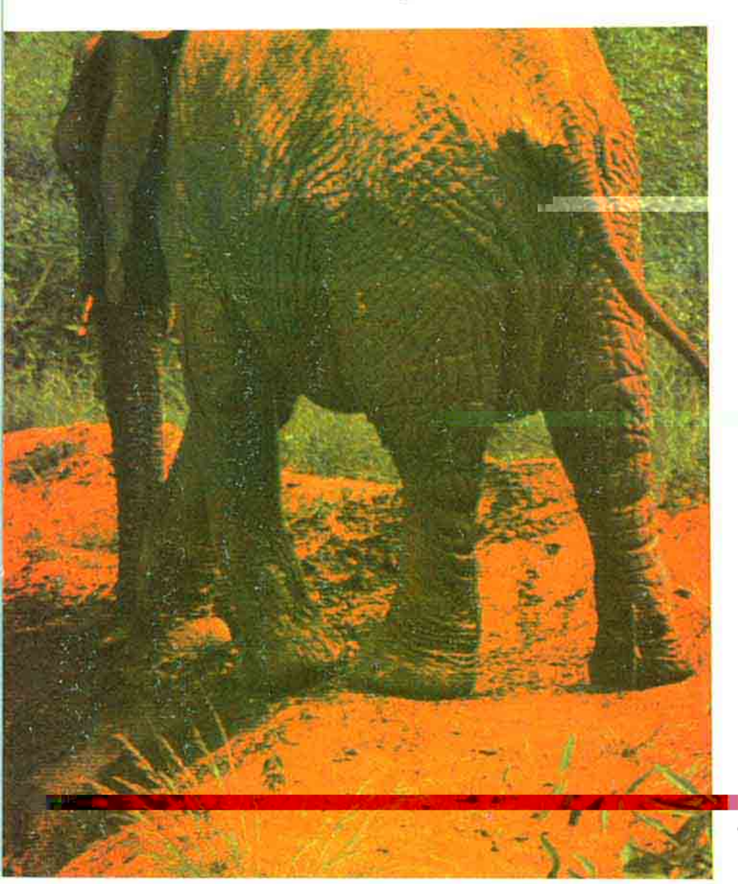
وفي آسيا حيث استطاع الإنسان أن يدرب الفيلة الآسيوية ، فهي تساعده في عدة أعمال كجر وحمل الأثقال ، وتعتبر عاملاً هاماً في **تجارة أخشاب التيك** ، إذ إنها تجر الأخشاب الطافية خارج الماء . **وقد استعملت الفيلة في الحروب ، وكان « هانيبال » من أوائل من استعملها لعبور جبال الألب** . وفي الحرب العالمية الثانية استعملت لحمل الأدوات المهمة وبعض المعدات في أدغال آسيا الممطرة التي لا تسمح بسير العربات .



★ أحد الفيلة يقوم بنزع قشرة شجرة ليتغذى على السوائل الداخلية ★

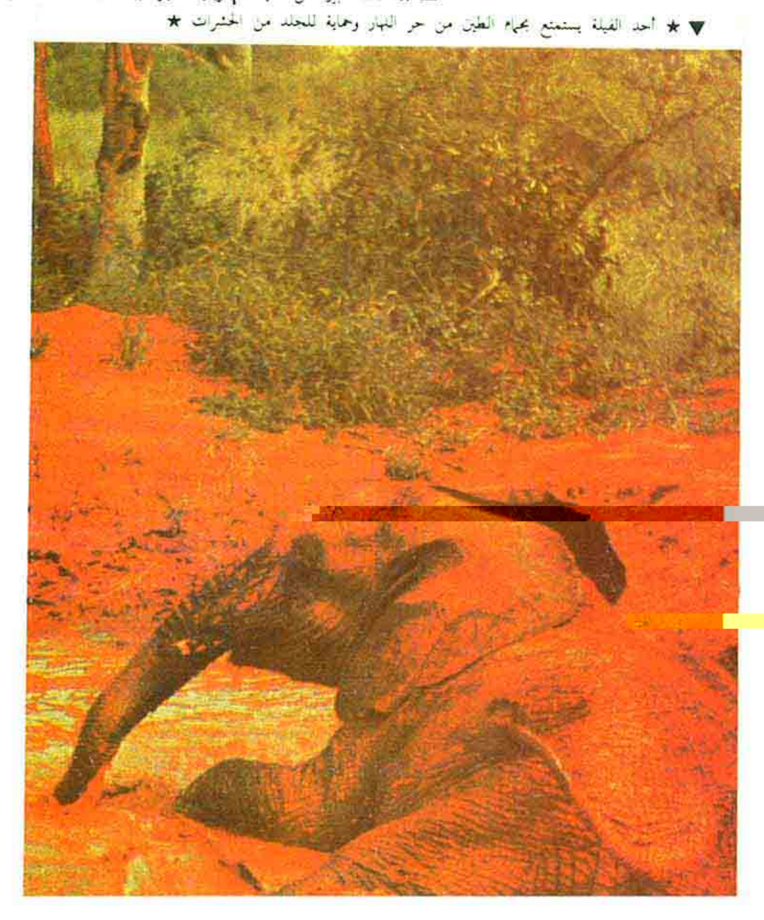
★ فيل إفريقي يمد خرطومه إلى الماء للشرب في إحدى حدائق الحيوان المفتوحة ★





▲ ★ عائلة كبيرة من الفيلة الإفريقية تظهر فيها أجيال عديدة، والمجموعة هنا في حالة تأهب لأنها أحست وشمت رائحة غريبة في المنطقة ★

▼ ★ أحد الفيلة يستمتع بحمام الطين من حر النهار وحماية للجلد من الحشرات ★



مقابر الفيلة .. حقيقة أم خيال ؟

ترددت أحاديث كثيرة عن وجود مقابر للفيلة تلجأ إليها عندما تشعر بدنو نهايتها ، وهناك تلفظ أنفاسها وتموت ! فهل حقاً توجد مثل هذه المقابر أم أنها خرافة من نسج الخيال ؟

في الحقيقة لا يوجد حتى اليوم أي دليل علمي مادي عن وجود مثل هذه المقابر ، إذ لم يلاحظ أي عالم ، الفيلة وهي تذهب إلى « المقابر » تموت هناك ، ولكن وجدت عظام وهياكل كثيرة للفيلة في مناطق محددة . وهناك احتمالان لذلك ، وهما إما أن يكون الصيادون قد اصطادوا قطعاناً من الفيلة سوياً وذلك بوضع السم في الماء حيث تشرب وبالتالي نفقت آلاف الفيلة ، ونزع الصيادون الأنياب وتركوا الجثث مكانها فبقيت العظام والهياكل في مكان واحد وكأنه مقبرة جماعية !

والاحتمال الآخر هو **الموت الجماعي الطبيعي** لقطعان من الفيلة أثناء عبورها أحد الأنهار حيث غرقت أو أثناء الحرائق التي دائماً تجتاح غابات إفريقيا وآسيا ، حيث يكون سلوك الفيلة أثناء هذا الخطر التجمع في شبه دائرة وبالتالي قد تموت جميعها اختناقاً أو حرقاً !!

وبالرغم من كثرة الأساطير حول الفيلة إلا أنها ستبقى دائماً من أكثر



★ فيل إفريقي في سهل جبل كليمانجارو ★

حيوانات البراري إثارة للخيـال . . . وإن ننس الكثير عن الفيلة لكننا لن ننسى أبداً **الفيل الكيني** الذي عـمّر طويـلاً حتى وصـلت أنيـابه إلى الأرض وكانت تزن حوالي **١٨٠ رطلاً** ، وقد أعجب بـه الـزعيم الـكيني الراحل « **جوموكينياتا** » وأعطاه وبقية الفيلة في **كينيا** الحماية التامة . . ولكن مات كينياتا ومات الفيل ! . .

المراجع

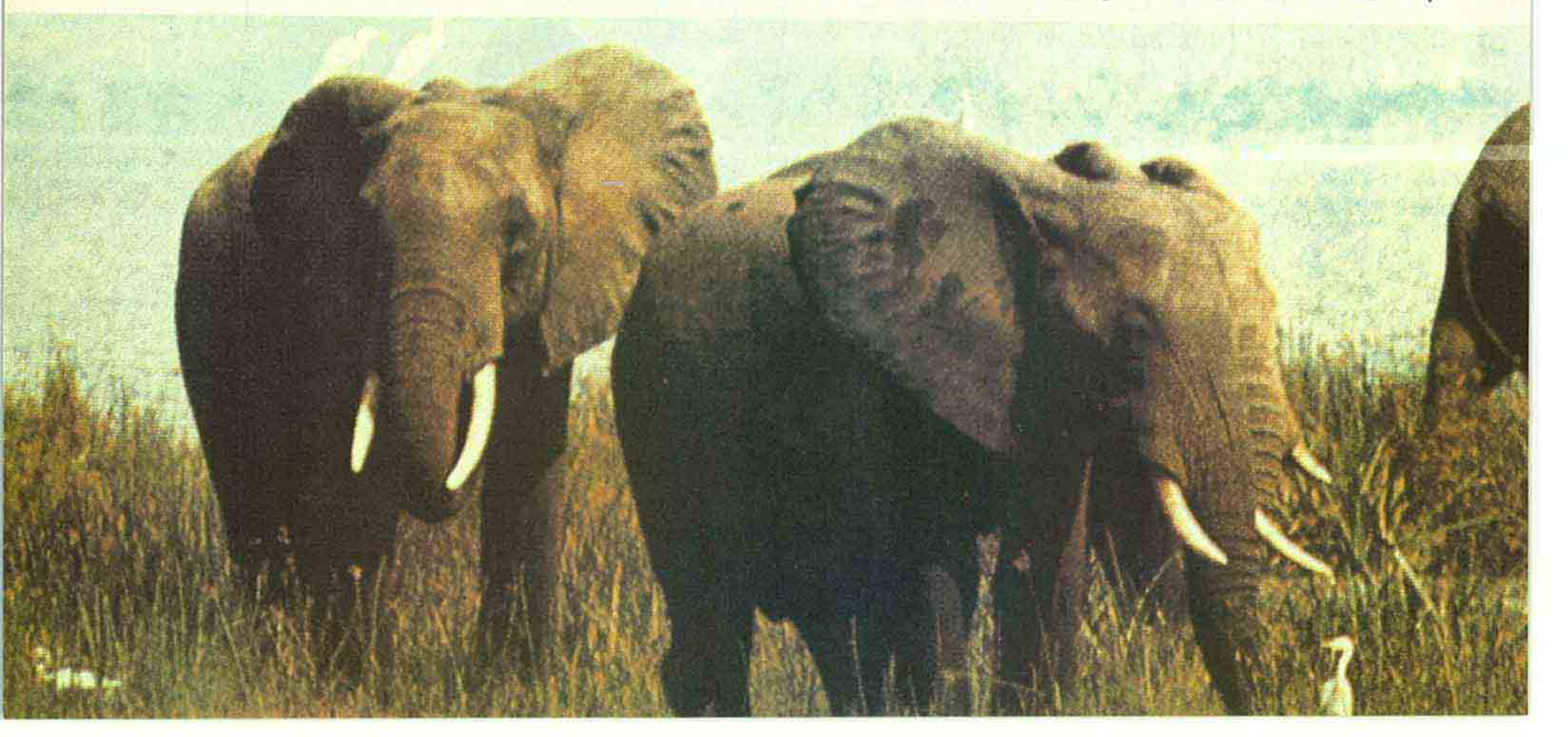
Grzimek, B. (1976). *Grzimek's Animal Life Encyclopedia (Volume 12)*. Von Nostrand and Reinhold Co., New York, London.

Milne, L. and Russell, F. (1975). *The Secret Life of Animals*. Weidenfeld and Nicolson, London.

Patel, H. C. (1973). *Vanishing Herds*. MacMillan London Ltd.

▲★ يستعمل الفيل الآسيوي لرفع الأثقال ★

▼★ بعض الطيور الصغيرة تعيش معيشة تكافلية مع الفيلة لأنها تتغذى على الحشرات العالقة بالجسم وبذلك تريح الفيلة منها ★



لوحة و فنان

• منظر طبيعي قرب مينتون •

• قال رينوار : «لقد قضيت حياتي وأنا أمتع نفسي بوضع الألوان على اللوحات» ، من خلال كلماته تلك يتضح مفهومه للتصوير ، ورؤيته وأسلوبه الفني ، وموضوع تلك اللوحة أيضاً .. فالفنان عاش حياة هادئة منعزلة . وفي تلك اللوحة يصور الطبيعة وحدها دون وجود الإنسان بها .. واستطاع الفنان أن يعكس حياة عصره وروحه بإخلاص ، خصوصاً دقائق الحياة اليومية ، ورؤيته للطبيعة التي كان يحبها ويتعاطف معها ، بل يعشق جمالها ، وهذا يتضح في اللوحة المعروضة . فهو يصور مشهداً يعبِّر عن جمال الطبيعة ، فصوَّر الأشجار ذات الأغصان المتعانقة في مودة وتآلف ، وأبرز جمال ألوانها .. فالموضوع الأساسي في اللوحة هو التعبير عن جمال الطبيعة ، لذا ظهرت الألوان بالغة الرقة والعذوبة ، وهو ما تتميز به معظم لوحات الفنان أيضاً .

• التشكيل الفني في اللوحة يقوم على **هارمونية الخطوط** المتمثلة في أغصان الأشجار ، وإيقاع اللون على شكل بقع لونية متناغمة ، المتمثلة في الأرض وأوراق الأشجار .

• اللوحة تعالج الشكل ، ولكن دون تميز بقيم بنائية ، وهذا يفقدها عنصراً هاماً من القيم الفنية ، إلا أن جمال الألوان المستخدمة يجعلنا لا نرى أو نبحث عن تلك القيم الفنية ، وأيضاً جمال تكنيكه الفني في استخدام الألوان والتعبير عن الطبيعة .

• لا تنتمي اللوحة إلى أي مدرسة من المدارس الفنية ، لكنها **أقرب إلى المدرسة التأثيرية** ، الذي اتحد معها أو توافقت مع أسلوبه من ناحية التعبير عن الطبيعة ، وتأثير الضوء على الأشكال والأشياء .

○ أوجست رينوار ○

• ولد في «**ليموج**» **بفرنسا** عام ١٨٤١ م .

• كان ابناً لأبوين فقيرين ، لذا قام تعليمه على اجتهاده الشخصي . في سن الثانية عشرة أصبح له أسلوب شخصي متميز في التصوير على الزجاج والخزف والصيني ، واستمر ذلك الأسلوب معه خلال تطوره الفني .

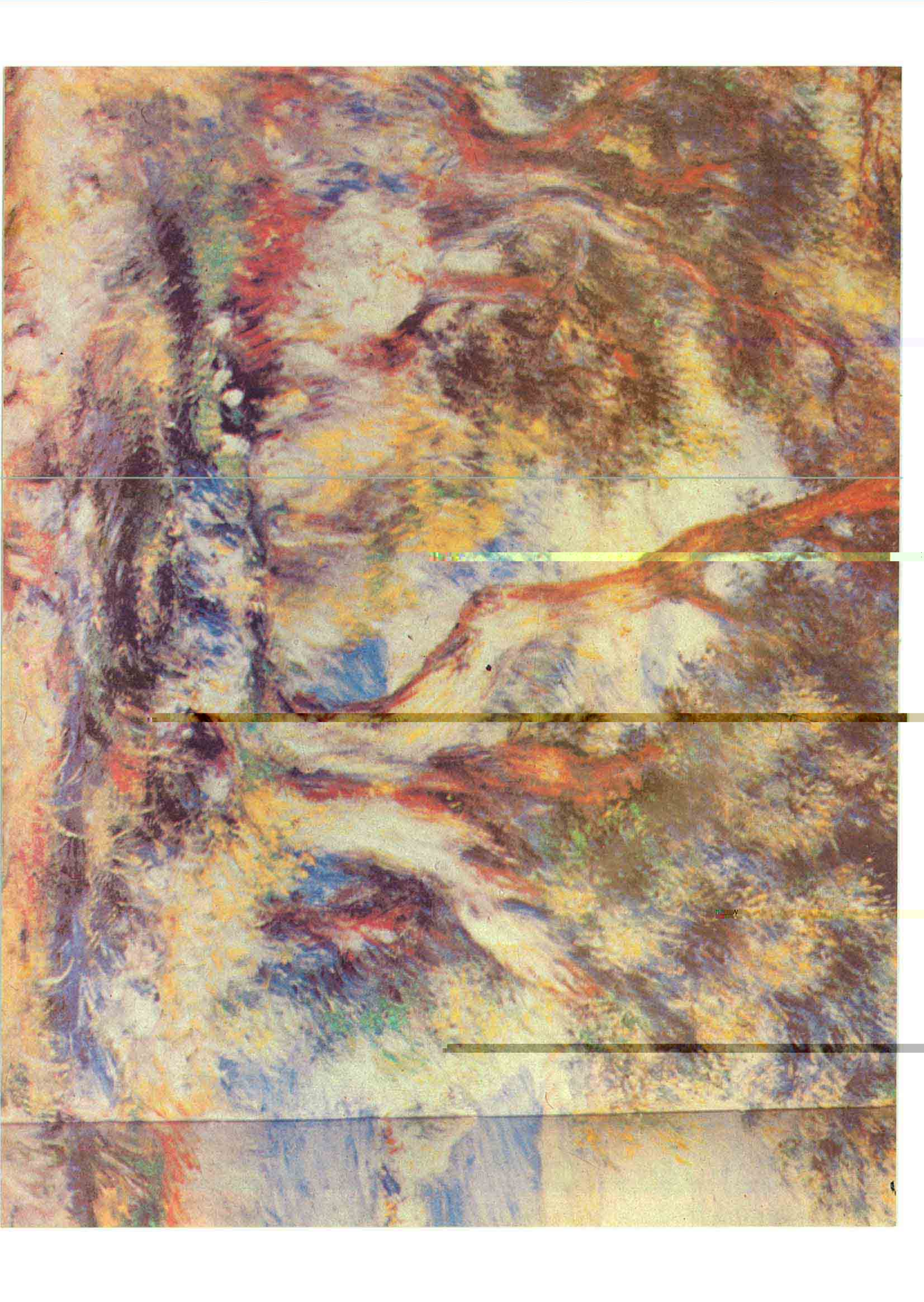
• تعلم من التمرين في الرسم على مواد مختلفة في سن مبكرة ، قيمة التطبيق العملي ، والحذر والدقة والرقة أيضاً .

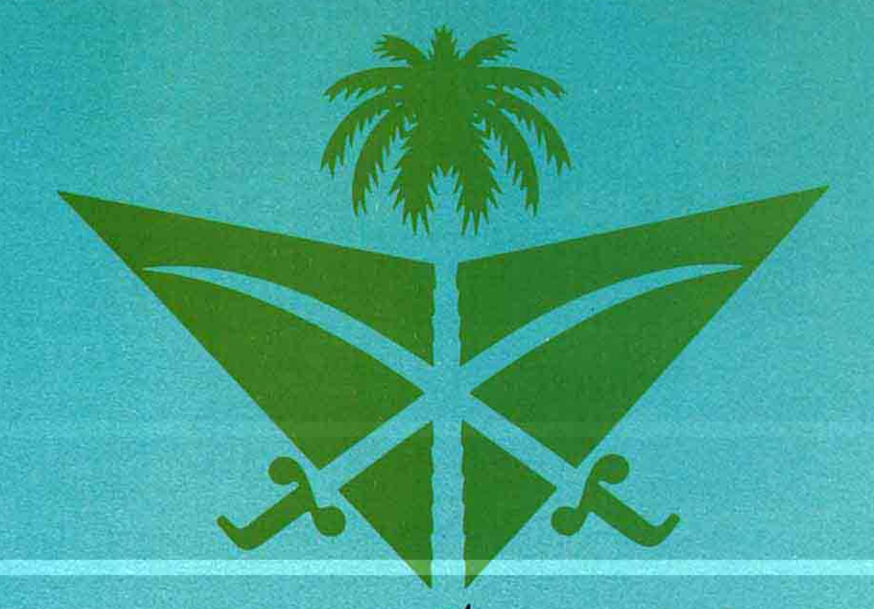
• يعد **الفنان رينوار الممثل الأخير للتيار التقليدي في التصوير** ، الذي امتد من فترة الفنان «**روبنز**» إلى الفنان «**وانو**» .

• يقف رينوار إلى جانب **سيزان ، ومانيه** ، والمصورين التالين **للمدرسة التأثيرية** ، إلا أن أعماله الفنية لا توازي أعمالهم من حيث القيم الفنية .

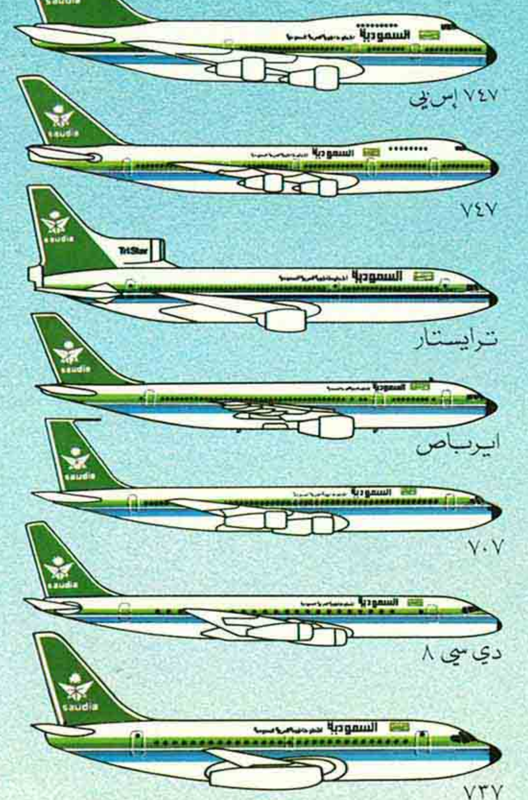
• يعتبر الفنان من أكثر فناني القرن التاسع عشر حظاً في التقدير . في عام ١٨٧٨ م ، **بيعت إحدى لوحاته بمبلغ خمسين فرنكاً** ، وفي عام ١٩١٨ م ، **بيعت إحدى لوحاته في أمريكا بمبلغ ١٢٥,٠٠٠ دولار** ، ورغم تلك الأرقام المرتفعة ، إلا أنها ليست مقياساً للمستوى الفني ، أو دليلاً على القيم الفنية والجمالية في لوحاته .

• تميز رينوار بأنه أكثر من رسم الأجسام البشرية بحيوية منذ عهد **رسامي البندقية** ، فقد كان الفنان محباً للناس والحياة والطبيعة ، ومعظم موضوعاته كانت عن النساء والأطفال والزهور ، لكنه لم يصور صراعات الحياة ، أو يدخل في أعماقها ، وهذا ما جعل مشخصاته ينقصها العمق النفسي برغم مظهرها الواقعي والحيوي .





ننمو أسرع لنخدمكم أفضل



إن مشاريع "السعودية" للتوسع في السنوات القادمة تعني أن خدمتنا للركاب ستكون أفضل فأفضل.

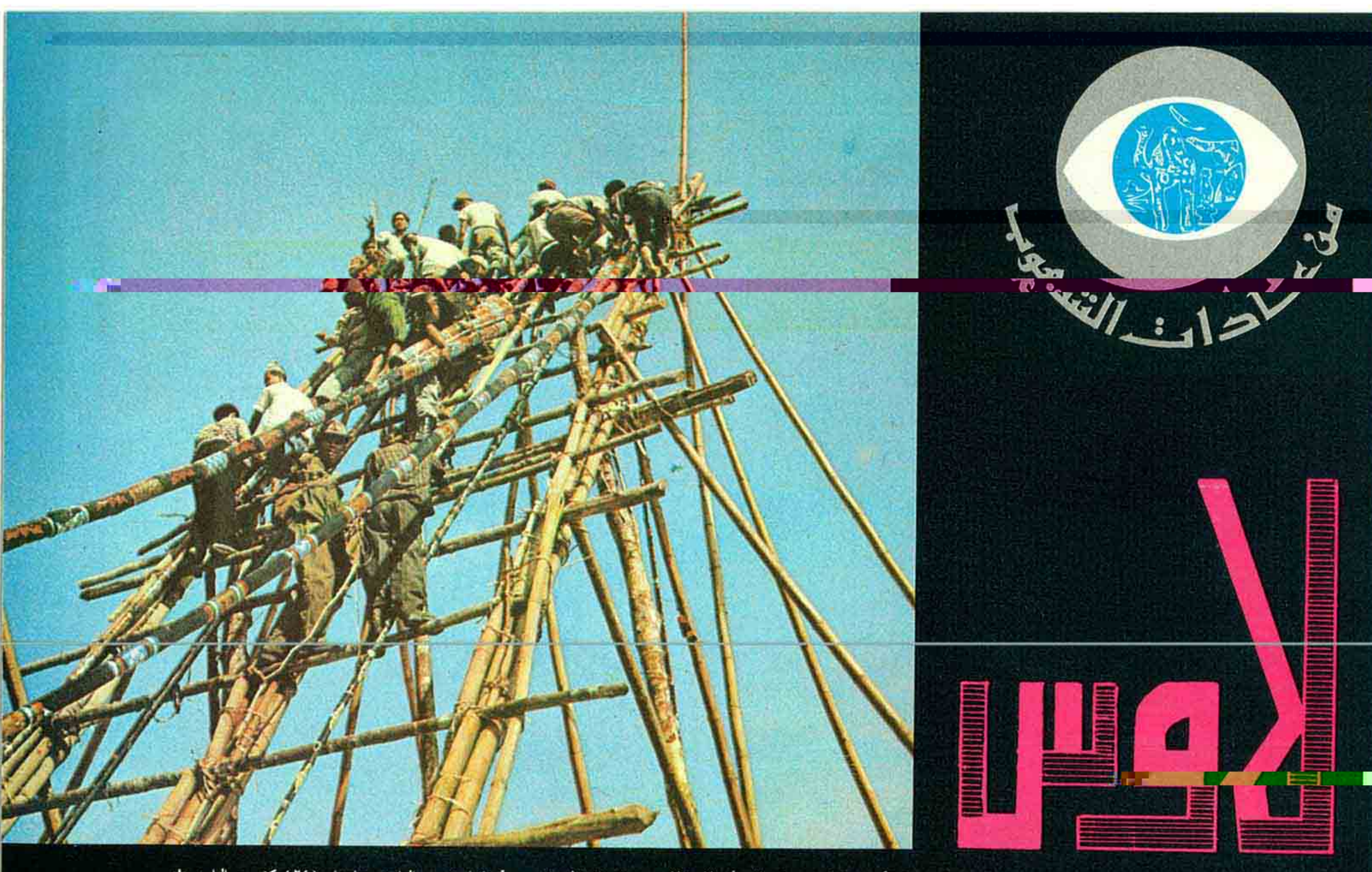
إن إضافة ست طائرات "٧٤٧" وخمس طائرات "ترايستار" واحدى عشرة طائرة "ايرباص" على أسطولنا الحالي تعني أيضاً أن باستطاعتنا الآن أن ننقل ركابنا إلى أماكن أكثر ونؤمن لهم عدداً أكبر من الرحلات ونوفر لهم مزيداً من الراحة.

وعند افتتاح المطار الجديد في جدة، سيكون للسعودية نقطة وصول خاصة بها تتيح للمسافرين القادمين من الخارج فرصة الانتقال إلى قسمنا الخاص للرحلات الداخلية دون الاضطرار الى الانتقال من مبنى إلى مبنى آخر.

والدليل الأكبر على هذا التطور المستمر في خدمتنا للركاب هو أن السعودية هي الخطوط الوحيدة التي تؤمن المواصلات بين إثنين وعشرين مطاراً في المملكة.



للحجز والاستعلام: جدة ٦٤٣٣٣٣٣ الرياض ٤٧٧٢٢٢٢/٤٧٧٣٣٣٣ الظهران ٨٦٤٢٠٠٠



★ أسهم نارية ضخمة تطلق في الاحتفالات من قضبان الخيزران بعد تجويفها ويحتوي الواحد منها على (٢٤) كغ من البارود ★

لاوس

تقع (لاوس) Laos في جنوب شرقي آسيا وفي شبه جزيرة الهند الصينية . تحدها الصين شمالا ، وفيتنام من الشمال والشمال الشرقي ، وكمبوديا جنوباً ، وبورما وتايلند غرباً .

حكومتها **ملكية دستورية** ، ولغتها الرسمية **(اللاوية) Lao لها عاصمتان** : العاصمة الملكية (لوانغ برابانغ) Luang-Prabang ، والعاصمة الإدارية (فيين تيان) Vientiane ، مساحتها (٢٣٦,٨٠٠) كم^٢ ، ويقدر **عدد سكانها** بـ (٣,٥) ملايين نسمة يعيش ٨٥٪ منهم في الأرياف و١٥٪ منهم في المدن ، وتبلغ الكثافة السكانية ١٣ نسمة/كم^٢ . وتدين غالبية السكان بالبوذية .

يروي أراضي (لاوس) نهر **(ميكنغ)** ، وتعتمد على تصدير منتجاتها الزراعية كالأرز والبن . بقيت (لاوس) تحت نفوذ (تايلند) منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى سنة ١٨٩٣م ، عندما احتلتها فرنسا . وقد تأسست فيها الملكية سنة ١٩٤٧م ، وانضمت للاتحاد الفرنسي سنة ١٩٥٠م ، ثم انسحبت منها القوات الأجنبية سنة ١٩٥٤م ، بعد **مؤتمر جنيف** .. حصلت على استقلالها في شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٤م ، وانضمت للأمم المتحدة . وقد حدثت فيها عدة انقلابات (١٩٦٠م) وأدت إلى صراع على السلطة . وقد تشكلت فيها حكومة ائتلافية سنة ١٩٦٢م .

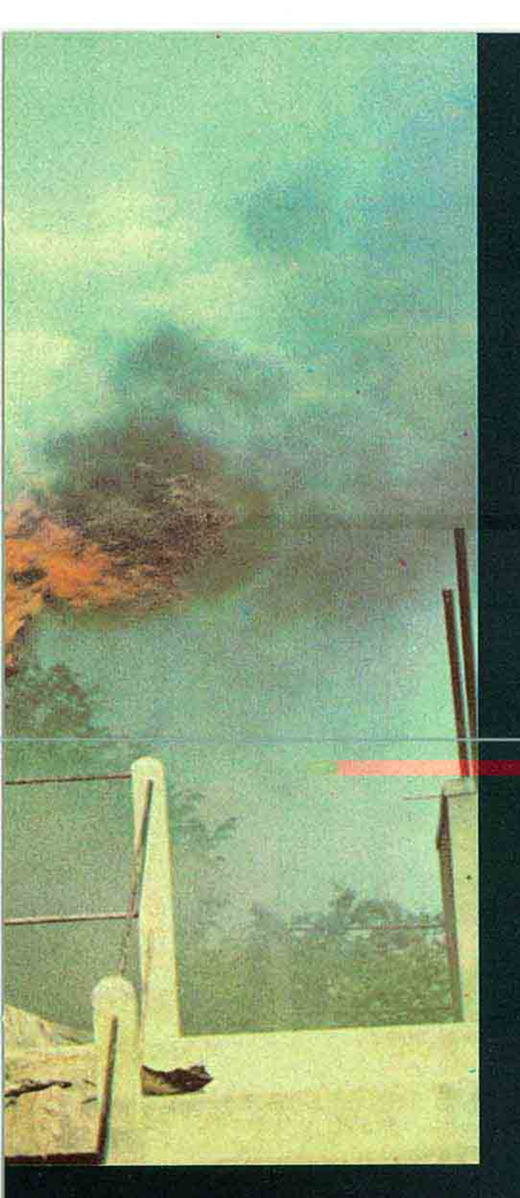
● العادات والتقاليد ●

يمكن أن نقسم العادات والتقاليد اللاوسية إلى قسمين كبيرين يتعلق الأول منها **بالحياة الشخصية** مثل طقوس الولادة والزواج والوفاة ، والثاني يتعلق **بحياة الناس الاجتماعية** ، ويظهر ذلك في الأعياد الشعبية أو الدينية . وهذه العادات تدل على ارتباطها في كثير من الأحيان بالجهل والخزعبلات والأباطيل . وهي مرتبطة إلى حد كبير بالعادات والتقاليد البوذية في بلاد الهند الصينية .. ويمكن للباحث أن يرجع تلك التقاليد في الأساس إلى الديانات الوثنية الثلاث : البوذية والبرهمية (الهندوسية) والأرواحية .

● طقوس الولادة ●

منذ ظهور علامات الحمل على المرأة تمنع من تناول بعض أنواع الأطعمة مثل عسل النحل وبعض أنواع الموز والباذنجان وثمار التمرهندي . وإذا لم تلتزم الأم الحامل بهذه القائمة من الممنوعات فإنها تخاطر بحياتها وحياة طفلها حسب اعتقادهم . فلو أكلت عسل النحل بشهده فقد يأتي طفلها صخاباً كثير الضجة أشبه ما يكون بأسراب النحل . ولو تناولت الباذنجان لتعسرت ولادتها (!!) .

وعندما تحين ساعة الولادة ويأتيها المخاض ،





★ نساء من قبائل جبلية تسمى (مياو) يرتدين اللباس التقليدي ★

فإن الحامل تتعلق بكلتا يديها بحبل طويل مثبت في سقف الغرفة ، بينما تقوم القابلة بتدليكها ورش جسمها بالماء المعطر وهي تتمتم طلاسم سحرية تهدف إلى إبعاد الأرواح الشريرة من الجان والمردة والشياطين . أما إذا لم تجد تلك الطلاسم نفعاً فيستدعون (**شيخة القابلات**) وهي لا تأتي — عادة — إلا في الملمات ، وتقوم هذه بقراءة (تعاويذ) سحرية تسمى في لغتهم (غوتاما سادو) تستطيع في زعمهم أن تُيَسِّر المخاض وتدفع الأرواح الشريرة وكيدها (!!) .

وعندما يرى الطفل النور ، فأول مهمة تقوم بها القابلة هي منع الشياطين من احتلال جسده ، وذلك بأن تضع حول عنق الأم والطفل خيوطاً سوداء وحمراء وهي تتمتم بأدعية وتعاويذ تدعي أن فيها سحراً .

وكل تلك الطقوس لا تكفي لحفظ الطفل من أن يخطفه الجان ، فلا بد لإحدى العجائز من أن تأتي بمنسف أو غربال كبير وتدخل إلى بيت أهل الطفل ، وتمرر الغربال في لهب النار وهنا لا بد للجان والشياطين من أن يولوا الأدبار (!!) عندها تقر عيون أهل الطفل فيضعون الطفل في الغربال ويضعون تحت فراشه تميمة أو رُقية سحرية لطرد الشر . ويقومون عادة بتعليق قضبان من الخيزران تتدلى من السقف وعليها كتابات وطلاسم ، ويجب أن تبق معلقة مدة ثلاثة أسابيع على الأقل لتمنع دخول الجان .

بعد ذلك تبدأ فترة الطهارة فتستحم الأم وكذلك الطفل بماء معطر . وتقوم إحدى قريبات الطفل بتقريب قدميه من الأرض وهي تقول : « امش فوق الأرض .. امش فوق العشب ... لقد خطوت على الأرض .. أنت إنسان » .

● طقوس الزواج ●

طقوس الزواج في (لاوس) طقوس بوذية وذلك بعكس طقوس الولادة التي هي طقوس (أرواحية) . وينص القانون اللاوسي على أن اتفاق إرادة العروسين وأهلهما ورضاهما شرط لا بد منه لصحة الزواج . كما يشترط **الإشهار** أمام الشهود حسب أعراف (لاوس) القديمة .

ومن عاداتهم الامتناع عن الزواج في **الأشهر القمرية** المفردة ، فلا بد للزواج من

أن يكون في شهر قمري زوجي ، ولا يجوز الزواج في النصف الثاني من الشهر القمري . ويعتقدون أن أفضل شهر للزواج هو الشهر القمري السادس .

وطبقاً لعادات هؤلاء القوم يجب أن يتم دفع مهرين بدلا من مهر واحد . الأول منهما يسمى في لغتهم (خاخون فيه) وهو **مهر إجباري** تدفعه عائلة الفتاة إلى الكهنة والرهبان في المعبد لدفع أذى الأرواح الشريرة . وتتحدد قيمة هذا المهر بحسب الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها أهل الفتاة . أما المهر الثاني ويسمى (خادونغ) فهو غير إلزامي وتدفعه عائلة الخاطب إلى عائلة الفتاة التي تم اختيارها زوجاً لابنهم .

وبعد دفع المهر يحدد يوم الفرح والزفاف . وتقوم عائلة الفتاة وقريباتها من النساء بتزيينها لتكون في أبهى حلة وأجمل طلعة . وهنا يتوجه أفراد من عائلة (**العريس**) يحملون أطباقاً مختلفة الأحجام تحتوي على هدايا العرس . وطبقاً للتقاليد يجب أن يهدى إلى (**العروس**) خنجراً مذهباً ، وغطاء رأس من الحرير الطبيعي يبلغ ثمانية أذرع طولا ، وثوباً من الحرير ، وملابس ذات ألوان غريبة ، وطاقات من الورد . ويبلغ عدد أطباق الهدايا مائة إلى مائتين حسب درجة ثراء (العريس) .

وفي مساء نفس اليوم يذهب الخاطب إلى بيت خطيبته ليحضر احتفال (المباركة) . ويقوم الرهبان البوذيون برش الماء على الخطيبين ، ثم يربطون إبهامي العروسين بخيط من القطن الأبيض رمزاً إلى الاتحاد وإتمام الزواج ويرتلون ترانيم خاصة .

وفي صباح اليوم التالي يذهب العروسان إلى المعبد ليباركهما الرهبان . ويدفع العروسان (صدقة) سخية لهم .

● الموت سعادة ●

الموت حادث سعيد في (لاوس) ؛ ذلك ما يعتقده اللاوسيون . وهكذا فإنهم يطلقون على دار الميت اسم (**البيت السعيد**) . ألم يصل الميت إلى حالة (**النيرفانا**) حيث يستطيع أن يشبع كل رغباته ؟ لذلك فمن الأفضل للأحياء أن يسهلوا للمتوفي طريق السعادة الأبدية (النيرفانا) ، وإلا فإن النواح والبكاء يجعل روحه عرضة لملاقاة (شيطان الجحيم) ، ويذكر الرهبان الناس في تراتيلهم ووعظهم حول الجنازة بأن البكاء يجعل من روح الميت روحاً شاردة تائهة ، والغناء أفضل من البكاء لأن يوم الموت يوم فرح وسعادة للميت وأهله .

وعادة تحرق جثة الميت . ويشد عن تلك

★ بيت إحراق الموتى وقد أضرمت النار في إحدى الجثث ★

★ فرقة موسيقية تسير احتفالا بإحراق جثة المتوفي ★



القاعدة أولئك الذين لقوا حتفهم في حادث مروع . فهؤلاء يدفنون في أسرع وقت ممكن دون طقوس .

وتوضع على الميت وحوله علامات ورموز لها دلالات عندهم . فمثلاً يوضع في فمه قطعة نقدية صغيرة رمزاً على أنه لم يأخذ من أمواله أو غناه شيئاً سوى تلك القطعة التي لا تفيده بشيء .

وتربط حول قبضتيه ورجليه خيوط من القطن الأبيض رمزاً على أن تعلّق الإنسان بالحياة الدنيا هو تعلّق أوهى من خيوط القطن . كما أن جسده المسجى على جذوع شجر الموز يدل على أنه لا شيء يدوم في الحياة الدنيا .

ويستمع الأهل والأصدقاء إلى وعظ كهانهم ورهبانهم وهم يتحلقون حول جثمان المتوفي .

وعادة ما تتركز خطب الرهبان على أن الجسد لا أهمية له بعد أن فارقته الروح . ويذكرون الناس بأن الحياة زائلة وأن الموت قدر محتوم على كل الناس .

وأما حول أهل الميت وخارج المنزل فالمنظر عجيب غريب . . . إنه الفرح الغامر والسعادة القصوى . . الكل يرقص ويغني طرباً ويحضر كل شبان وشابات القرية بينما تعزف الفرقة الموسيقية ألحاناً عذبة . وبعد انتهاء (الرهبان) من الوعظ ينضم أهل الميت إلى الحفل الذي يستمر سبع ليال بينما ينقل جسد الميت إلى مكان آخر في انتظار **يوم (الإحراق)** .

ولموعد إحراق الجثة طقوس خاصة : فأهل الميت يرتدون البياض ويتركون شعورهم مدلاة على أكتافهم ثم يقوم الرجال منهم بوضع النعش على المحرق حيث تضرم فيه النيران . ويعم الفرح الجميع وتطلق الأسهم النارية الملونة كما لو كان ذلك عيداً من الأعياد .

★ مسيرة الأطفال بعد الاحتفال بالعام القمري الجديد ★

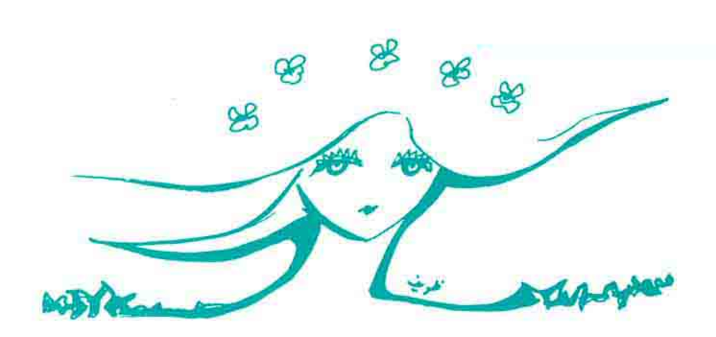


★ فرقة موسيقية كلاسيكية ★

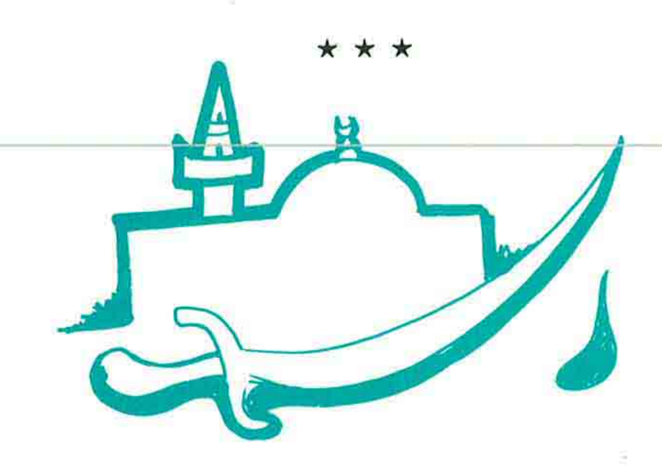
خماسيات..

شعر: عثمان بن سيار

أراكِ يا فـاتنتي وَاجمَـه ، مـظلومة في الحـب أم ظالِـمَه ؟
ماذا دها الثغر الذي كان كالـوردة مـا طـال المدى بـاسمَه ؟
أراكِ قد غبتِ عن الكونِ في عـالمِ بـؤس نـارُه جـاحِمه .
قد بانَ في لحظك يـا فتنـتي أنـكِ طلقـت المنى الحالِـمَه .
فابتسمي للحبِّ مَا زالَ روضـاً مـزهِراً أشـذاؤه فـاغِمَه .



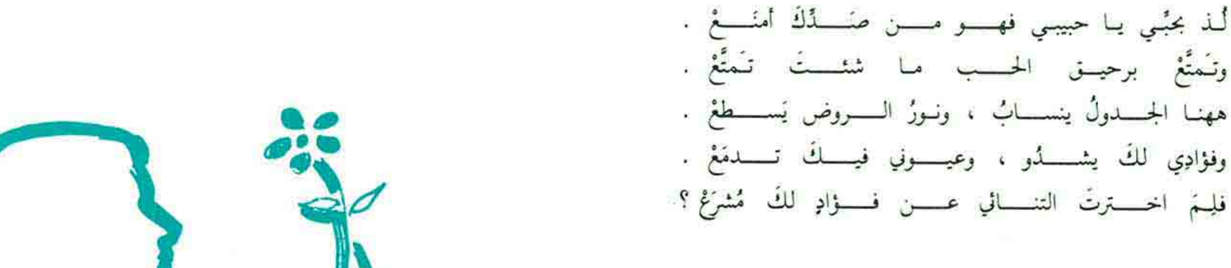
* * *



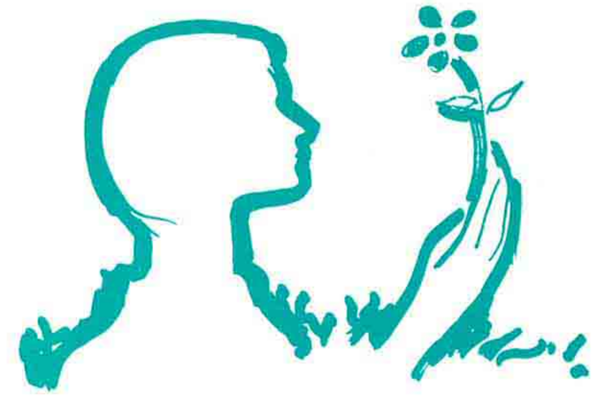
أتَـوا يبكونـَها حمـرَ المـآقي ... وكلٌّ مِنهـم نِضـوَ اشـتياقِ
وَكلٌّ يـدَّعي حُبًّا لِليلى ... ومـن كفيـه ليلى في اختنـاقِ
أضاعوها وقـالوا القـدسُ ضـاعت ... تبـاكوا يـا دهـاقنة النفـاقِ
لـو أنَّ القـدسَ كان لهـا رجَـالٌ ... لعـاشت بينـكم مَسرى الـبراقِ
فـكفُّوا مـن مَـدامِعكم عليهـا ... فما يجدي البكا والسـيفُ بـاقِ

* * *



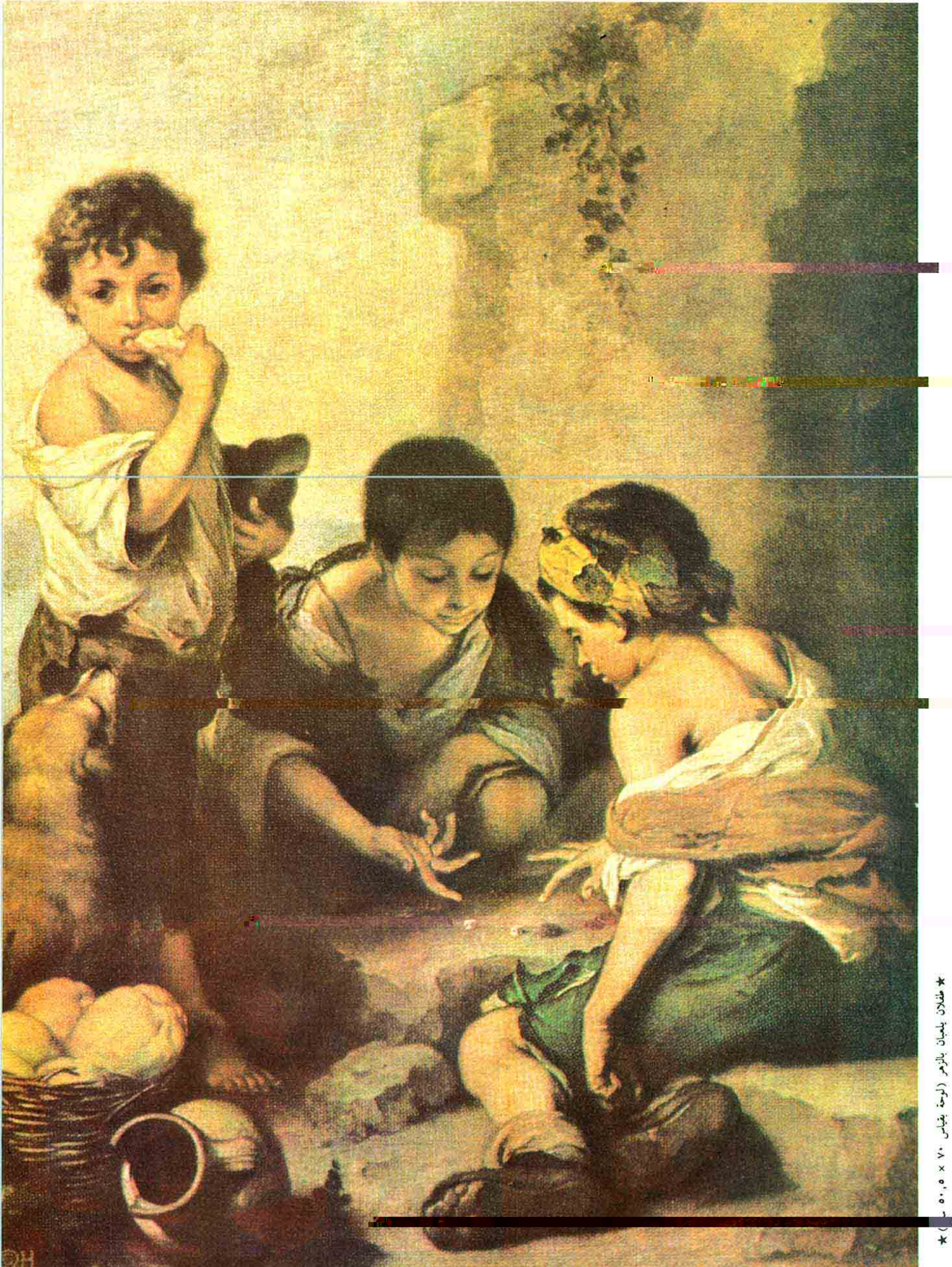


لُذ بحُبِّي يا حبيبي فهـو مـن صَـدِّكَ أمنـعْ .
وتَـمتَّعْ برحيـق الحـب مـا شئـتَ تَـمتَّعْ .
ههنـا الجـدولُ ينسـابُ ، ونـورُ الـروض يَسـطعْ .
وفؤادِي لكَ يشـدُو ، وعيـوني فيـكَ تـدمَعْ .
فلِمَ اخـترتَ التنـائي عـن فـؤادٍ لكَ مُشرَعْ ؟





وطـني أنـتِ إذا جـار الـوطنْ ... سـكني أنـتِ إذا عـزَّ السَّكنْ
وحيـاتي في يـديكِ زهـرةٌ ... فتَّحتْ بعـدَ اكتئـابٍ وشـجَنْ
لـو دَريـت إذ تخـطاني الـزمَن ... دُونَ أن ألقـاكِ يـا أزهـى فَمنَنْ
كنـتُ أحيـا هـائماً في غـربتي ... أكرعُ الأحـزانَ مـن كف الـزَّمَنْ
وتـلاقينا فـكنتِ وَطَـني ... بعد مَـا عـذبني بُعدُ الـوَطنْ



★ طفلان يلعبان بالزهر (لوحة بقياس ٧٠ × ٥٠,٥ سم) ★

رسام الطفولة المشرّدة



في عهود دولتهم الأولى ، استعان الإسبان بالفنانين الأجانب للسير مع ركب الحضارة . . . إذ كانت إسبانيا في حالة حرب ، خلال القرن الرابع عشر . وعندما اقترن (فرديناند) (بإيزابيلا) سنة ١٤٦٩م ، اتحدت إمارتاهما ، وشكلا دولة واحدة وبلاطاً مشتركاً . وكان فرديناند أمير مقاطعة (أرغون) كما كانت إيزابيلا أميرة على (قشتالة) .

وأخذ كلا الأميرين يدعوان الفنانين ، من مختلف البلدان ، للمجيء إلى مملكتهما الحديثة ، والعمل بريحهما ورعايتهما . . . وتحت نفوذهما وسلطانهما . . .

وقد جاء الفنانون ، من كل حدب وصوب ، استجابة للدعوة . . . فيهم **الفلمنكيون والألمان** ، وفيهم **الطليان واليونان** . . . وبدأت النهضة الفنية تورق وتزدهر وتقدم ثمرها اليانع بسرعة ونشاط . . .

★ طفلان يأكلان العنب والبطيخ (لوحة بقياس ٧٠ × ٤٨ سم) ★

بقلم :
محمد غالب سالم

وأقدم رسام عندهم هو **الفنان بيروغيت** « Berruguette » . وكان رساماً ونحاتاً ومهندساً ، مارس الفن في معمل (**ميكيل أنجلو**) الشهير . وبهذا الفنان دخل الفن الإيطالي الربوع الإسبانية .

جاء بعد هذا الفنان ، **الرسام (الغريكو) الإغريقي** ؛ وهو من مواليد **جزيرة (كريت)** اليونانية ، وإن كان لا يُعرف تاريخ ميلاده بالضبط . وقد ترك اليونان ، بلده ، وتوجه نحو **البندقية** ، حيث درس الفن فيها ، على يد (**تيتزانو**) ، وقيل على يد (**تنتورتو**) . ثم هبط إسبانيا ، يصحبه فنه القويم وريشة الصناع الماهرة ، واستقر **بمدينة (طليطلة)** حتى قضى عام ١٦١٤م ، بهذه المدينة نفسها . ولكنه بقي يحمل لقب الغريكي وإن أصبح إسبانياً أكثر من الإسبان . وقد طغى هذا اللقب على اسمه اليوناني ، العسير النطق [**دومنيكو ثم أوتوكوبلي**] .

بعد موت الغريكو ، ورث أمجاد الفن طفل صغير ، لا يتجاوز الربيع الخامس عشر من عمره . . . وصار فيما بعد أكبر رسام للديار الإسبانية قاطبة . . . وهو **الفنان (فلاسكوز)** . وقد ولد في (**إشبيلية**)(١)

عام ١٥٩٩م، وتوفي في **مدريد** سنة ١٦٦٠م؛ وكان يحمل لقب **رسام الرسامين**، وأمير الفنانين، فوق ألقاب الشرف الأخرى.

وفي (إشبيلية) بلد فلاسكوز.. ولد فنان آخر سنة ١٦١٨م، وهو المقصود في مقالنا هذا... (موريلو). وقد نشأ نشأة فقيرة معدمة. إذ كان يتيماً لا يملك من مقومات الحياة شيئاً.

وقد كفله أحد أقربائه، الذي يحترف الرسم، فلقنه حب الفن. وكان **موريلو** يساعده في بعض أعماله البسيطة كخلط الألوان وتحضير اللوحات. ورأى (موريلو) أن يرسم بعض الرسوم الدينية الصغيرة، ويبيعها ويستعين بثمنها على سد رمقه وإعالة شقيقته الوحيدة التي كان يرعاها أيضاً...

وقد نصحه أحد أصدقائه بالسفر إلى (مدريد) العاصمة، للاطلاع في متاحفها، على آثار الأساتذة الكبار، **كفان دايك** وغيره... ولما كان لا يملك المال الكافي للرحلة البعيدة. فقد جد في رسم مجموعة من اللوحات، باعها دفعة واحدة لأحد التجار... واستطاع بثمنها تحقيق النصيحة بالوصول إلى مدريد، حيث لقي فيها الفنان الكبير (ابن بلده) [فلاسكوز]. وتلقاه هذا بكل ترحاب واعزاز، وأعجب بأعماله وموهبته، ودعاه إلى السكن معه في دارته الكبيرة ليستروح عبير بلده الحبيب.

وانكب موريلو على نسخ أشهر اللوحات، حسب رغباته ووفق هواه واختياراته. وذلك بفضل الأذن الخاص الذي حصل عليه، بواسطة أستاذه (فلاسكوز)... كان كالفراشة يرشف رحيق الزهور: من كل زهرة يانعة شائقة... مرة من **أعمال (تيتزانو)** ومرة من **آثار (روبنس)** ومرة من **لوحات (فان دايك)** وهكذا...

وبعد أن أقام في مدريد ثلاث سنوات رجع إلى بلده... وبقي فيها زمناً ليس بالقصير، بلا عمل ولا شغل، منزوياً مغموراً، خاملاً، لا يتصل به أحد، ولا يعرض عليه أي إنسان أي عمل أو طلب.

شهرة.. بعد انطواء

خلال هذه الفترة من حياته الخاملة... فكر **رهبان (إشبيلية)** بتزويق إحدى بيعهم برسوم جدارية... وكانوا يفكرون بدعوة أحد كبار الفنانين، ممن يشار إليهم بالبنان لتحقيق هذا العمل.. ولكن لقلة ما لديهم من مال... خاطروا بالاتفاق مع (موريلو) المهمل المنسي ليقوم بإنجاز هذا العمل الكبير.

وقام موريلو بالمهمة أحسن قيام، إذ أنجز إحدى عشرة لوحة جدارية رحبة... وقد وفّق بها كثيراً. ونالت إعجاب هؤلاء الرهبان أنفسهم، وهم الذين شككوا قبلاً في مقدرته وكفاءته. كما أن هذه الأعمال نالت تقدير وإكبار كل من رآها!!.. حتى أصبحت هذه البيعة من أجلّ الآثار زينة وتزويقاً إلى يومنا هذا.

كان لنجاحه الكبير دوي هائل في عالم الفن وعالم الزخرفة؛ وانهالت عليه (طلبات) العمل من كل مكان.. وأضحى عاجزاً عن تأمينها كلها، أو تحقيقها في موعدها المحدد...

ثم طلب إليه تزيين بيعة أخرى! وقد فاق بعمله الجديد ما حققه من عمله الأول... وكان هو نفسه معجباً بإحدى لوحاته الجديدة والمسماة: **(إحسان سان طوماس)**.

والآن تدفق عليه الحظ من كل جانب، وكان النجاح يبسم له أينما توجه.. وكان إنتاجه بحق، في الذروة من عالم الفن الساحر الأخاذ.

فنان الفقراء والمساكين

أما رسومه للأطفال والطفولة، فحدث عنها ولا حرج، فقد توصل بها إلى جميع مقومات الإبداع والتفوق... أطفاله ينطقون، فقراء مشردون، تعصرهم الفاقة ويهصرهم العوز، بأسمال بالية خلقة وأحذية ممزقة ذرية، يتسكعون في الشوارع القذرة ويهيمون بالأزقة المتربة بين أترابهم ولداتهم يلعبون بين الأوساخ ويتسلون بين الخرائب والأحجار.

كان النجاح المضطرد عاملاً له للأخذ بيده نحو الشهرة والمجد والثراء والغنى... ومع هذا... فكان يعد نفسه الفنان الفقير... أو **فنان الفقراء والمساكين**... والمحرومين والمعدمين... إذ كان ينفق كل ما يجمعه من مال على هؤلاء الفقراء ويعطيه لجميع فقراء حيّه وأبناء طبقته ممن أناخ عليهم الدهر بكلكله وأذاقهم مر الحرمان.. وكأن فقره السابق وعوزه وفاقته هي التي دفعته إلى هذه العواطف النبيلة وهذا الحب الصادق الجياش... اهتمام بالفقراء والمساكين وذوي الحاجة، وتقديم جميع ما يملكه لهم، ليقيهم عادية الزمن ويدفع عنهم غول الفاقة المفزع المخيف... وكان هو نفسه قد قاسى الأمرين للوصول إلى لقمة العيش كما قلنا.

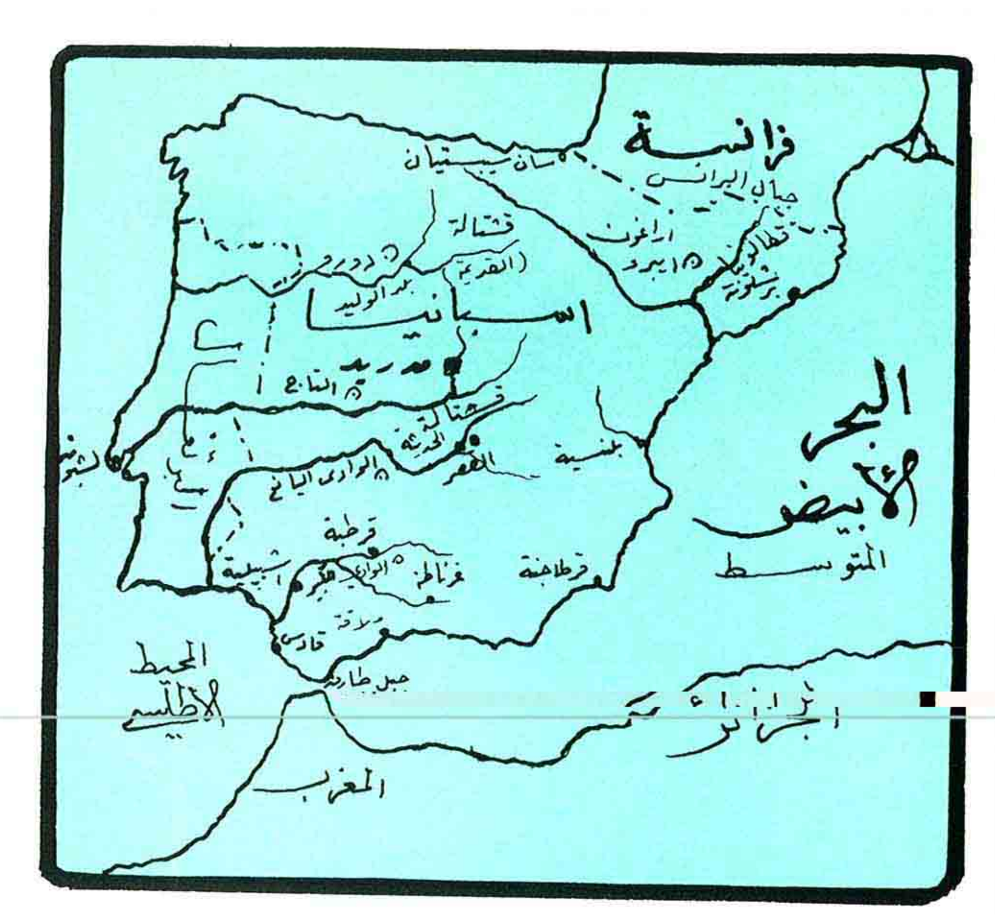
لوحاته

صحبة مقالنا هذا نجد نسخة لإحدى لوحاته الشهيرات، وهي المسماة: **«طفلان يأكلان العنب والبطيخ»**. وتعد هذه اللوحة من أرق وأدق وأصدق لوحاته الهادفة، وأعمقها تعبيراً وتمثيلاً... فقر مدقع وحاجة ساحقة... وطفولة مشردة مهملة... تتلهى وتلعب في الشوارع، بين الخرائب والأطلال... التراب بساطها والغبار والأحجار مقاعدها ومناضدها... أما الألبسة فهي الصورة المجسمة للتعاسة والشقاء، والتمثال الحقيقي لما كان عليه واقع هؤلاء المساكين... أطفال في عمر الورود وهم مشردون منبوذون... محرومون من العطف والحنان والأمان...

أما **اللوحة الثانية**، فتمثل **أطفالا يلعبون بالزهر**، وهي بحق كالشريط السينمائي المجسم يعطينا فكرة صادقة عن الحالة التي كانت عليها هذه البلاد، أثناء حياة فناننا، وهو قد نقل ما كان يشاهده بصدق وإخلاص وبراعة: فقر وعبث وإهمال وفاقة، وازدراء بهؤلاء الذين سيكونون رجال المستقبل...

* * *

كان موريلو يمثل في لوحاته سمو الروح ونبل العاطفة، ورقة الإحساس ولطافة التعبير،



وكمال الفكرة وصفاء الشعور ... كما كان أحياناً أخرى يمثل الواقع الحي الملموس والحياة المتدفقة النابضة ... لمن حوله من الناس ... بآلامهم وأحزانهم وفقرهم وتعاستهم ، بدون بهرجة ولا تجميل ولا تطرية ولا تزويق ... الحياة التي يحياها هو معهم ... أو الحياة التي عاشها في السابق ، والتي لا تزال تخط في كيانه أعمق الأثر وأقوى الذكريات والصور والعبر ...

كانت هذه الأحاسيس والأفكار تتعاوره في أعماله : في بعضها مثل سمو الروح والخيال المجنح البعيد ، وفي بعضها الآخر الواقع المحسوس والمادي الملموس ... أطفالا متسربلين بالأسمال الممزقة والأطمار الخلقة ، التي أكل عليها الدهر وشرب ، حفاة أحياناً ، وأحياناً بأحذية ليس فيها من صفات الحذاء شيء ، أصابعهم ناتئة بارزة وأخامص أقدامهم مكشوفة .. أما الصور الأخرى فكانت رائعة حقاً . لقد بلغ الذروة في تمثيل **الطفولة المعذبة** ووصل إلى الغاية المثلى فيما رسم وفيما مثّل .

لقد أعطت ولادة (موريلو) ، بحق ، كل مقومات الفن الكامل ... في الإشراق والصدق والطراوة . واللطافة والإحساس السامي ... مثّل الروح برفعتها وصفائها ، وكان الإخراج في منتهى الروعة والدقة والعلاء .

أما **الألوان والتخطيط** ... فقد برع فيها وتوصل إلى ما يريد من تورية وإضمار ... روح حساسة ونفس شاعرة ويد ماهرة ... وإنتاج غزير وفير ... وساحر خلاب ...

* * *

وتروى هذه القصة عن إحدى لوحاته : فقد رسم لوحة لشخص ، ووضع بجانبه صورة لكلب إسباني معروف ، وتقول القصة : إن أحد الكلاب الحقيقيين ، حينما رأى هذه اللوحة ، هجم عليها وهو ينبح على الكلب المرسوم فيها ... اعتقاداً منه بأنه أحد كلاب فصيلته جاء ليشاركه مكانته ، ومنزلته .

وهذه القصة تذكرنا بقصة يونانية قديمة ، عن لوحة **للرسام [زيوكسيس ـ Zeuxis]** اليوناني . .

وتتحدث : عن أن الرسام زيوكسيس رسم لوحة وكانت واقعية جداً وضع فيها **ولداً يحمل قفة من العنب** وقد اجتهد في اتقان حبات العنب ، حتى بدت لكل من رآها ، أنها عناقيد طبيعية ... وحينما وضع اللوحة بجانب إحدى النوافذ المفتوحة ... جاءت **العصافير** تنقر حبات العنب ... ظناً منها بأنها أعناب صادقة ، على أن الرسام (زيوكسيس) ... حينما شاهد ما عملته العصافير ... أخذ اللوحة وقذف بها بالتنور .. قائلاً : إنني لم أحسن رسم الطفل ، ـ إذ لو كان رسمه متقناً جيداً ... لما اقتربت العصافير من السلة . مخافة مهاجمة الطفل لها !! ـ

والرسام زيوكسيس هو يوناني ... عاش في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد ، ويعد من أشهر الرسامين في العصور الغابرة ...

* * *

وبعد ، **فإن سكان إشبيلية لا يزالون يذكرون للفنان الطيب (موريلو) أريحيته وأعماله .. وإلى الآن فهم يطلقون كلمة (موريلو) على كل جميل وأثير ولطيف من اللوحات ...**

في يوم من الأيام ، وقد شاخ وضعف ، وكان يرسم على جدار في **دير (قادس)** سقط من أعلى (الصقالة) ، ولم يستطع القيام بعدها ... وهذه اللوحة لا تزال في مكانها على الجدار .. لم تتم ...

في الثالث من شهر نيسان (**أبريل**) سنة ١٦٨٢ م ... وبعد وصوله إلى بلده ... توفي ... **ودفن في (أبرشية) المدينة ، في (إشبيلية) .. بلده الحبيب .. ؟**

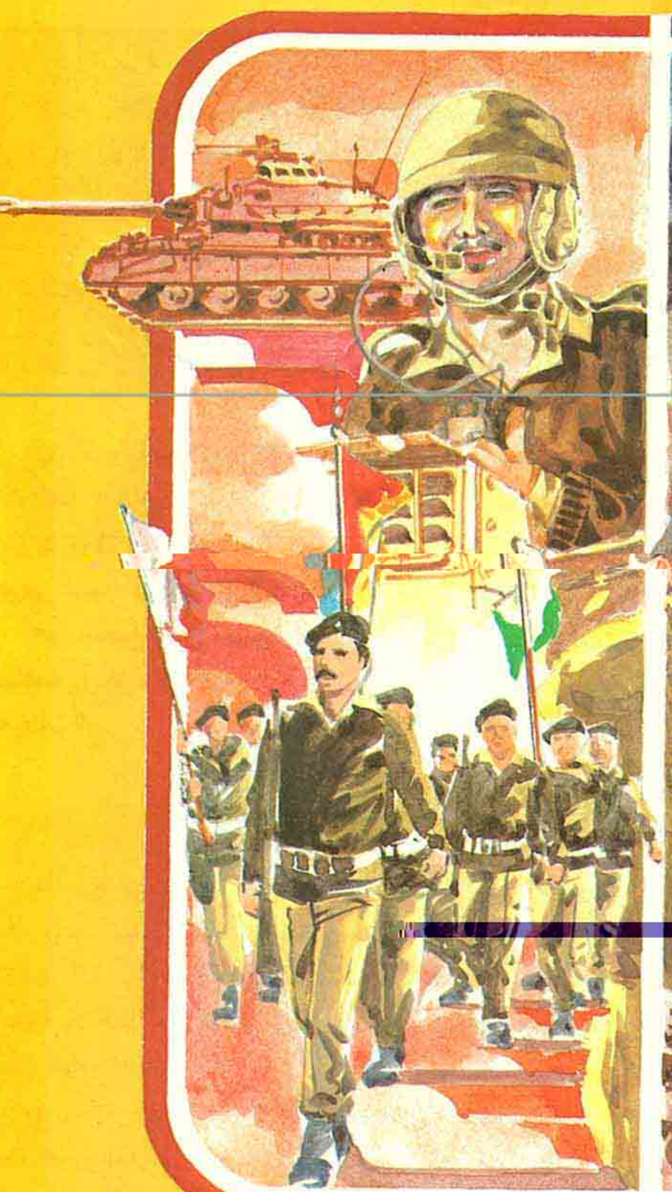
الهوامش

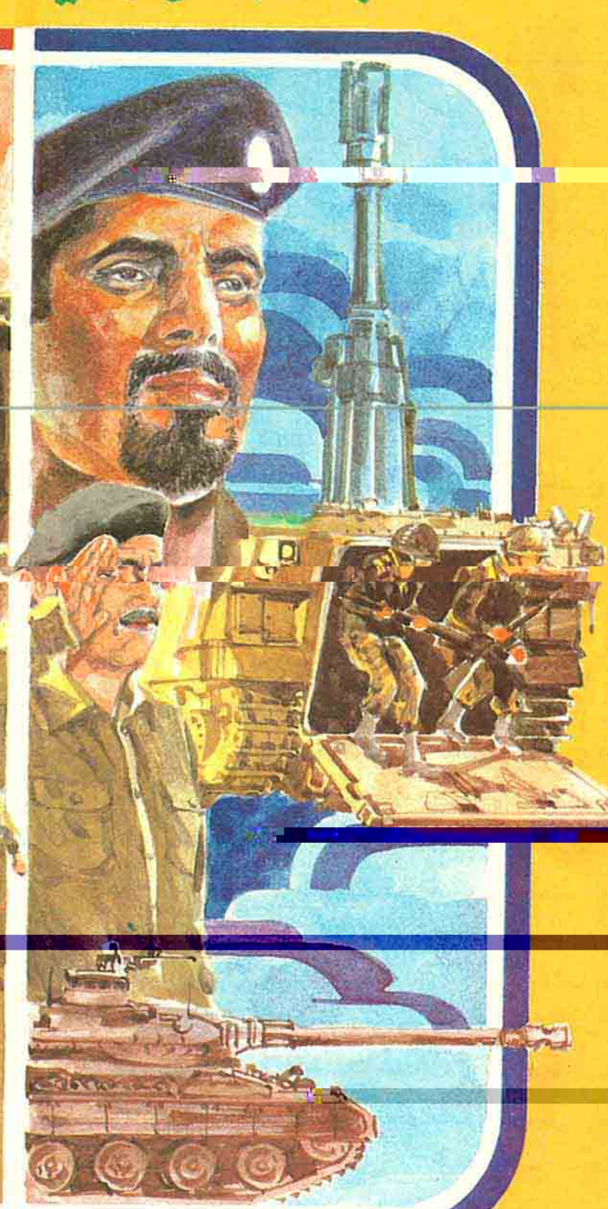
(١) أطلق العرب عليها اسم حمص ـ (معجم البلدان) .

سلاح المدرعات

بالجيش العربي السعودي







في الحرب أسود الوغى وفي السلم قدوة

فسارع للإلتحاق بصفوفه



وللمزيد من المعلومات إتصلوا :

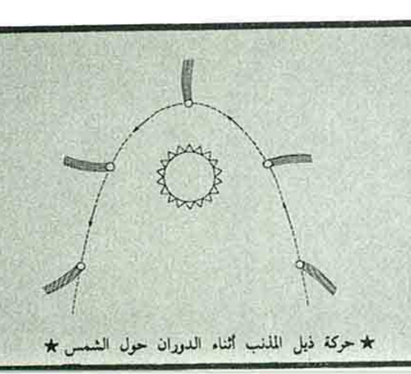
ت : ٤٠٤٢٨٨٢ / ٥٨٢ أو ٤٠٣٠٠٩٣ - الرياض

ريح الشمس

من المعروف أن الشمس كرة من الغازات الملتهبة، تشع في الفضاء المحيط بها كميات هائلة من الطاقة. وهي مصدر الضوء والحرارة الرئيسي لجميع كواكب المجموعة الشمسية بما فيها الأرض التي نعيش عليها.

ضوء الشمس الذهبي هو الذي ساعد النباتات والأشجار على النمو، دفن بعضها منذ ملايين السنين يتحول إلى فحم وغاز ونفط، هي أهم مصادر الطاقة في العصر الحديث.

الحياة على الأرض مدينة باستمرارها ـ بالدرجة الأولى ـ «لاستقرار» درجة الحرارة على سطحها. ولكن هذا لن يتم إلا إذا حافظت الشمس على كمية الطاقة التي تمد الأرض بها دون زيادة أو نقصان.



★ حركة ذيل المذنب أثناء الدوران حول الشمس ★

في الأعوام القليلة الماضية كثر المعترضون على استقرار الشمس الذي تبناه العلماء فترة طويلة من الزمن. فهم متفقون على أن الشمس تتعرض لتغيرات عميقة، وأنها أبعد ما تكون عن الثبات، وأن الأرض لا بد أن تتعرض نتيجة لذلك إلى تحولات عنيفة ربما تنقلب إلى كارثة.

هل صحيح أننا مقبلون على عصر تنقلب فيه أرضنا اليافعة إلى كرة من الثلج؟ أو تصبح قِدْراً هائلاً تغلي فيه المحيطات؟

ماذا يجري على الشمس؟

بدأ تاريخ الشمس ـ كما نعرف ـ قبل حوالي ٦ ـ ٨ مليارات سنة. ولدت الشمس آنذاك من سحابة رقيقة جداً من **الهيدروجين** والغبار، أكبر من حجم المجموعة الشمسية بمئات المرات. بدأت هذه السحابة بالانكماش على نفسها، فصغر حجمها، وبدأت تدور حول نفسها بسرعة كبيرة.

وبمرور الزمن تولدت في مركز هذه الكرة ظروف غير اعتيادية من درجة الحرارة العالية والضغط المرتفع، كانت كافية لدمج نوى الهيدروجين الموجودة في نواة الكرة الكثيفة، مطلقة أثناء ذلك كميات هائلة من الطاقة.

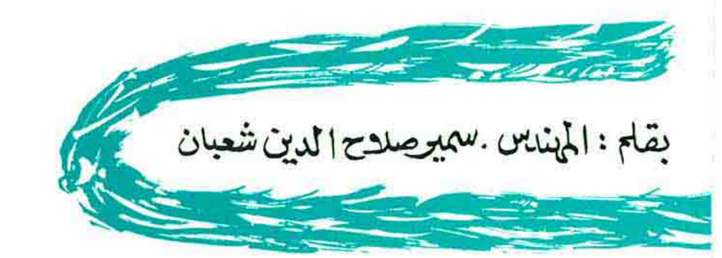
وهنا وقعت الشمس تحت تأثير قوتين متعاكستين: قوة جذب المركز، التي تسعى إلى استمرار الانكماش من جهة، والطاقة الهائلة الناجمة عن اندماج الذرات من جهة أخرى، التي سعت إلى جعل **الغازات** في الشمس تتمدد. ظلت هاتان القوتان تتصارعان حتى «استقرت» الشمس على وضعها الذي نشاهده الآن، منذ حوالي ٤ مليارات سنة، ولولا ذلك لما استمرت الحياة على الأرض، كما أنها ستحافظ على ثباتها مدة ٤ مليارات سنة أخرى بمشيئة الله.

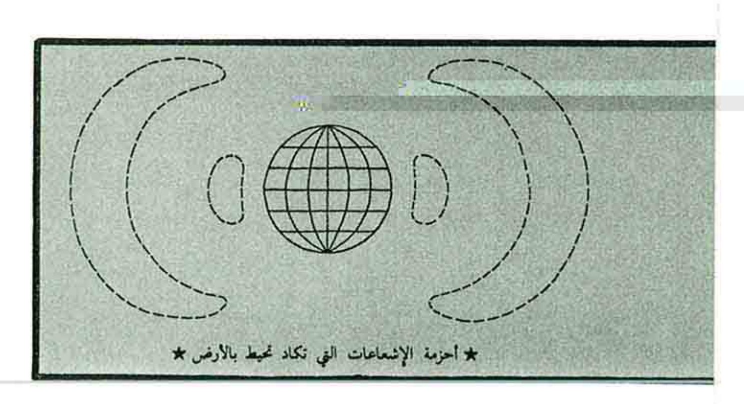
ولكن كيف نعرف ماذا يجري بداخل الشمس، رغم أنه يستحيل علينا «النظر» إلى داخلها، ورؤيتنا لا تتجاوز سطحها؟ تمكن العلماء من معرفة ما يجري في الشمس بدقة كبيرة بفضل استخدام «**الحاسب الإلكتروني**» فكيف يتم ذلك؟

بعض خواص الشمس سهل القياس. فبعد الشمس الوسطي عن الأرض يبلغ بالضبط (١٤٩,٥٦٥,٨٠٠) كيلومتر، ووزنها يعادل (٣٣٠,٠٠٠) مرة من وزن الأرض، وحجمها يعادل (١,٣٠٠,٠٠٠) من الأرض، وكل سنتيمتر مربع من سطحها يشع في كل ثانية طاقة قدرها ١٥٠٠ حريرة. كما تبين أن الشمس تحتوي معظم **العناصر الكيميائية** الموجودة في الأرض لكن معظمها مؤلف من غاز **الهيدروجين** (٧٠ ـ ٨٠ بالمائة) يليه **غاز الهليوم**.

استناداً إلى هذه المشاهدات قام العلماء «بتخمين» ما يجري ضمن الشمس استناداً إلى «النموذج» الذي وضعوه. ثم أجروا حسابات شديدة التعقيد. وفي الختام يقارنون نتائج الحساب ـ عن كمية الطاقة المصدرة مثلاً ـ مع المشاهدات المذكورة. فإن حصل التوافق، كان النموذج صحيحاً، وإلا وجب تعديل النموذج، وإجراء الحسابات من جديد. لكن هذه الطريقة تتطلب توظيف عدد هائل جداً من العلماء فترة تزيد عن عشرين سنة على الأقل. لذا كلف الحاسب الإلكتروني بإجرائها. وقد نجح فعلاً.

وللحاسب الإلكتروني يعود الفضل الأول في معرفتنا بما يجري «داخل» الشمس، وهي مختلفة جداً عن الأوضاع التي اعتدنا عليها على الأرض. يصل ضغط الغازات في مركز الشمس إلى (٢٠٠) مليار طن على السنتيمتر المربع، وتصل درجة الحرارة إلى (١٥) مليون درجة. ولكي نتصور هذه الحرارة فقد حسب **الفلكي الإنكليزي جيمس جينز** أن أخذ قطعة من مركز الشمس بحجم رأس الدبوس قادرة على


بقلم : المهندس . سمير صلاح الدين شعبان


★ أحزمة الإشعاعات التي تكاد تحيط بالأرض ★

قتل شخص ـ على الأرض ـ يبعد عنها (١٥٠) كيلومتراً !!

هذه الحرارة العالية قادرة على « دمج » نوى الهيدروجين إلى هليوم وإطلاق كميات هائلة من الطاقة تفوق حدود التصور . ويحدث ذلك في مركز الشمس الذي يبلغ قطره (٣٥٠,٠٠٠) كم (وهذا يعادل تقريباً المسافة الفاصلة بين الأرض والقمر) .

في مركز الشمس تتحد أربع من نوى الهيدروجين لتشكيل نواة هليوم واحدة . لكن نواة الهليوم أخف من ٤ نوى هيدروجين . هذا الفرق في الكتلة يتحول إلى طاقة . ونتبين عظمة الشمس إذا علمنا أنها تحول في كل ثانية ٦٥٧ مليون طن من الهيدروجين إلى ٦٥٢,٥ مليون طن من الهليوم منذ ٥ مليارات سنة . أي أنها تحول في كل ثانية ٤,٥ ملايين طن من المادة إلى طاقة تصدرها إلى الفضاء المحيط بها .

دلت الحسابات أن كمية الطاقة التي تصدرها الشمس في « ثانية » واحدة ، تزيد عن مجموع الطاقة التي استهلكها الإنسان منذ « فجر التاريخ » حتى الآن !! وأن حرق « جميع » احتياطيات الوقود في العالم من فحم ، ونفط ، وغاز تمتصه الأرض من الشمس خلال « ٣ أيام » فقط !!

ورغم ذلك فمركز الشمس يطبق عليه الظلام الدامس !! لأن الشمس تصدر طاقتها محمولة على إشعاعات نعجز عن رؤيتها مثل **الأشعة السينية** ، و**أشعة غاما** ، التي لو أصابت الإنسان تقتله على الفور . لكن من رأفة الله بنا أن الشمس « تمنع » هذه الإشعاعات من الوصول إلينا أثناء مرورها على طبقات الشمس الأخرى . ويبلغ طول طريقها من المركز إلى السطح الخارجي للشمس (٦٠٠,٠٠٠) كم . وهكذا لا يصل إلى الأرض إلا ما تحتاجه فعلاً : الحرارة والنور . ولكن **كم تستغرق رحلة الطاقة « الوليدة » من المركز إلى السطح ؟**

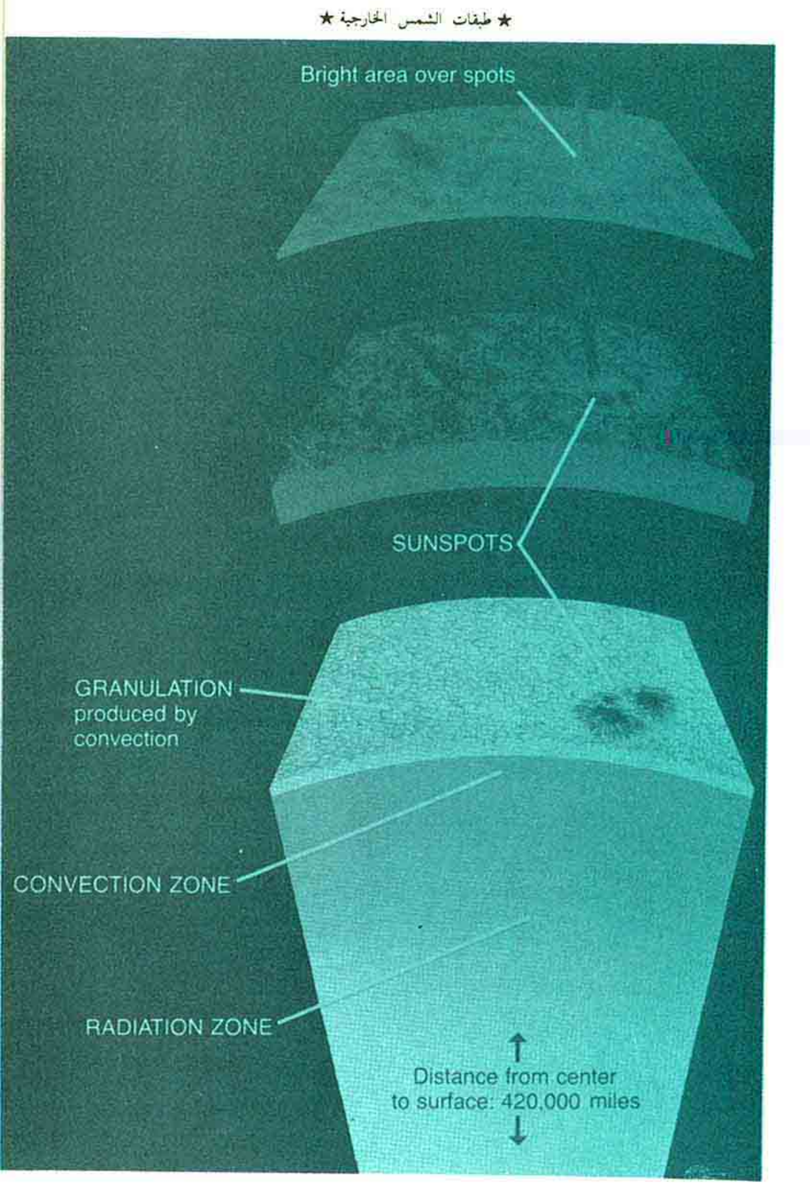
دلت الحسابات الدقيقة أن ما نشاهده على سطح الشمس استغرق (٢٠,٠٠٠) سنة !! من المركز إلى السطح ، لكنه لا يستغرق خلال رحلته من سطح الشمس إلى الأرض إلا حوالي ٨ دقائق . فما نراه الآن من طاقة الشمس ولد أثناء العصر الحجري على الأرض . ولدت هذه الطاقة عنيفة قاسية ، لكن اختراق الحجب الكثيرة حد من عنفوانها ، بحيث جعلها تصل بشكل حرارة وضوء وهذه هي التي تحتاجها الحياة على الأرض .

ماذا عن سطح الشمس ؟

ساعد **المنظار الفلكي** الإنسان على مد نظره إلى أعماق بعيدة في الفضاء . لكنه محدود الاستخدام لمراقبة الشمس ، بسبب نورها الشديد . لذا يتحين الفلكيون فرص **كسوف الشمس** ، كي يراقبوا ما يجري على سطحها ، عند اختفاء ضوئها وراء القمر .

ومع ذلك استخدم **غاليليو** منظاره الفلكي في مراقبة الشمس في الأيام الغائمة وقبل الغروب ، ليشاهد « بقع الشمس » التي تكثر في السنوات التي يزداد فيها نشاط الشمس . وقد لوحظ أن هذه البقع تكثر

★ طبقات الشمس الخارجية ★



بشكل ملحوظ مرة كل ١١ سنة . وفي هذه البقع تكون درجة الحرارة أبرد – نسبياً – عن باقي سطح الشمس .

المراقبة المتوالية للشمس أثناء الكسوف بينت أن الشمس تنفث ألسنة من اللهب تشكل أحياناً قوساً مضيئاً يتجاوز طوله عـدة مئـات آلاف الكيلومترات ، كما تحيط بالشمس **« هالة مضيئة »** (CORONA) تختلف سماكتها حسب نشاط الشمس .

لكن السؤال الذي حير الفلكيين هو : ما دامت الشمس تطلق كل هذه الإشعاعات ، ألا تصدر أيضاً قسماً من الإلكترونات والنوى (الجسيمات) الموجودة بداخلها ؟

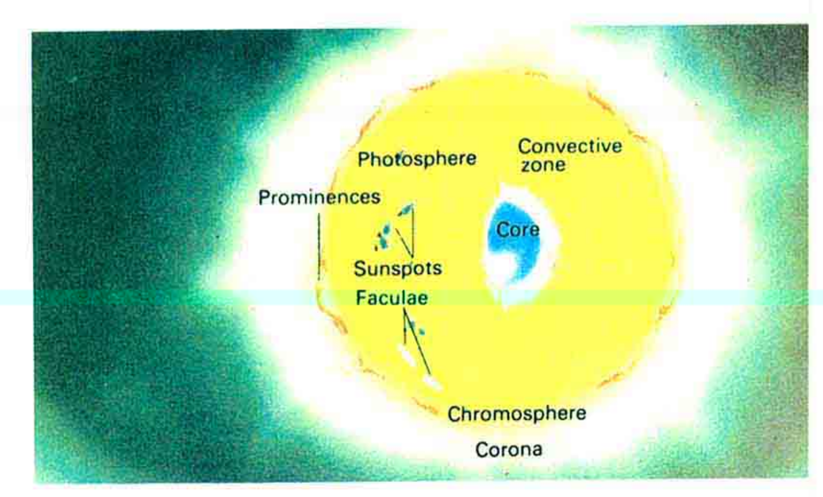
المذنبـات

كان هذا التساؤل يثور كلما اقترب أحد المذنبات التـابعة لأسرتنـا الشمسية من الأرض .

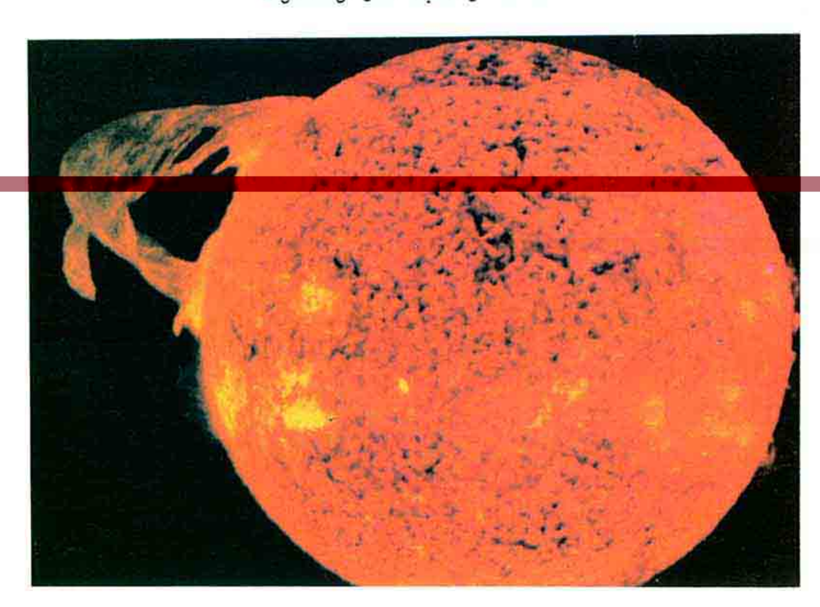
كان ظهور المذنبات وشكلها الغريب مـدعاة قلـق الأقـدمين ودليـل شؤم . لكنها في حقيقة الأمر أجرام سماوية بـاردة صـغيرة نسـبياً يـتراوح قطرها بين عدة مئات وعدة آلاف الـكيلومترات ، تـدور حـول الشمس

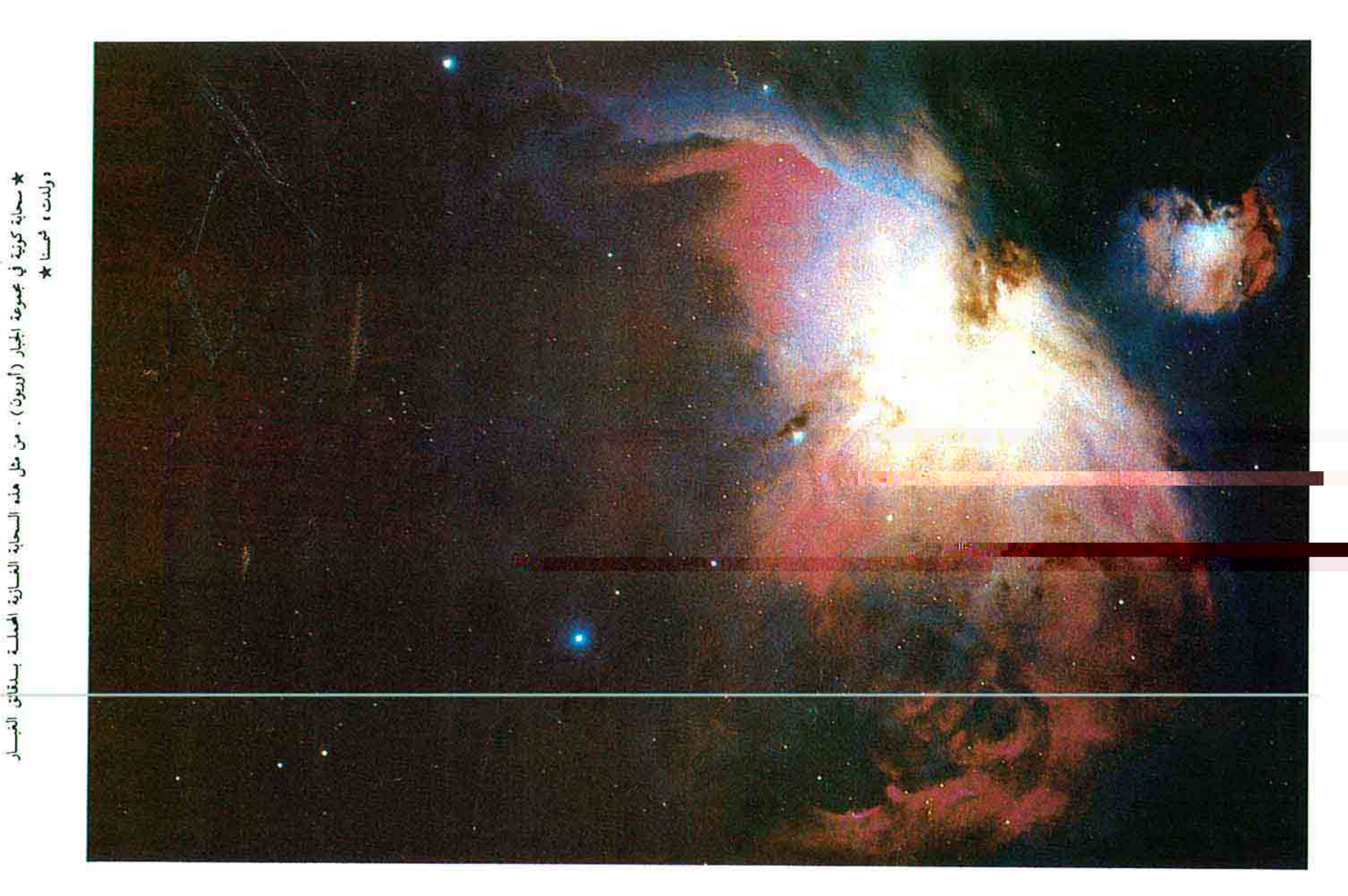
★ دوران المذنب حول الشمس ★

★ مقطع في الشمس ★



★ ألسنة من الجسيمات تنطلق من الشمس ★





★ سحابة كونية في مجموعة الجبار (أوريون) . من مثل هذه السحابة الغازية المحملة بدقائق الغبار «ولدت» شمسنا ★

بمدارات كبيرة جداً . ويستغرق بعضها عدة آلاف من السنين حتى يتم دورة واحدة فقط حول الشمس . ويبتعد بعضها عن الشمس مسافة تقدر بـ ٣ سنوات ضوئية ، ورغم ذلك تخضع لقوة جذب الشمس .

وحيث إن هذه الأجرام باردة ، لذا تبقى محتجبة عن الأنظار حتى تقترب من الشمس ، فتبرز فجأة بمظهرها المتميز الذي أخاف الأقدمين . تقوم الشمس بتسخين المذنب فتحرر بعض الغازات الموجودة فيه (مثل الأزوت وأول أكسيد الكربون) ، فتنطلق مبتعدة عنه بسرعة تصل إلى ألف كيلومتر في الثانية . ثم ما تلبث أن تبدأ بإصدار النور تحت تأثير أشعة الشمس . وبهذه الطريقة العجيبة ينشأ «ذنب» هذا الجرم السماوي ، الذي يشاهد فقط عندما يقترب المذنب من الشمس ، والذي يبلغ طوله أحياناً ١٠٠ ــ ٢٠٠ مليون كيلومتر .

لكن ما لفت نظر العلماء كذلك أن «الذنب» كان يتجه دوماً مبتعداً عن الشمس ، وكأنه يريد أن يهرب منها (**انظر الشكل**) . عندما يقترب المذنب من الشمس فإنه يجر ذيله وراءه . ولكن ما إن يبدأ بالابتعاد عن الشمس ، حتى نراه وكأنه «يدفع» ذيله أمامه .

كانت هذه المشاهدة ــ منذ القدم ــ مدعاة لافتراض وجود «قوة ما» تصدر عن الشمس ، تدفع ذيل المذنب بعيداً عنها . فسر بعضهم هذا الدفع بأنه ناتج عن تدفق نور الشمس الذي يقوم بإبعاد هذا الذيل «الخفيف» . وقد كان ذلك تفسيراً مقبولا ، لولا أن علماء آخرين ادعوا أن الدفع يتم بواسطة «**جسيمات ذرية مشحونة**» مثل الإلكترونات والبروتونات .

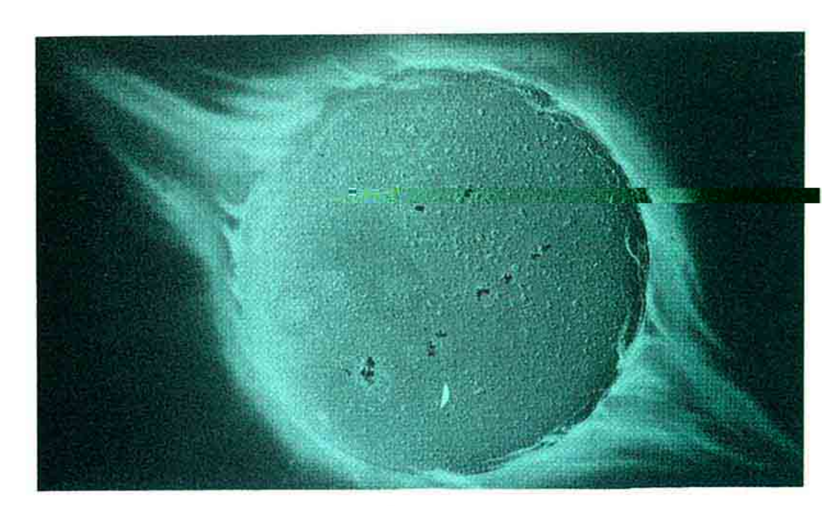
تضارب آراء العلماء هو الذي دفعهم في العقود القليلة الماضية إلى البحث عن دليل جديد يقطعون به الشك باليقين .

الأنوار القطبية

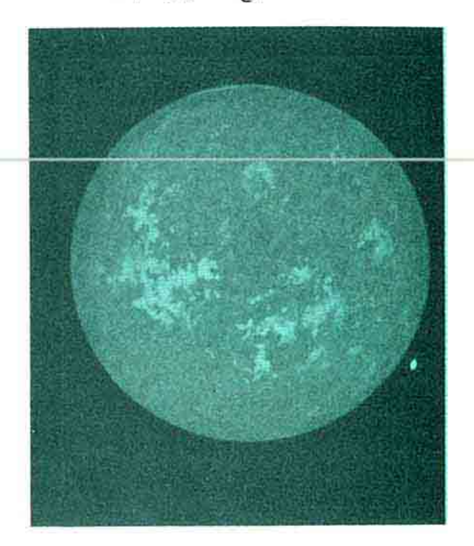
شاهد كثير من بحارة المناطق القطبية أضواء جميلة تشبه الأسهم النارية التي تطلق في الاحتفالات الحديثة . تظهر هذه الأضواء في جو الأرض على ارتفاع يزيد عن ٨٠ كم فوق كل من القطبين الشمالي والجنوبي . ظن العلماء أن الأمر يرتبط بمغناطيسية الأرض القوية عند القطب الشمالي . فربما وجدت في الجو جسيمات ذات شحنة كهربائية تتبادل التأثير مع المغناطيس القوي مما يؤدي إلى إصدار الضوء . وقد تأكد بعض العلماء أن هذه الجسيمات مصدرها الشمس ، عندما شاهدوا أن الأنوار القطبية تكون أكثر إنارة عندما يكون النشاط الشمسي قد ازداد قبل عدة أيام . وقد دلتهم كثرة بقع الشمس الفجائية على زيادة نشاط الشمس .

ومنذ عام ١٨٩٦ م ، وضع **الفيزيائي النرويجي بيركلاند** نظرية يفسر فيها الأنوار القطبية على أنها ناتجة عن إصدار الشمس «لإشعاعات جسيمية» مشحونة تشابه «الريح» . لكن سوية العلوم في ذلك الحين لم تسمح بتأييد النظرية أو دحضها . لذا بقيت حبراً على ورق . . حتى حين .

لم تتغير الأوضاع إلا بعد مرور ٦٠ سنة ، عندما بدأت **الأقمار الصناعية** بدراسة جو الأرض عن كثب . وقد بدأت هذه الدراسات في



★ بقع الشمس والسنتها ★



★ صورة للشمس التقطها مطياف الضوء ★

ثالث قمر صناعي يطلق من الأرض . فبعد إطلاق قمري **سبوتنيك (١) و سبوتنيك (٢)** السوفياتيين ، تم **إطلاق القمر الأمريكي الأول اكسبلورر (١)** وفيه عداد لتحديد كمية الجسيمات المشحونة في جو الأرض ، لا يدري أحد كيف وافقت **لجنة الفضاء الأمريكية** على حمله على القمر الصناعي الذي لم يتجاوز وزن تجهيزاته الإجمالي

١٣,٩ كغ ، وكان كل جهاز يستغرق ساعات طويلة من المناقشة لبيان إمكانية حمله على ظهر القمر الصناعي . لكن في موعد الإطلاق في الأول من شباط (فبراير) ١٩٥٨ م ، كان عداد الشحنات يجوب حول الأرض محولا مُقْترحه (**ڤان ألين** Van Allen) من شخص مغمور إلى عالم مشهور .

ظل الجهاز يعمل بصورة اعتيادية . وفجأة ــ على ارتفاع ألف متر ــ توقف الجهاز عن إرسال أية معلومات وكأنه قد تعطل . وهنا لمعت في ذهن **ڤان ألين** فكرة رائعة ، فربما حمل الجهاز فوق الطاقة التي أعد لها ، لذا لا بد من إرسال جهاز أكبر قادر على إحصاء عدد أكبر من الجسيمات المشحونة .

وبالفعل حُمِّل **قمر اكسبلورر (٣)** مثل هذا الجهاز . وقد أعلن الجهاز عن بدء منطقة تعج بالجسيمات المشحونة والإشعاعات المميتة على ارتفاع ١٠٠٠ متر من سطح الأرض . وقد دلت الدراسات التي أجرتها الأقمار الصناعية التالية أن الجسيمات المشحونة والإشعاعات كانت تشكل

« حزاماً » يحيط بالأرض تقريباً ، عند خط الاستواء ، وأن أقسى الإشعاعات كانت موجودة على ارتفاع حوالي (٥,٠٠٠) كم . وبعد هذا الارتفاع انخفضت شدة الإشعاع ، لترتفع مرة أخرى على ارتفاع كبير يقدر

بـ (٢٠,٠٠٠) كم . لكن هذا الحزام عريض جداً ويكاد يحيط بالأرض من جميع أطرافها ، باستثناء « فجوتين » موجودتين فوق القطبين الشمالي والجنوبي . وتحمل هذه « الأحزمة » اسم العالم الذي اقترح دراستها بالأقمار الصناعية وهو ڤان ألين (**انظر الشكل**) .

حطم اكتشاف هذه الأحزمة النظرة السابقة إلى « الفراغ » الذي يفصل الأجرام السماوية ، الذي كان يعتقد أنه « خال » تماماً . وقد دلت الدراسة الدقيقة أن الحزام الخارجي ــ الكبير ــ يتكون من جسيمات مشحونة بكهرباء سالبة هي الإلكترونات ، بينما يتكون الداخلي ــ الصغير ــ من البروتونات الموجبة بالإضافة إلى بعض نوى الهليوم .

من أين أتت هذه الجسيمات المشحونة التي تتحرك فوق رؤوسنا بسرعات كبيرة ؟ المصدر الوحيد الذي يمكن أن نتصوره هو الشمس . وألقي على عاتق الأقمار الصناعية أن تثبت أن هذه الجسيمات انتقلت إلينا من الشمس من ناحية ، وأن تثبت من ناحية أخرى أن هذه الجسيمات تولدت ضمن الشمس ، ولم تأت إلى سماء الأرض من مصادر أخرى . وقد أثبتت المركبات الفضائية ، وعلى رأسها **مركبات لونيك (١) و لونيك (٢)** السوفياتية ، **مارينر (٢) و اكسبلورر (١٠)** الأميركية ، أن « **ريح الشمس** » الذي تحدث عنه الفيزيائيون مراراً وتكراراً موجود فعلاً .

وهكذا توصل العلماء إلى صورة إجمالية : فالشمس لا تصدر إشعاعات حرارية وضوئية فحسب ، بل تطلق جسيمات مشحونة وأخرى غير مشحونة في جميع الاتجاهات . وقد بينت القياسات التي أجرتها المركبات الفضائية أن الشمس تفقد في الثانية ما يزيد عن مليون طن بشكل جسيمات .

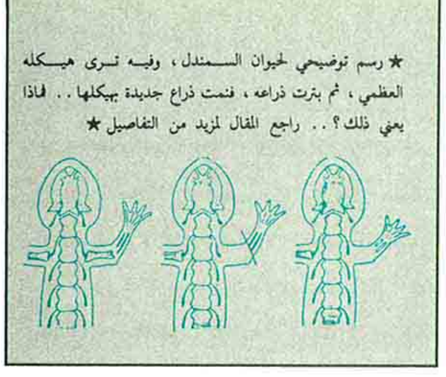
الريح المكونة من هذه الجسيمات المادية السريعة قادرة طبعاً على دفع ذيل المذنب بعيداً عن الشمس .

ورغم أن هذه الريح « رقيقة » غير قادرة على إحداث أضرار واضحة على الأرض ، لكنها تمكنت من « العصف » بنظريات الفلكيين عن « ثبات » الشمس واستقرارها . فكيف تسنى لها ذلك ؟

هذا ما سنستعرضه في حديث آخر ، إن شاء الله .

التجدد سمة من سمات الحياة .. أو هو شريعة أو سنَّة من سنن الله ! فالمخلوقات جميعاً تجدد نفسها ، ليصبح الاستمرار صفة الأنواع لا الأفراد .. فالفرد زائل ، لكن النوع باق !

ونحن نلحظ ذلك في الإنسان والنبات والحيوان .. فنحن نولد وننمو ونهرم ونموت ، ومع ذلك نرى الحياة مستمرة ، لأن الجديد يعوض القديم ، وهكذا تروح أجيال ، وعلى أنقاضها تجيء أجيال أخرى أكثر تجدداً وحيوية ونشاطاً ، ثم تخبو فيها شعلة الحياة بمرور الزمن ، فتخلفها ذرية من وراء ذرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .



★ رسم توضيحي لحيوان السمندل ، وفيه نرى هيكله العظمي ، ثم بترت ذراعه ، فنمت ذراع جديدة بهيكلها .. فماذا يعني ذلك ؟ .. راجع المقال لمزيد من التفاصيل ★

ناموس كوني ... جوهره التجدُّد

بقلم : د. عبدالمحسن صالح

وكما يتجدد النوع من خلال التزاوج بين الأفراد ، كذلك يجدد الجسم ذاته ، ويعوض ما يفقد من خلاياه وأنسجته ، لكن التجدد أو التعويض هنا محدود بزمن ، إذ لو استمر بمعدله الذي بدأ به الجسم حياته ، لاستمر الشباب هادراً قوياً في داخل أجسامنا وأجسام الحيوان ، لكن ذلك لم يكن مقدراً منذ أن بدأ الله الخلق على الأرض .. ﴿ **نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين** ﴾ (سورة الواقعة ، الآية ٦٠) .. ﴿ **كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون** ﴾ (سورة العنكبوت ، الآية ٥٧) .. وفي الموت حكمة كبرى ، إذ لولاه لما كان للحياة معنى ، ولأصبح كل شيء راكداً آسناً .. أي لا تغير فيه ولا تجدد ، لكن ذلك موضوع آخر ، ولنعد إلى أنفسنا ، لنعرف كيف تعوض أجسامنا ما يفقد منها ، حتى يمكن أن تستمر حياتها كما يشاء الله لها .

لكن قبل أن نبدأ موضوعنا ، كان لزاماً علينا أن نشير إلى أن حياة الإنسان تسير على نفس الأسس والمبادئ التي تسير عليها الكائنات الأخرى الأقل منه شأناً وتكويناً .. ونعني بها الحيوانات الثديية ، لكن الأمر يختلف في الحيوانات الدنيا أو البسيطة التكوين ، فنحن مثلاً لا نستطيع أن نعوض الذراع المبتورة ، أو الساق المقطوعة ، أو حتى الأصبع ، أو عقلة من الأصبع لكن الحيوانات البدائية تستطيع ذلك .. صحيح أنها لا تمتلك أطرافاً ولا أنوفاً ولا آذاناً ولا رقاباً .. إلخ ، فأجسامها بسيطة التكوين ، فإذا فقدت السحلية ذيلها ، أو السرطان البحري مخلبه أو ساقه ، أو القوقع رأسها .. إلخ ، لكان في مقدور هذه الكائنات أن تعوض الجزء المبتور ، أو قد نبتر الحيوان البسيط إلى أجزاء (كما في بعض أنواع الديدان والحيوانات الرخوية والهيدرا) ، وعندئذ ينمو كل جزء ليصبح كائناً سوياً ، ومثل هذه الأمور المثيرة قد تعرضنا لها في دراسة سابقة على صفحات هذه المجلة .. وطبيعي أنها لا يمكن أن تحدث في إنسان أو فأر أو حصان .. فلو أننا بترنا الفأر إلى نصفين ، فلا بد أن يموت ، ولا يستطيع مطلقاً أن يعوض النصف المبتور ، ويكمله بنصف آخر ليصبح فأراً سوياً ، لكن بعض الكائنات البسيطة تفعل ذلك ، حتى ولو قطعناها إرباً إرباً !

خلايا الإنسان وعملية التعويض

لكن التعويض أو التجديد يتخذ في أجسامنا نغمة أخرى .. **فجسم الإنسان يتكون من مائة مليون مليون خلية** (١٠٠ تريليون) .. لكن بعض هذه الخلايا لا تعمر في داخلنا نفس السنين التي نعيشها ، بل تموت كل يوم بعشرات ومئات الملايين ، ولو استمرت هذه العملية دون تجدد أو تعويض ، فقل على حياتنا السلام !

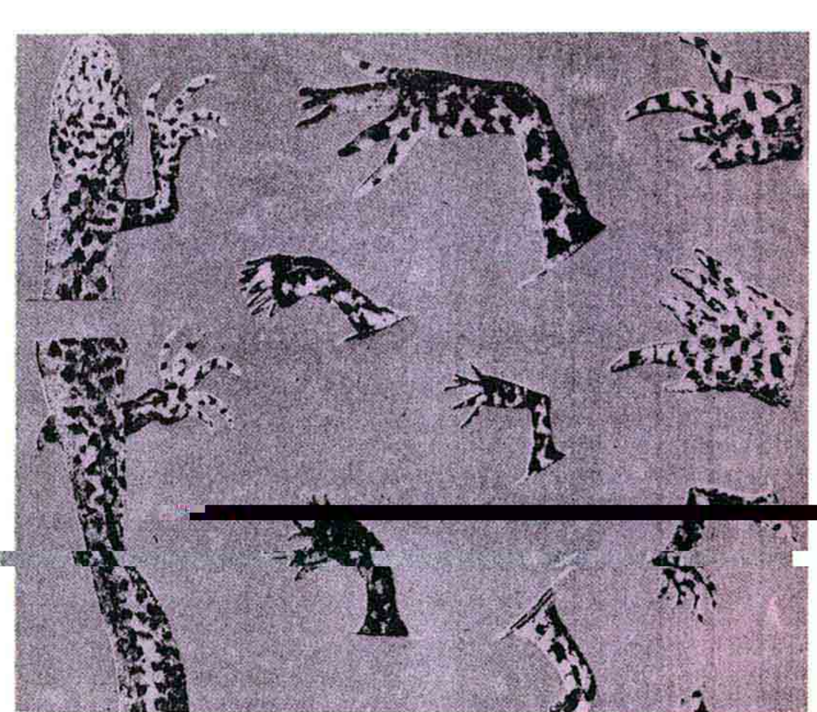
ولكي نوضح ، دعنا نتعرض **للدم** ، أو ذلك الينبوع المتدفق بالحياة ، الذي يزخر بمكونات لا نستطيع لها حصراً .. صحيح أننا نراه بعيوننا كسائل أحمر ، لكن العين لا ترينا الحقيقة كاملة ، إذ لو رأتها كما يراها الميكروسكوب مثلاً ، لتطلعنا إلى عوالم غريبة أشد الغرابة ، ولاكتشفنا في الدم جيوشاً ضخمة من خلايا لها رسالتها في الحياة ، والحديث في هذا الموضوع قد يتشعب ويطول ، وليس له هنا مجال ، لكن يكفي أن نقول إن عدد خلايا الدم الحمراء (**كرات الدم**) في الإنسان البالغ تصل في المتوسط إلى حوالي ٢٠ مليون مليون خلية ، إلا أن هذه الخلايا لا تعمر لأكثر من أربعة أشهر لا غير ، أي أن ما يموت منها في كل ثانية تمر من أعمارنا يصل إلى ٢٠ مليون خلية ، ومع ذلك فالحياة بنا تسير ، بفضل التجدد والتعويض ، أي أن ما يموت يعوض باستمرار ،

وبهذا تبق نسبة خلايا الدم ثابتة ، والذي يجدد ذلك هو **نخاع العظام** ، ولا بد أن يسري التعويض بحساب ومقدار !

« والأموات » من كرات الدم الحمراء لا بد أن تختفي من الميدان ، والذي « يدفنها » أو يخفيها نوع آخر من الخلايا المعروفة باسم **الخلايا الملتهمة** (Phagocytes) .. وهذه تستطيع التمييز بين ما هو حي ، وما هو ميت ، أو بين ما هو سليم وبين ما أصابه البلى والتمزق ، فأما الحي فتتركه ، وأما الميت تلتهمه أو تدفنه في جوفها .. أي أنها بمثابة « مقابر » حية موجودة أساساً في **الكبد والطحال** ، لكن هذه المقابر لا تتكدس بما تلتهمه من « جثث » ، بل تحللها إلى مركبات مختلفة ، ثم تعيدها إلى الدماء ، ليبنيها الجسم من جديد .. مثلها في ذلك كمثل الكائنات الحية على الأرض ، فمآلها بعد الموت التراب ، وفيه تتحلل ، لتستفيد بها جذور النبات ، لتبني حياتها على أنقاض غيرها ، ثم يأكل الإنسان والحيوان إنتاج النبات ، والكل يعيش ، ثم لا بد أن يموت ، فيعود إلى التراب ، فيستفيد به النبات ، وهكذا تتكرر الدورة على الأرض ، كما تتكرر داخل أجسامنا .. مع الاختلاف طبعاً بين حياة وحياة ، لكنها تتساوى في النهاية .. أي موت فتحلل على مستوى الجزيء أو الخلية أو المخلوق .

وفي الدم أيضاً توجد أنواع أخرى من خلايا دموية تعرف باسم **كرات الدم البيضاء** ، ولا يهمنا أن نتحدث هنا عن أنواعها ووظائفها بقدر ما يهمنا أن نذكر أنها تعيش وتموت ، لكنها ليست طويلة العمر **ككرات الدم الحمراء** ، بل تعيش فقط لبضعة أيام تعد على أصابع اليدين ، وما يموت منها يتجدد عن طريق نخاع العظام ، وبهذا يحتفظ الجسم الحي « بقواته » الدفاعية ثابتة ، ذلك أن **كرات الدم البيضاء تمثل خط الدفاع الثاني ضد غزو الميكروبات ، أو التخلص**

★ أطراف غريبة لحيوان السمندل الذي أجريت عليه تجارب كثيرة لدراسة تعويض الأطراف المبتورة ، وعندما نمت هذه الأطراف ، تمخضت عن أصابع من كل شكل وحجم وعدد ونوع ★



من أي مادة أو بروتين أو نسيج غريب قد يدخل إلى الجسم ، ولهذا يزيد عدد « القوات الضاربة » - أي كرات الدم البيضاء - عند حدوث غزو ميكروبي أو أي « دنس » خارجي يتعرض له البناء الداخلي ، فإذا زال الخطر ، حددت القوات عددها ، لتصبح ثمانية ملايين كرة بيضاء في كل سنتيمتر مكعب من الدم .. قارن ذلك بعدد كرات الدم الحمراء ، ففي كل سنتيمتر مكعب يوجد حوالي خمسة آلاف مليون كرة دم حمراء !

ولا شك أن بشرتنا تتعرض دائماً للاحتكاك المستمر (من جراء الاستحمام والملابس وتناول الأشياء بأيدينا ... إلخ) ، فتزول منها عشرات الملايين من الخلايا السطحية الميتة كل يوم ، فإذا زالت ، حلت محلها طبقات أخرى لتعوض المفقود ، والذي يعوضها خلايا حية تنقسم باستمرار ، وتتخذ لها موقعاً محدداً في جلودنا ، ولو لم يحدث ذلك ، لتعرى البناء الحي ، فيكون نهباً للميكروبات ، ثم ما يتبع ذلك من تقرحات لا تستقيم معها الحياة !

وفي حالات الحروق والجروح تحدث تعبئة عامة من خلايا الدم وخلايا الجلد لتنقذ ما يمكن إنقاذه ، والأحداث التي تجري في الخفاء تشبه المعجزة ، لكننا لن نتعرض لها هنا ، لأنها تحتاج لصفحات وصفحات ، لكن النتيجة الحتمية والملحوظة أن الجلد المحروق يرمم نفسه ، والجروح تلتئم ، وكأنها لم تكن ، ولكن لكل شيء هنا أيضاً حدوداً ، فقد تكون الحروق والجروح أفدح وأعظم من كفاءة الجسم في الترميم والتعويض ، وقد يتدخل الطب في الأمر ، ليساعد الجسم على تخطي المحن ، فإن نجح ، كانت الحياة ، وإن فشل ، تهاوى الكائن الحي إلى الموت !

يضاف إلى ذلك التجدد الذي يحدث باستمرار في الخلايا المبطنة للأنف والفم والحنجرة والبلعوم والمريء والجهاز الهضمي والفتحات التناسلية ... إلخ ، وأحياناً ما تسمى هذه الخلايا **بالخلايا الطلائية** ، لأنها بمثابة الطلاء الذي ندهن به منشئاتنا وأدواتنا ليحفظها أطول فترة ممكنة ، ولا شك أن الطلاء يزول بعوامل التعرية الطبيعية فنعوضه بطلاء جديد ، وكذلك تزول الخلايا الطلائية نتيجة لأنشطتها الوظيفية .. ويحل محلها عشرات الملايين من الخلايا الجديدة كل يوم ! ..

ولا شك أن كسور العظام ثم التئامها بعد وقت قد يطول أو يقصر (يتوقف هذا على عمر الإنسان ، فهي تلتئم أسرع في الأطفال والصبيان ، عنها في البالغين ، وأبطأ ما يمكن في العجائز) . لا شك أن هذه العملية توقظ الخلايا العظمية من سباتها ، وكأنما هي تتحول إلى خلايا جنينية ، وعندئذ تنقسم ثم تنقسم من ناحيتي الشرخ أو الكسر ، إلى أن تتقابل وتلتحم ، ويعود المكسور إلى إنسان سليم تماماً !



★ ★ ★

تلك إذن نبذ مختصرة عن التجدد أو التعويض الذي يتم في أجسامنا وأجسام الحيوانات الثديية الأخرى ، ومع ذلك فلا يزال السؤال الحائر الذي يطرأ دائماً على الخاطر قائماً : **إذا كان التعويض في بعض**

الأنسجة سائراً في أجسامنا ، فلماذا يتوقف هذا التعويض عند تلك الحدود ، ولا يتخطاها في ساق مبتورة أو ذراع مقطوعة ، أو أنف مجدوع .. إلخ ؟

السمندل المائي

قبل أن نجيب على هذا السؤال الكبير ، دعنا نقدم وصفاً مختصراً لحالة **السمندل المائي** الذي بترت ساقاه أو ذراعاه ، استطاع الحيوان أن يعوضها ، فتتكون له ساقان أو ذراعان جديدان .

تبدأ سلسلة الأحداث بنمو الجلد فوق الطرف المبتور ، ويغطيه تماماً ، وهذا ما يحدث في إنسان بترت أصابعه أو يده أو ذراعه أو ساقه ، فتتكون جدعة من الجلد فوق الجزء المقطوع ، ويتوقف الأمر عند هذه الحدود ، لكن السمندل المائي ــ وهو حيوان فقاري ذو هيكل عظمي ــ

يتخطى هذه الحدود ، إذ تبدأ خلايا جديدة في الانقسام والتكاثر تحت خلايا الجلد المكنونة فوق الجزء المبتور ، وكأنما هذه الخلايا الجديدة تشبه نمواً سرطانياً غير مميز إلى أنسجة ، ويتوقف هذا النمو بعد أيام ، وفي حوالي اليوم العاشر بعد البتر ، يتمخض هذا النمو الخلوي عن بداية تشبه البرعم ، ويستمر البرعم في النمو والاستطالة ، وتتميز خلاياه إلى عظام وعضلات وأعصاب وأوعية دموية . . . إلخ ، وبعد ثلاثة أو أربعة أسابيع تبدأ معالم الساق تتضح ، وتتكون المفاصل والعظام والأصابع ، وتعود كما كانت .

لكن هذا الوصف المبسط وضع العلماء في حيص بيص ، وبرزت أمامهم أسئلة حائرة لم تحظ بجواب شاف .. فما الذي داس على « الزناد » ، لتنطلق قذيفة الانقسام والتكاثر لتؤدي إلى ساق أو ذراع جديدة بدل المبتورة ؟ . . **وما الذي يجعل السمندل يعوض ، والحيوانات الراقية لا تعوض ؟ .. ولماذا تختفي عملية التعويض في بعض الحيوانات البالغة مثل الضفدع ، لكنها تشتغل فيها وهي لا زالت في أطوار النمو الأولى ؟ .. وهل من الممكن كشف السر في توقف مثل هذه الحيوانات عن التعويض ؟ . . . إلخ .**

الواقع أن جزءً صغيراً من الحقيقة قد عرف منذ أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، ففي عام ١٨٢٣ م ، قام **عالم إنجليزي يدعى توريدي تود** ببتر ساق السمندل ، ثم قطع العصب الموصل إلى الجدعة (أي الجزء الملتئم بعد البتر) ، فلم تتكون ساق جديدة ، وتوقف (تود) عند هذه الحدود ، وافترض أن **العصب** ربما كان العامل المؤثر وراء تكوين الطرف المبتور !

ويمر قرن كامل من الزمان ، إلى أن يجيء **علماء القرن العشرين** ، ويؤكدون أن ما توصل إليه (تود) كان صحيحاً ، ويضيفون إلى اكتشافه المثير حقيقة أخرى ، فلو أن العصب قد ترك بعض الوقت إلى أن يبدأ التكاثر ، ثم قطع بعد ذلك ، فإن التكاثر يتوقف عند هذه الحدود ، أو لو أن العصب قد ترك دون بتر ، ثم عومل بمادة كيميائية تشله عن العمل ، فإن الجزء المبتور لا يعوض !

تجربة سنجر

وتتوقف البحوث مرة أخرى عند هذه الحدود ، إلى أن يجيء **الدكتور ماركوس سنجر من جامعة كورنل الأميريكية** ، ويطرح السؤال الذي طرحناه قبل ذلك ، **أي لماذا تعوض صغار الضفادع أطرافها المبتورة ، في حين أن الضفادع البالغة لا تستطيع ؟** . .

ويجيب على ذلك إجابة مؤسسة على تفكير قويم : ربما يحدث التعويض نتيجة لوجود أعصاب كافية لبدء العملية من أساسها ، لكن عدد هذه الأعصاب يقل تدريجياً ، كلما تقدم الحيوان في النمو إلى أن يصل إلى مرحلة البلوغ ، وعندئذ لا تكفي الأعصاب « المخففة » لاطلاق القذيفة للتكاثر ثم التميز إلى أنسجة مختلفة .

لكن الكلام شيء ، والتدليل عليه شيء آخر ، ولهذا كانت التجربة العلمية هي الحد الفاصل بين الغث والسمين ، أو بين التفكير المعوج ، والتفكير السليم ، ومن أجل هذا قام سنجر بتصميم تجربة ذكية ، وفيها بتر الساق الأمامية لضفدع بالغ ، ثم قام بتشريح الساق الخلفية ، ليكشف عن العصب الذي ينتشر فيها ، واستطاع بمهارة ودقة بالغتين أن يسحب عصب الساق الخلفية من خلال جسم الضفدع ، ويمون به جدعة الساق الأمامية المبتورة . . أي كأنما هو قد أمد الجزء المبتور بأعصاب زائدة ، وربما تؤدي هذه الزيادة (أو التركيز العصبي) إلى اطلاق شرارة الانقسام في الجدعة ، وانتظر على مضض أسبوعاً من وراء أسبوع ، وبالفعل تكونت ساق جديدة بدل الساق المبتورة في الضفدع البالغ . . صحيح أنها كانت مشوهة بعض الشيء ، لكن من السهل تمييزها . . أي أن استنتاجاته من الوقائع أو المقدمات كانت صحيحة ، وهذا يعني ببساطة أن الإنسان قد تحكم ــ إلى حد ما ــ في التعويض الذي خبت شعلته بالبلوغ . . تحكم فيه على مستوى الضفدع ليس إلا .

★ ★ ★

لكن .. ماذا تفعل الألياف العصبية بالضبط في الخلايا غير المميزة ، لتصبح متميزة في عظام وعضلات وما شابه ذلك ؟

لا أحد يعرف يقيناً .. فربما كان التأثير الناتج من جراء مواد كيميائية خاصة أو ربما من تيارات كهربية ضعيفة للغاية ، لكنها فعالة . . وكلا التأثيرين قد ينتجان من الأعصاب .

تجربة على الفئران

لماذا لا يبحث العلماء إذن هذا الأمر الذي قد يؤدي إلى نتيجة . . أية نتيجة ؟

الواقع أنهم فعلوها . . ليس هذه المرة مع ضفدع ، ولكن مع حيوان ثديي أرق هو **الفأر** . . وبدأت التجارب ببتر أذرع عدد من الفئران ، ثم قسموها إلى أربع مجموعات . . المجموعة الأولى تركت دون معاملة بقصد المقارنة ، في حين تلقت المجموعات الثلاث الأخرى تيارات كهربية مختلفة الشدة . . فمجموعة منها تلقت تيارات ضعيفة للغاية ، في حين تلقت المجموعة الثانية تيارات متوسطة ، والثالثة تيارات قوية نسبياً ، وذلك من خلال زرع أقطاع كهربية مناسبة في المناطق التي حدث فيها البتر . . فأما التي لم تعامل بالتيارات الكهربية ، أو التي عوملت بتيارات ضعيفة للغاية ، فقد بقيت أذرعها المبتورة على حالها دون نمو يذكر ، في حين أن التيارات الكهربية القوية نسبياً قد دمرت العظام الموجودة عند الجزء المبتور . . أي أنها أتت بنتيجة عكسية ، لكن الأمر قد اختلف مع التيارات الكهربية المتوسطة ، فعندما تعرض النسيج الواقع عند منطقة البتر لتيار تبلغ شدته ما بين ٣ ــ ٦ أجزاء من ألف مليون جزء من الأمبير ، أظهر النسيج نمواً واضحاً ، أو تجدداً ملحوظاً ، وظل الذراع في نموه من قرب الكتف حتى نهاية الكوع ثم توقف

صحيح أن التيار الكهربي المناسب لم يوصلنا إلى الهدف المنشود . . أي إلى تكوين ذراع كامل بدل الذراع المبتور ، لكن أول الغيث قطرة كما يقولون ، فالذي يقف حائلاً بيننا وبين بلوغ النجاح المطلوب ، هو جهلنا بفيض الأسرار العويصة التي تتحكم في تجديد ما يبتر ، ولو استطعنا أن نلم بكل التفاصيل ، فإن ذلك قد يقودنا إلى تطبيقات بالغة الأهمية . . ليس فقط على مستوى الفئران . . بل أيضاً على مستوى الإنسان !

ولقد التقط بعض العلماء هذا السر المثير ، وحاولوا تجربته على العظام المكسورة ، فأدى ذلك إلى نتائج إيجابية . . أو بمعنى أوضح نقول : إن العظام المكسورة التي تتلق تياراً كهربياً مناسباً ، تلتئم أسرع من عظام تترك وشأنها . . ليس هذا فحسب ، إذ أوضحت بعض البحوث الحديثة أن التيارات الكهربية المناسبة تؤدي إلى تنشيط خلايا الغضاريف الموجودة بين المفاصل ، وتدفعها إلى الانقسام ، وهذا يعني أنها تتجدد ، وقد يؤدي ذلك في المستقبل إلى علاج التهابات المفاصل ، إذ يعتقد بعض العلماء أن هذه الالتهابات ــ التي يعاني منها عشرات الملايين من المسنين ــ يرجع إلى تآكل الغضاريف .

ومما يستحق الذكر في هذا المجال أن **الدكتور ر . بيكر من مركز البحوث الطبية بجامعة نيويورك** ، ظل خمسة عشر عاماً وهو يبحث إمكانية تعويض الأطراف المبتورة في الحيوانات الثديية ، أسوة بما يحدث في الحيوانات الأقل رقياً ، وهو يعلّل فشل هذا التعويض بعدم قدرة أجسامنا على توليد التيار الكهربي المناسب لكي يتحكم في العملية ، ولقد تحقّق بعض ما كان يُراود عقله بالتجربة العملية ، إذ إنه هو الذي قام ببتر أذرع الفئران ، وعرضها لتيارات مختلفة ، وهي بداية متواضعة ، فكل فكرة أو محاولة تنشأ بسيطة ، ثم تتطور إلى الأحسن !

* * *

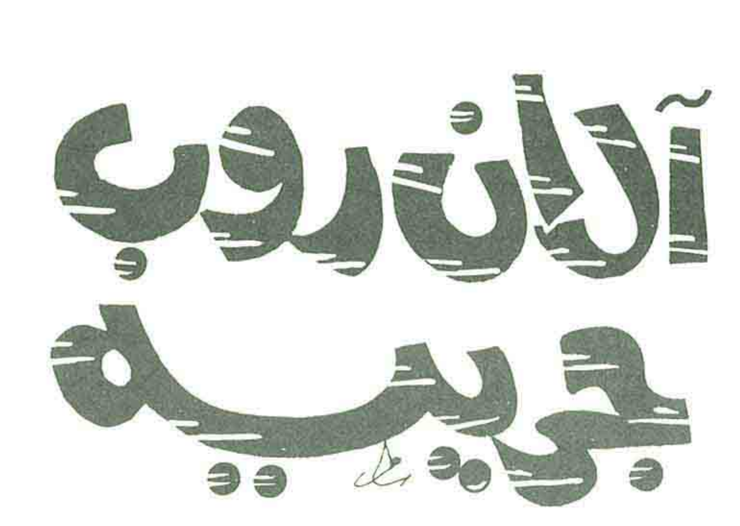
لكن بعض العلماء تعرضوا لبحث عملية التعويض من زاوية أخرى كيميائية وفيزيائية وطبيعية ، إذ كلما تشعبت سبل البحوث وتعمقت ، أدى ذلك إلى فهم أكفأ ، وتطبيق أحسن ، أو كما عبَّر عن ذلك **العالم البيولوجي المشهور جاك لويب** : « أن نزيد تحكمنا فيها . . أي أن نستنبط الوسائل التي نثير بها النائم ليستيقظ » ، أو بمعنى أوضح نقول : ندفع عملية التجدد في الأنسجة بطرق خاصة ، فنحيل الركود إلى نشاط ، والنشاط إلى تعويض ، والتعويض قد يتخذ صوراً شتى ، فليس ببعيد أن يتوصل العلماء إلى إثارة مواقع محددة في اللثة ، فتنتج أنياباً وقواطع وضروس بدلا من تلك التي تساقطت من المسنين . . صحيح أن هذه العملية تحدث في الأطفال ، أي يُعوض ما سقط من أسنانهم بأسنان جديدة ، لكن ذلك لا يحدث في البالغين . . أو قد يحدث ، فذلك يتوقف على فهمنا للأسباب الكامنة وراء هذه الظواهر المحيرة .

لقد ذكرنا أن ذراع أو ساق الضفدع البالغ لا تعوض بعد بترها ، لكن من الممكن أن ندفعها إلى النمو بوسائل شتى ، وذلك بتعريض الجزء المبتور لبعض المواد الكيميائية كأن نغمسه مثلاً في محلول ملح الطعام المركز ، أو محلول قلوي (**كربونات الصودا**) ، أو محلول **سكر اللبن (أو سكر اللاكتوز)** . . إلخ ، أو بتعريضها لعوامل فيزيائية ، كأن نعرض الجزء المبتور لدرجة حرارة تصل إلى ٥٥ درجة مئوية ولمدة دقيقة لا غير ، أو أن نمزق العضلات الممتدة فيه تمزيقاً ، أو أن نستأصل الجلد الذي يحميه ، أو أية معاملة أخرى تتسم بالقسوة ، وعندئذ تحل ساق جديدة محل الساق المبتورة !

لكن لماذا يحدث هذا ، أو ما هو الأثر الذي تؤديه مثل هذه المعاملات ، فلا أحد يعرف ذلك يقيناً ، لكنها جميعاً تؤخر تكوين الجدعة أو الالتئام على الجزء المبتور ، وربما ينتج عن تلك المعاملات القاسية مواد كيميائية تنطلق من الخلايا ، فتؤثر فيها ، أو توقظها من سباتها ، فتنشط وتنقسم وتتكاثر وتتميز إلى ساق جديدة ، لكن ما طبيعة هذه المواد التي داست على الزناد ، فعلم ذلك عند ربي ، إذ مما لا شك فيه أن هذه الأمور تكتنفها ألغاز ومتاهات ضخمة ، لكن السر المكتشف حتى ولو كان بسيطاً ، سيؤدي إلى أسرار أكبر ، وفهم أعمق ، وعندئذ قد يتحكم العلم في المستقبل القريب أو البعيد في دفع الخلايا إلى نشاط حيوي يؤدي إلى تعويض الأجزاء المبتورة .

واليوم ضفادع وفئران ، وغداً قد يأتي الدور على الإنسان . . لكن « غداً » لفظ مطاط ، ولهذا فهو متروك لتقديرك ، فقد يستلزم ذلك أجيال . . ومع ذلك ، فإن غداً لناظره قريب ، أو بعيد ، كل هذا يتوقف على توفيق العلماء في هذا السبيل ، إذ لا زلنا بمثابة أطفال نلهو على شاطئ بحر المعرفة الذي يمتد فينا وحولنا بغير حدود . . صحيح أن ما عرفه الإنسان كثير وحصيلته من المعرفة تبدو ضخمة ، إلا أن ذلك لا يعدو قطرة أو قطرات من بحر المعرفة العظيم . . **﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾** (سورة الكهف ، الآية ١٠٩) ــ وفي ذلك الكفاية لقوم يدركون !





آلان روب جرييه

وموجة الرواية الجديدة!

بقلم : جلال العشري

آلان روب جرييه والرواية الجديدة ، هذان الاسمان اللذان ارتبط كل منهما بالآخر ارتباطاً فولاذياً بحيث لا يمكن ذكر أحدهما دون الآخر ، كما في حالة **نيوتن** والجاذبية ، **وأنيشتين** والنسبية ، **ومالتوس** ومبدأ الإسكان ، **وفرويد** والتحليل النفسي ، **وسارتر** والوجودية ، **وبيكاسو** والفن الحديث ، ما هي حكايته ؟ أو بالأحرى ، ما هي حكايته مع الرواية الجديدة ؟ **وهل معنى الرواية الجديدة أن هناك رواية قديمة ؟ وأن هذا الجديد قد نسخ القديم ، ولم يترك له أثراً ولا تأثيراً ؟** وهل معنى أن نتحمس للرواية الجديدة ، أن نضع باقة من الزهور على قبر كل من **بلزاك وزولا ومارسيل بروست** ، كي نجري مسرعين وراء **آلان روب جرييه** ، كي نشارك في مظاهرة الرواية الجديدة التي يتزعمها ، ويشارك فيها كل من **ميشيل بيتور وناتالي ساروت وكلود سيمون ، وكلود مورياك ، وآلان بوسكيه** وغيرهم من دعاة الموجة الجديدة ؟

كلا وألف كلا ، فإن آلان روب جرييه لم يبدأ إلا من حيث انتهى بلزاك وأصحابه من كتّاب **الرواية التقليدية** ، ومن حيث انتهى زولا وغيره من أنصار **الرواية الطبيعية** ، ومن حيث انتهى مارسيل بروست ورفاقه من دعاة **الرواية السيكولوجية** ، بل من حيث انتهى سارتر وسائر الوجوديين ممن هتفوا باسم **الرواية الوجودية** . بل . . . ماذا أقول ؟ من حيث انتهى صمويل بيكيت وكوكبته ممن دعوا إلى **رواية العبث أو اللامعقول** ؟

«نعم» . . و . . «لا»

لعل أهم ما يميز الفكر الغربي بعامة ، والفكر الفرنسي بنوع خاص ، هو أنه فكر ينطوي في صميمه على «**قوة السلب**» إن صح هذا التعبير ، أعني أنه فكر رافض باستمرار ، فكر يستطيع أن يقول «**لا**» في الوقت المناسب ، بحيث يكون لقولة «لا» هذه من القوة ، ما لا نجده في ألف قولة «**نعم**» .

وأمامك الفكر الفرنسي من أيام بسكال ماراً **بديكارت ، وفولتير وبرجسون** حتى نصل به إلى **سارتر** ، فكل مرحلة جديدة برفضها للمرحلة التي قبلها ، إنما تساعد على تنمية الفكر عموماً ، واستثماره في الكشف عن الجديد وما يترتب على هذا الجديد من تحرير وتنوير ، تحرير من قيود القديم ، وتنوير في ارتياد آفاق أرحب وأوسع مدى .

على أنه إذا كان الفكر هو صانع الأدب والفن على اعتبار أن كل

عمل أدبي أو فني لا بد وأن يصدر عن خلفية فكرية عريضة تخلع عليه ما له من معنى ، فإن ما قلناه عن الفكر يقال مثله عن الأدب والفن ، وعن « الرواية الجديدة » باعتبارها شكلاً جديداً من أشكال النثر الفني أو التعبير الأدبي ، فالرواية الجديدة كما نجدها عند كل من آلان روب جرييه ، وروبير بانجيه وميشيل بيتور ، وناتالي ساروت ، وكلود سيمون ، وكلود مورياك وآلان بوسكيه ، على الرغم من الفروق الفردية بين كل من هؤلاء ، إنما هي في صحيحها استجابة أدبية واعية للوضع الثقافي الراهن الذي يمر به إنسان الحضارة الغربية . . وضع القهر والحصر والإحساس باللاجدوى .

فإنسان هذه الحضارة غريب ضائع ، فقد إحساسه بكل شيء ، وعبثاً يحاول أن يجد لحياته غاية أو معنى ، فكل شيء من حوله عقيم . . وكل شيء من حوله قميء وزري ، إنه إنسان في **حالة انفصام** . . لا أقول انفصاما نفسيا ولا انفصاما ذهنيا وإنما هو **انفصام حضاري** ، فهو يضحك بلا فرح ، ويبكي بلا حزن ، ويتألم بلا وجع ، وإذا تكلم لم يقل شيئاً . وهو يعلم في ذات الوقت أن علاجه ليس في يد الطبيب ولا الحكيم ولا الواعظ، وإنما هو في يد الأديب أو الفنان .

فهو في « **حالة** » ، هذه الحالة لا ينبغي أن توضع موضع « **تفكير** » وإنما يجب أن توضع موضع « **تعبير** » ومن هنا كانت الاستجابة الأدبية والفنية لهذه الحالة الحضارية . . **الموسيقى الإلكترونية ، الفن السوريالي ، أغاني الخنافس** ، مسرح العبث أو اللامعقول ، وأخيراً الموجة الجديدة في السينما ، والرواية الجديدة في الأدب .

التعبير وليس التفكير

وتفسير ذلك حضارياً . . لا فلسفياً ولا سيكولوجياً ، أن إنسان الحضارة الغربية عندما أحس بعجزه عن أن يحيل الفن إلى واقع ، لم يجد بداً من إحالة الواقع إلى فن ، ولما كان قد سئم الفكر والتفكير وكل ما من شأنه أن يحيل ذاته إلى موضوع ، اضطر آسفاً أو غير آسف ، أن ينبذ المنطق والنظام والمعقولية ، ليلتقي بالأشياء لقاء حياً مباشراً ، وكأنه يستنشق صباح الحياة الأول بعد أن ودع فجر الحضارة الأخير .

ولكن . . إذا كان « التعبير » هو البديل الحضاري للتفكير فعلى أي نحو وبأي شكل يجيء هذا التعبير ؟

هذا هو السؤال الذي كانت الرواية الجديدة في الأدب ، مثل غيرها من الفنون الجديدة هي الإجابة المباشرة عليه !

فالرواية الجديدة ، بعكس غيرها من أشكال الرواية الأخرى ، التي حاولت أن تعبّر عن أزمة الإنسان الغربي فور خروجه من **الحرب العالمية الثانية** ، كانت أروعها تعبيراً عن هذه الأزمة ، لأنها كانت أكثرها اتساقاً مع المضمون وأشدها تجانساً مع أزمة هذا الإنسان . فالرواية القديمة سواء عند **بروست وجويس ، وفرجينيا وولف** ممن كتبوا **قصة تيار الوعي** ، أو عند **أراجون وبريتون ، وبول إيلوار** ممن كتبوا **شعر اللاوعي** ، أو عند **كافكا وكامي وجان بول سارتر** ممن كتبوا الرواية الوجودية ، هؤلاء جميعاً حاولوا أن يعبروا عن أزمة الإنسان الجديد ، عن تفككه وتصدعه ، وقهره وانحصاره ، وفقدانه اليقين في كل شيء ، وانتظاره لشيء لن يقع أبداً .

ولكنهم عبَّروا عن هذه الأزمة الجديدة ، بطريقة كلاسيكية نموذجية ، صاغوها في قالب الأدب التقليدي فجاء شكل هذا الأدب غير متجانس مع فحواه ، فهم قد شعروا بالأزمة الجديدة ، لكنهم عبَّروا عنها بطريقة قديمة ، فكانوا غير صادقين ولا حقيقيين ، وكان لا بد من ظهور كتّاب غيرهم يتمردون على هذا الشكل القديم ويأتون بشكل آخر جديد ، يتجانس في التعبير على ما يشعرون به ، وبذلك يعبِّرون عن الإحساس الجديد ، بطريقة أخرى جديدة ، فيكونون صادقين وحقيقيين في وقت واحد .

وهكذا نجد أن « الرواية الجديدة » تتلخص في أنها طفرة . . طفرة لم تقف عند حدود المضمون كما فعل كتّاب الرواية السيكولوجية أو الرواية الوجودية ولكنها تعدت المضمون لتتناول الشكل أيضاً . . فكانت طفرة في الشكل والمضمون جميعاً .

الأشياء لا الأشخاص

فالرواية الجديدة **ليس فيها بطل** بالمعنى الإغريقي القديم ولا بالمعنى الوجودي الحديث ، وإنما من الممكن أن يكون الخوف بطلاً أو الانتظار أو الملل ، ومن الممكن أيضاً أن يكون البطل بيتاً في الطريق أو شارعاً في المدينة أو جسراً في قرية ، المهم أنه لم تعد هناك بطولات فردية ، وليس من الضروري أن تكون الشخصيات من البشر ، فحياتنا ليست كلها مليئة بالأشخاص ، وإنما هي مليئة أيضاً بالأشياء ، أو بالأحرى مليئة بالأشياء التي تتعلق بالأشخاص .

وعالم الرواية الجديدة مليء بالأشياء ، إنه تشييء العالم أو تشييء للعالم ، وهذه **الشيئية هي حجر الزاوية في بناء الرواية الجديدة** ، وهي التي أشار إليها الفيلسوف المعاصر **مارتن بوبر** عندما قسم العلاقات الإنسانية بين الأشخاص والأشياء وذهب إلى أن العلاقات الإنسانية يمكن تحويلها إلى علاقات شيئية ، أي علاقة الإنسان بشيء . . . فإذا اتخذت إنساناً وسيلة أو مطية فقد حولته إلى شيء وإذا أحببت امرأة لمالها فقط فقد حولتها إلى شيء ، ويخلص مارتن بوبر من هذا كله إلى **أن مأساة الإنسان في العصر الحديث ، هي أنه قد حول كل ما هو إنساني إلى شيء مجرد من الإنسانية** ، وذلك بأن حوّل كل ما يربطه بالآخرين إلى كلمات على الورق . . إلى إيصالات ، إلى شيكات ، إلى أذونات ، إلى شهادات استثمار ، إلى مواثيق زواج .

ومعنى هذا أن الإنسان قد ردّ كل ما حوله إلى عناصر أولية ، إلى أشياء . . فإذا أصاب الإنسان حزن أو يأس أو ضياع ، فذلك لأنه بإنسانيته قد قضى على هذه الإنسانية ، وراح يجتر آلامه الرومانسية ، وعذاباته الوجودية ، أما مدرسة الرواية الجديدة ، فقد اعترفت بهذه

الحقيقة الوجودية وسلمت لها بدلا من أن تبكي عليها ، أي أنها اتخذت موقفاً من مأساة إنسان هذا العصر .

ومن هنا كان اتفاق كتّاب « الرواية الجديدة » على ضرورة صنع قوالب فنية جديدة تعبّر عن أزمة الإنسان المعاصر ، وعن ضرورة التعبير عن الواقع بما هو ضد الواقع ، وعن الإنسان بما هو غير إنساني ، وعن الحياة بما هو على النقيض من الحياة . . وهذا هو ما نجده بشكل صارخ في روايات « الأساتيك » لآلان روب جرييه ، و « الدوائر » لناتالي ساروت ، و « شخص ما » لروبير بانجيه ، فكتّاب هذه الروايات الثلاث أبدعوا أجواء غريبة وغير مألوفة ، وعوالم غير عادية . . غير عادية على الإطلاق .

فالعلاقات المنطقية بين الأشياء تحطمت ، والأوضاع المألوفة بين الأشخاص انقلبت ، والمكان انعدم . . لأنه لا تحت هناك ولا فوق ، والزمان تلاشى . . لأنه لم يعد هناك قبل وبعد ، واللغة تحولت إلى إشارة ، والحركة إلى صمت .

ولم يقتصر هذا على الوسيلة المؤدية إلى الغاية أو الأسلوب الموصل إلى الهدف ، أعني لم يقتصر الأمر على اعتبار هذه الأشياء جميعاً من قبيل التكنيك ، لأن الوسائل نفسها تحولت إلى غايات والأساليب أصبحت في ذاتها هي الأهداف . . . فالكلمة قد تقصد لذاتها لما فيها من موسيقى أو رشاقة أو رنين ، والصفحة قد تلون ولا أقول تكتب بالكلمات : فقد توضع كلمات قليلة وبطريقة غير منتظمة في الصفحة الواحدة ، لأنه إذا كانت الكلمات قد جاءت لتعبر عن بطل ضائع في حضارة ضائعة فلم لا تكون الكلمات ضائعة هي الأخرى .

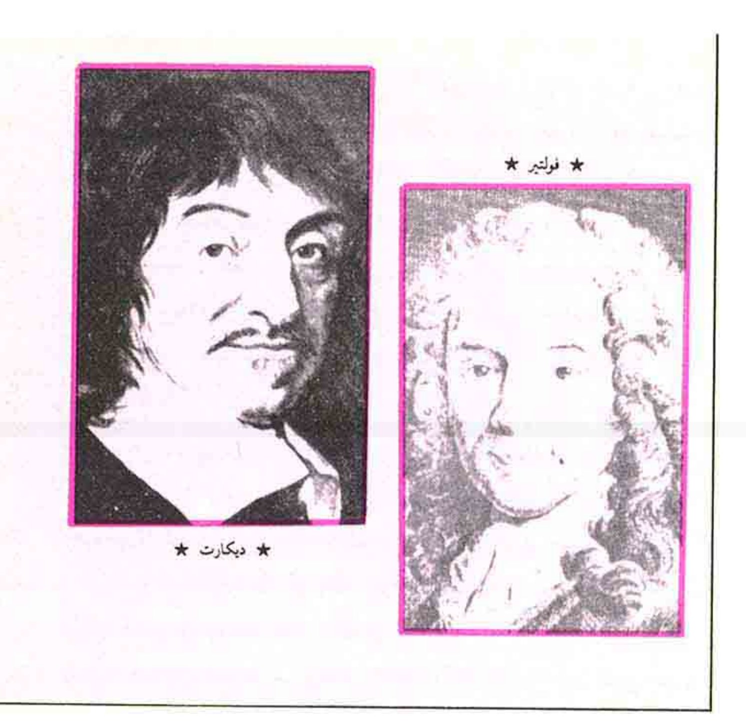
« أنا هنا ، ولكن ليس بالطريقة التي أنت موجود بها ، فقط لو كنت تستطيع أن ترى كيف تعمل عيناي . . ظلي يدور حولي ، وأنت تدور حول ظلك من العسير أن أفهم الآخرين . . إنني لا أعيش مثلهم ، إنهم في الفراغ . . . كالسمك في الماء . . أما أنا فلا . . أنا ثقب في قاع نهر » .

ويعلق آلان روب جرييه على هذا المقطع الروائي بقوله ، إنه لو عاش الناس بلا حركة ، ولو سلموا بأن يكونوا هذا « الثقب في قاع النهر » لوجدوا الماء يأتي إليهم من كل الجهات ، ولرأوا كل التيارات تتكون بطريقة جديدة ، وعند ذلك يأخذ النهر مجراه الحقيقي .

البداية وليست النهاية

إن كتّاب الرواية الجديدة يؤكدون أنهم لا يعرفون بالضبط كيف تنتهي الرواية في أيديهم ، لأنها عبارة عن انفعال وتفاعل يتم بينها وبين المؤلف ، فهي تستسلم له تارة وتارة يستسلم لها هو . . .

وهذا معناه أن الكاتب لم يعد متأكداً تماماً من أي شيء ، إنه لا ينظر إلى العالم نظرة يقينية ، فاليقين ليس من طابع هذا العصر ، ولا إنسان هذا العصر . وهكذا لم يعد من الضروري أن يصف المؤلف أبطاله بدقة



★ فولتير ★

★ ديكارت ★

أو بفهم أو بوعي ، فنحن لا نعرف ما هي ملامح بطل أو بطلة رواية « العام الماضي في (مارينباد) » لروب جرييه ، إن صح أن هناك بطلاً أو بطلة ، فالبطل والبطلة لا يعرف أحدهما الآخر ، وإنما يخيل للرجل أنه يعرف المرأة ، ونحن لا نعرف من هما بالتحديد . . فنحن أمام شخصيات ليس من الضروري أن تكون مكتملة أو محددة .

وليس في الرواية « حدوتة » أي حدث يقع ثم يتطور ويتعقد وأخيراً ينحل لأن هذا الإطار غير واقعي ، أو لم يعد واقعياً ، فلا يوجد في الواقع مقدمات وعقد وحلول ويمثل هذا الترتيب المنطقي ، وإنما هي طبيعة العقل الإنساني كما يقول الفيلسوف الألماني **كانط** ، الذي يمشي على قواعد فيفرضها على الواقع ، أما الواقع الإنساني ، كما يقول آلان روب جرييه ، فهو كالعنكبوت يفرز قيوده ، وقواعده ، ويجعل هذه القيود والقواعد معطيات تمشي عليها الحياة اليومية .

وهذا ما عبّر عنه آلان روب جرييه بقوله : « لن تكون الأشياء انعكاساً باهتاً لنفس البطل المبهمة ، وصورة لآلامه ، وظلاً لرغباته ، بالأحرى ، إذا حدث واستخدمت الأشياء لحظة واحدة كقاعدة للأهواء الإنسانية ، فلن يكون ذلك إلا بصفة وقتية . لن تقبل الأشياء طغيان المعاني إلا ظاهرياً . . لكي تكشف لنا إلى أي مدى تظل غريبة على الإنسان » .

وإذا كانت الفكرة التقليدية عن الشخصية والقصة ، كما خلفها بلزاك وروائيو القرن التاسع عشر ، تعد في نظر آلان روب جرييه فكرة قديمة وبالية ، وإذا كان هو شخصياً قد تخلص منها باستبعادهما بكل بساطة ، فإننا نجد كاتباً آخر مثل ميشيل بيتور يتخلص منها بالتهامهما إن صح هذا التعبير ، وهاتان هما طريقتا التخلص من الشخصية والقصة عند كتاب الرواية الجديدة ، في الحالة الأولى يكتسب العالم الخارجي ما فقده الإنسان من أهمية ، ويصبح عالماً جامداً لا ينفذ إليه أحد ، عالم يكتفي الإنسان

بالنظر إليه ، لأن الأشياء فيه لم تعد ملكاً للإنسان ، وإنما العكس هو الصحيح . . أما في الحالة الثانية ، فإن العالم الخارجي سرعان ما يتحطم ويصبح ذريعة لوعي لا يجد ما يستند إليه ، لا في الخارج ولا في الداخل ، وتصبح الشخصية لقمة سائغة لما بين العالمين .

ففي رواية « التغيير » لميشيل بيتور ، رجل يدعى ليون ويلمون ، يعمل بين **روما وباريس** بحكم عمله في الدرجة الأولى ، بالقطار السريع ، وتجري وقائع الرواية أثناء جلوسه لمدة اثنتين وعشرين ساعة بالدرجة الثالثة في هذا القطار . . باريس — روما . . وتدور أحداث الرواية خلال حوار مستمر يعقده ليون ويلمون بينه وبين نفسه ، مخاطباً ذاته بصيغة « أنتم » . . فقد أقفل دونه الباب في مقصورة القطار ، كما يقفل الإنسان وعيه وضميره وفكره ، وتتوالى الأحداث على شكل تأملات حوارية مستمرة .

ويدور بخلده حينذاك أن يطلق زوجته في باريس ، من أجل الاقتران بزوجة أخرى في روما ، ولكن سيسل تكتشف أن حبه لها إنما هو تكرار لتجربة حبه من هنرييت ، زوجته الحالية وأم أولاده ، حين قضى معها شهر العسل في مدينة روما فتبتعد عنه على الفور ، كما يبتعد عنها هو الآخر .

والخطأ كل الخطأ في تصور هذه الأحداث ، كأنها أدب ذاتي أو تفسير نفسي إذ لا يوجد شيء ينتمي إلى ما يسبغه اللاشعور أو التصور الذاتي المحض على الوقائع ، وكل الأحداث تنساب بين قضبان وعي متطلع إلى الوجود ، في صورة ظاهرة بسيطة ، بغير أدنى تعقيد نفسي أو سيكولوجي .

صحيح أن الكاتب أراد أن يعالج قضية العلاقة بين الرجل والمرأة ، لكن يكفي أن نقرأ الرواية بانتباه ، لكي ندرك أنه لا يريد ولا يريد منا أن نعرف ما إذا كان البطل سيتخلى عن زوجته لكي يتزوج الأخرى ، أم لا . . فالتغيير في حد ذاته هو ما يعنيه .

والذي يعنينا الآن هو أنه إذا كانت الرواية قد ظلت حتى القرن العشرين مرتبطة بالبطل ذي الشخصية المعروفة المحدودة ، أو إذا جاز التعبير ، ذي السجل المدني المعروف ، فإن أهمية البطل قد زالت عنه في الوقت الحاضر ، وأصبح على الرواية الجديدة أن تثبت قدرتها على الحياة بدونه ، كما أنه إذا كانت الرواية فيما قبل الرواية الجديدة ، تروي إحدى القصص بأسلوب محبب ، وتستهدف إقناع القارئ بصحة ما يقرأه ، فإن قوة الكاتب الروائي اليوم كما يقول روب جرييه تكمن في قدرته على الإبداع الحر دون الاقتداء بأي نموذج ، ومن هنا كان زوال الرواية حسب المفهوم التقليدي للكلمة ، وظهور **اللارواية أو القالب المضاد للرواية ، أو ما يعرف بالرواية الجديدة .**

الشكل وليس المضمون

ويفرق آلان روب جرييه بين **الشكل والمضمون** ، بل يرجع العنصرين إلى الشكل ، ويعطي هذا الأخير أهمية قصوى ، مرتبطة بطبيعة الحال ، بالأهمية التي يوليها للأشياء ، فإذا كان كتّاب الرواية التقليدية يذهبون إلى القول بأن « **العالم هو الإنسان** » فعند روب جرييه أن « **الأشياء هي الأشياء ، والإنسان ليس سوى الإنسان** » .

وعنده أن الأشياء خارجية ولا معنى لها ، وهو لا يهدف إلا إلى وصفها فهو يقول : « وصف الأشياء هو الوقوف خارجها ، وأمامها طواعية ، لا يتعلق الأمر إذن بتملكها أو إرجاع أي شيء إليها ، ولأنه أي الكاتب ، ينظر إليها منذ البداية على أنها ليست الإنسان ، تظل دائماً في مأمن من الإنسان » .

والوصف كما يقول روب جرييه هو الوقوف على استقلال الأشياء ، ووصفها من الخارج ، وتسجيل ما بينها من مسافات وأبعاد ، وهذا ما يعبر عنه بقوله : « إن تسجيل المسافة بيني وبين الشيء ، والأبعاد الخاصة بالشيء ، والمسافة بين الأشياء ، وإصرارنا على أن كل ذلك مسافة فحسب ، يعني تقريرنا أن الأشياء هنا وأنها ليست سوى أشياء ، وأن كلاً منها محدود بنفسه » .

وعند آلان روب جرييه أن « النظر » هو خير ما يتيح الفرصة لتسجيل المسافات ، وذلك أنه لا يهتم بالألوان ولا بالظلال ، ولا يعبأ بالبريق ولا بالشفافية وإنما هو يهتم بالحدود والمسافات ، وبالتالي فإن النظر أو النظرة هي التي تساعد الإنسان على تحديد مكانه من العالم .

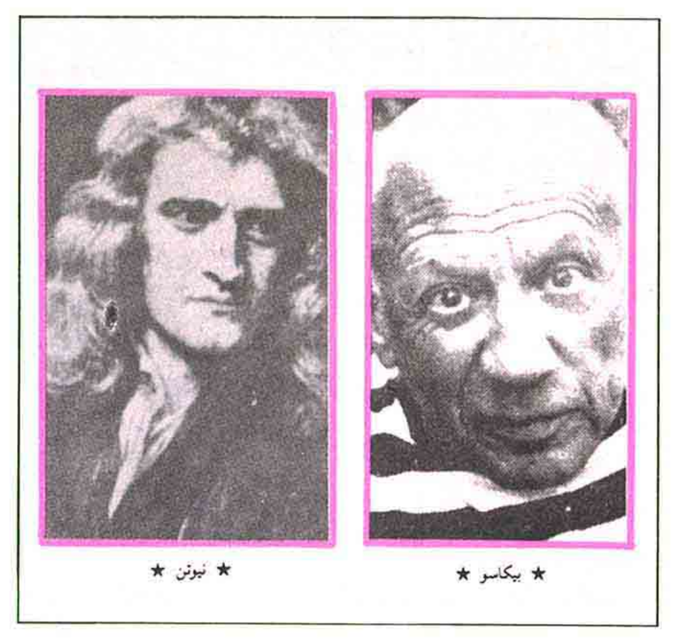
وهنا تنشأ **الثنائية بين العالم والإنسان** ، بين الذات والموضوع ، بين الشكل والمضمون ، وهنا أيضاً يصبح العمل الفني شأنه شأن العالم ، شكل حي . . لا حاجة إلى تبريره . وهنا كذلك يكمن في شكل الرواية حقيقتها ، بل ويكمن معناها العميق ، أي مضمونها ، وهنا أخيراً يصبح الحديث عن مضمون الرواية كما يقول آلان روب جرييه ، وكأنه شيء مستقل عنها ، ومثل هذا الحديث يعني محو هذا اللون الأدبي كله من عالم الفن .

حقاً . . إن العمل الفني كما يقول روب جرييه ، لا يتضمن شيئاً بالمعنى الدقيق للكلمة ، بل يذهب إلى القول بأن الفنان الحق ليس لديه شيء يقوله ، وإنما لديه أسلوب في القول ، ودليله على ذلك أن الأسلوب هو غالباً ما يتبقى من أعمال كبار الكتّاب الروائيين . وهذا ما عبَّر عنه بقوله :

« الرواية الجديدة بحث . . . بحث يوجد معانيه تباعاً بنفسه ، هل للحقيقة معنى ؟ هذا سؤال لا يستطيع الفنان المعاصر أن يجيب عليه ، إذ إنه لا يعلم شيئاً عن الجواب . كل ما يمكن أن يقوله ، هو أنه ربما سيكون لهذه الحقيقة معنى ، بعد أن يمر عليها . . . أي بعد أن يبلغ عمله نهايته ، ويصل إلى منتهاه » .

ليس الماضي ، ولكن المضارع

وهكذا تحولت الرواية الجديدة شيئاً فشيئاً إلى موضوع للبحث ، بعد أن كانت موضوعاً للفهم ، فإذا كان الروائيون في الماضي قد اعتادوا أن



★ بيكاسو ★ ★ نيوتن ★

يسردوا «قصة» تبدو كأنها جزءٌ متجمداً من الزمان، مما حدا بهم إلى **اللجوء إلى الفعل الماضي وليس الفعل المضارع**، فإن الرواية الجديدة تروي لنا قصة في سبيلها إلى الحدوث.. قصة تبني أحداثها أمام أعيننا، وتصور لنا بطلاً يبحث عن ذاته، وتكتمل صورته كلما استطرد في الحديث، ومن هنا كان التجاء الرواية الجديدة إلى الفعل المضارع.

فكاتب الرواية الجديدة، لا يكتب وفقاً لخطة مسبقة، ولا بناء على تخطيط سابق، وإنما هو يسلم نفسه لروايته، ويتركها لضميرها الفني، يتركها تهديه وترشده، وتعلمه ما لا يعلمه عن نفسه، وتملي عليه موضوعها وطريقة تناوله لهذا الموضوع.

إنه يختار البداية، ولا يعلم شيئاً عن النهاية، فالبداية هي التي تقود إلى النهاية، وعندما يمسك بالقلم ويشرع أمامه الورق، ولا يعلم شيئاً عن جوهر العالم الذي يصوره، بل يعمل على التواجد معه والحياة وفقاً لإيقاع خطاه. إن الرواية الجديدة تكاد تبحث بنفسها عن نفسها، وهي تبني نفسها كلما تقدمت في طريق البحث عن ذاتها، وعلى ذلك فهي ليست أداة للتعبير عن حقيقة خاصة، ولا معنى إذن لرجوعها إلى الواقع اليومي.. وهذا هو ما عناه روب جرييه بقوله:

«أنا أبني ولا أنقل، هذا ما كان يصبو إليه فلوبير، بناء شيء من لا شيء، بناء شيء يقف وحده دون أن يحتاج إلى الاستناد إلى أي شيء آخر خارج العمل الفني نفسه، هذا هو ما تتطلع إليه الرواية الجديدة».

ليست الذات ولكن الموضوع

على أنه إذا كانت قصة تيار الوعي عند بروست وجويس وفرجينيا وولف قد صدرت عن **فلسفة التحليل النفسي**، وصدر شعر اللاوعي عند أراجون وبريتون وبول إيلوار عن **الفلسفة السيريالية**، وكانت الرواية الوجودية عند كافكا وكامي وجان بول سارتر هي الوجه الأدبي للفلسفة الوجودية، فإن **الرواية الجديدة يمكن إرجاعها إلى فلسفة الظواهر أو المنهج الفنومنولوجي الذي وضعه الفيلسوف الألماني ادموند هوسرل، ألا وهو منهج الوصف البحت للظاهرة؟..**

فعند كتّاب الرواية الجديدة بصفة عامة، وعند آلان روب جرييه بوجه خاص، أن مادة الفن ليست في الذات وإنما هي في الموضوع، أي في العالم الخارجي بكل ما فيه من أشياء مادية أو ما يسميه هو «الشيء»، وبذلك تسقط الذات الإنسانية بما تنطوي عليه من أحداث تجري في الزمان، ليحل محلها الشيء الموضوعي بما يتصف به من ثبات في المكان.

غير أنه إذا كان الإنسان قد ظل حتى الآن يسقط انفعالاته وتصوراته وأفكاره على الأشياء حتى أفقدها شخصيتها الخاصة، فعند آلان روب جرييه أن **الأشياء تتمتع بوجود مستقل تماماً عن الإنسان، وليس على الأديب إلا أن يخلصها من الطابع البشري الذي اعتدنا أن نراها عليه، بأن يخرجها من نطاق ملاحظته العقلية لكي يصفها وصفاً بحتاً، يرتد بها إلى نسيجها الأصلي الأول**. وبذلك يصير الأديب كما يقول جرييه «كعنكبوت ساكن وسط نسيجه، أي إنه لا يتدخل، وإنما يسجل ويقيس من المنطقة التي يقف فيها».

فالإنسان ينظر إلى العالم، ولكن العالم لا يرد له نظرته، ولكنه في الوقت نفسه لا يرفض الصلة بالعالم.

ولكن هل معنى هذا أن كاتب الرواية الجديدة قد طرح النزعة البشرية، أو جرد أدبه من كل طابع إنساني؟

كلا، بطبيعة الحال، لكنه يعني في المقام الأول أن الروائي الحديث قد أخذ يبتعد عن رواية التجربة والاعتراف والعاطفة، ويتجه إلى الاهتمام بالشكل والأسلوب والتجريب المستمر على اللغة، وذلك بعد أن قطعت الرواية الجديدة، خطوات واسعة باعدت فيها بينها وبين الحياة الطبيعية والنزعات البشرية.

وإذا كانت هذه الظاهرة التي يمكننا أن نسميها بإطراح الإنسانية، أو تعرية التعبير الأدبي بقدر الإمكان من النزعات والعواطف البشرية، قد ظهرت بشكل صارخ عند كتّاب الرواية الجديدة، فإننا نستطيع أن نرتد بها إلى **الفيلسوف الإسباني أورتيجا أي جاسيت** الذي كان أول من دعا إلى تجريد الفن من النزعة البشرية، فأصبحت هذه الكلمة منذ ذلك الحين ١٩٢٥م، اصطلاحاً شائعاً في لغة النقد الحديث.

والفكرة الرئيسية عند هذا الفيلسوف، هي أن الإحساس الإنساني الذي يثيره العمل الفني يصرفنا عن قيمه الفنية، وخصائصه الجمالية، وإنما تتحقق لنا المتعة الجمالية الخالصة في حالة الجمال المجرد من كل هدف، البعيد عن كل غرض، وعندما يطبق هذا الفيلسوف فكرته هذه على عصور الفن المختلفة، نراه يعلي من شأن كل أسلوب فني يحول

الأشياء أو يحورها بقصد تعريتها من حضورها الإنساني ، فالتجريد في الفن معناه تحوير الواقع وتغييره ، وهو ينطوي على نزعة التجريد من البشرية ، وهذا هو ما يوضحه جاسيت بقوله : « إن المتعة الجمالية التي يشعر بها الفنان الحديث تأتي من هذا الانتصار على كل ما هو إنساني » .

ولكن ما معنى التجرد من الإنسانية أو طرح النزعة البشرية ؟

معناه استبعاد الحالات العاطفية الطبيعية ، وتخلية التعبير الأدبي ما أمكن من الصفات البشرية . فالذات مثلاً في الرواية الجديدة ، قد أصبحت نوعاً من « الجو الوجداني » المحايد ، وكلما أوشكت أن تقع في العاطفية أو الطراوة ، لجأ الكاتب إلى عناصر تزيد من صلابتها وخشونتها ، وهذا ما نراه بشكل واضح في روايات آلان روب جرييه ، التي لا تعرف الفرح ولا الألم ، ولا تمزج الكآبة بالدموع بالأحلام ، وإنما هي ترف في جو من التأمل الخالص المحايد .

وليس في سطور الرواية من رواياته قيم نفسية أو أيديولوجية ، وإنما تقتصر الحركة فيها على حركة اللغة والصور الشيئية ، وكأنما الكاتب الروائي يخشى أن يضبطه القارئ متلبساً بعاطفة من العواطف البشرية المألوفة . إن الإحساسات اليومية المعتادة ينبغي أن تصمت في الرواية الجديدة ، بحيث تصبح الرواية كالقصيدة التي يصفها الشاعر بول فاليري بأنها ، عبد للعقل ، تحتوي كما يقول أيضاً على أشياء لا يمكن أن يتصف بها في العادة أي إنسان ، ذلك لأن الجهد الفني ، شأنه في ذلك شأن العمل العلمي ، يحتوي على شيء غير إنساني ، ومن هنا كانت تسمية الرواية الجديدة ، باللارواية . . **ولكن . . هل معنى إطراح النزعة الإنسانية القضاء على الإنسان ؟**

كلا ، بطبيعة الحال ، فإن تجريد المضمونات وردود الأفعال النفسية من طابعها البشري بقصد إعطاء العقل الأدبي أو الذات الروائية حريتها غير المحدودة في التخيل والإبداع ، لا يعني القضاء المبرم على الإنسان ومكانة الإنسان ، فالرواية الجديدة كما يقول آلان روب جرييه ، لا تهتم إلا بالإنسان ، ومكانه في هذا العالم وعلى الرغم من أن الشخصية بمعناها التقليدي لا وجود لها في روايات هذا الكاتب ، فإن الإنسان ماثل فيها باستمرار ، وهذا ما عبَّر عنه بقوله :

« الإنسان ماثل في كل صفحة ، وكل سطر ، وكل كلمة . . من رواياتي ، حتى لو وجدنا فيها كثيراً من الأشياء المرصوفة بدقة ، فإن هناك أولا ودائماً العين التي تراها ، والفكر الذي يعاود رؤيتها ، والعاطفة التي تغير من شكلها ، والأشياء واقعية كانت أم خيالية ، لا وجود لها البتة في رواياتنا خارج الإدراك الحسي عند البشر » .

ليس الفهم ولكن المشاركة

وهكذا نرى أن إيجاد هذه الأساليب الجديدة في « التعبير » ، الخالية من طابع « التفكير » وما يستتبعه التفكير من منطق أو نظام أو معقولية ، إنما هو مقصود في ذاته لكي يؤدي في النهاية إلى إيجاد عمل فني متكامل ، يقوم على أسس من نوع جديد ، ويؤدي إلى متعة فنية هي الأخرى من نوع جديد .

ولا يفهم من هذا أن الرواية الجديدة إذ تنبذ الشكل التقليدي القديم تنبذ معه المضامين الإنسانية التي كان يحتويها هذا الشكل ، وما تحتويه هذه المضامين من قيم ومبادئ وأخلاق ، فكتّاب الرواية الجديدة في تأثرهم بالمنهج الفنومنولوجي الذي وضعه الفيلسوف الألماني **هوسرل** ، منهج الوصف البحت للظاهرة ، وفي نبذهم في الوقت نفسه لأساليب الرواية التقليدية من وصف سيكولوجي أو ثيولوجي أو وجودي للأشخاص أو الأشياء أو الأحداث ، إنما يشيدون عالماً جديداً ، وإن كانت لبناته هي لبنات العالم القديم .

فالجديد هنا هو في وضع هذه اللبنات ، وفي إقامة العلاقات بينها ، فالشخصيات موجودة في الرواية الجديدة ، لكنها موضوعة في ظروف لا يشرحها الكاتب ولا يفسرها ، والأشياء قائمة ، ولكن الكاتب لا يكشف لنا عن الطريقة التي قامت بها ، والأحداث تقع دون أن نعرف لماذا أو كيف وقعت ؟ .

وعلى ذلك ، فالقيم والمبادئ والأخلاق كلها موجودة في الرواية الجديدة ، لكنها موجودة بشكل جديد ، أو بشكل خفي أو غير مرئي ، لأن كتّاب الرواية الجديدة يمتنعون تماماً عن إصدار الأحكام .

وقد يخيل للقارئ أنه لن يستطيع بحال من الأحوال أن يفهم هذا كله ، أن يحل هذه الألغاز أو يفسر هذه الأحاجي أو أن يعيش لحظة واحدة في صفحة من صفحات الرواية الجديدة ، ولكن توهمه سرعان ما يتبدد ، عندما يعلم أن الكاتب الممتاز من كتّاب الرواية الجديدة ، هو من يجعله يألف هذه العوالم الجديدة ويعيش فيها ، كما لو كان يعرفها من زمان . لأن براعته لا تتمثل في مقدرته على الإفهام أو الإقتناع ، بل في قدرته على إثارة الإدراك ، ومن هنا كان **اعتماد كتّاب الرواية الجديدة على المدرك الحسي لدى القارئ** . . على ما في الكلمة من موسيقى ، وما في المهارة من إيقاع ، وما في الصورة من أبعاد ، بل وعلى ما في الصفحة من تشكيل .

وأقول المدرك الحسي ، ولا أقول المدرك الذهني ، لأن كلمة الفهم لا تعني شيئاً ، فالكاتب الروائي الجديد لا يطلب من القارى أن يفهم شيئاً لأنه لا يحذو حذو بلزاك أو فلوبير أو إميل زولا ، أو غيرهم ممن يقدمون للقارئ مادة مفهومة حتى من قبل أن تؤكل ، وإنما كتّاب الرواية الجديدة يعتبرون المشاركة هي مهمة القارئ ، مشاركة الشخصية تجربتها ، وحركاتها ، وتصرفاتها ، تماماً كما فعل المؤلف نفسه .

ولعل هذا هو السبب الذي جعل كتّاب الرواية الجديدة ، يعمدون إلى جعل مهمة القارئ أكثر صعوبة ، وبالتالي أكثر إيجابية ، فالقارئ لم يعد هو المتلقي السلبي ، وإنما أصبح المشارك الإيجابي ، وسواء عمد كتّاب الرواية الجديدة إلى تصوير الأشياء كما عند آلان روب جرييه ، أو إلى تصوير الواقع كما عند ناتالي ساروت ، أو إلى الحوار الداخلي كما عند

ميشيل بيتور ، فالقارئ مضطر إلى استكشاف ما وراء الكلمات أو ما وراء الوصف الموضوعي ، مما يمكن تسميته بفنومنولوجيا الرواية .

ومن هنا كانت العلاقة بين كتّاب الرواية الجديدة وكتابة السيناريو كما عند روب جرييه ، وبينها وبين كتابة الشعر الجديد كما عند روبير بانجيه ، وبينها وبين الفن التشكيلي الحديث كما عند ناتالي ساروت ، ومن هنا كانت صعوبة بل استحالة ترجمة هذه الأعمال إلى أية لغة أخرى غير لغتها الأصلية ، دون أن تفقد الكثير من أصالتها وطرافتها ، وما فيها من ابتكار وإبداع .

وهذا كله هو ما عبَّر عنه آلان روب جرييه بقوله : « إن ما يقدمه الفن للقارئ أو للمتفرج هو طريقة للحياة في عالم اليوم ، وللمشاركة في إيجاد عالم الغد ، ولبلوغ هذه الغاية ، تطلب الرواية الجديدة من الجمهور أن يثق في قدرة الأدب ، وتطلب من كاتب الرواية ألا يخجل من الاشتغال بالأدب » .



★ مالتوس ★



★ بوسكيه ★

جدية الرواية الجديدة

والمهم الآن ، أن هذه جميعاً معايير نقدية في أيدي الناقد والقارئ على السواء ، بعكس ما يظن البعض من أن الرواية الجديدة شيء لا تحكمه قواعد ولا أصول ، وبالتالي لا يمكن تمييز الجيد فيه من الرديء ، وبالتالي أيضاً يستطيع أي عابث أو مهرج أن يكتب كما يكتب كتّاب الرواية الجديدة .

وليس أدل على جدية الرواية الجديدة ، من انتشارها في هذا المدى القصير ، وغزو كتابها لدور النشر واستديوهات السينما ، وشاشات التليفزيون ، بل وللجوائز العالمية الجديرة بالاعتبار . ومهما تضاربت الأقوال في جدية الرواية الجديدة ، فالذي لا يمكن إنكاره هو أن الرواية الجديدة اتجاه جديد أتى على المقومات التقليدية لهذا اللون من الأدب . ولم يكن ليتسنى لهذا الاتجاه الجديد أن يجيء إلا في وقتنا الحاضر ، عصر التجديد في الفن التشكيلي واللامعقول في الفن المسرحي ، والسوريالية في الفن التشكيلي ، والموجة الجديدة في السينما والصيحات الجديدة في الموسيقى والغناء والأفلام التسجيلية .

إن الواقع كما يراه كتّاب الرواية الجديدة ، أعقد وأعمق وأثرى بالمشاعر الجديدة من الروايات التي يمدنا بها الإطار التقليدي ، ذلك الإطار الذي انحصر فيه بلزاك وفلوبير وبروست وسيلين وغيرهم من كتّاب الرواية الفرنسية ، لذلك فإن الروائيين الجدد يسعون بالطول والعرض والعمق لابتكار أشكال مغايرة ، تعبِّر عن أحاسيسهم المغايرة . . تلك الأحاسيس الجديدة ، التي عجزت الأشكال التقليدية عن احتوائها ، واحتوتها بالفعل الأشكال الجديدة .

غير أن جديد النصف الثاني من القرن العشرين هو الذي سيلقي به كتّاب المستقبل جانباً ليسمحوا لإحساساتهم الجديدة ورؤاهم الجديدة أن تخرج إلى الوجود من خلال الأشكال الجديدة .

إن كل مدارس الأدب والفن مرحلية ، وهذا شيء طبيعي طالما كان الواقع في تغير وتطور مستمرين ، فكل مدرسة تعبِّر عن واقع ، وكل واقع متغير ، وهذا معناه أن المدارس الأدبية والفنية لا بد وأن تتغير . **وكما اختفت الرومانسية والواقعية والطبيعية والتعبيرية والرمزية والسوريالية ، سوف تختفي الرواية الجديدة ، إلا إذا كان لها ما يبررها من واقع الفن أو الفكر الإنساني المعاصر .**

أجل ، إن الرواية تجدد نفسها ، وهي تبحث بإلحاح واحتياج حقيقيين عن « التقاليد الجديدة » ، فلا تقفوا في طريقها ، ودعوها تخرج إلى الوجود لتحيا وتعيش ، وهذا ما عبَّر عنه آلان روب جرييه تعبيراً صريحاً موجزاً قال فيه : « لا نعرف ما ينبغي أن تكون عليه الرواية ، الرواية الحقيقية ونعرف فقط أن الرواية اليوم ستكون تلك التي سنكتبها اليوم ، وما علينا أن نشبهها بما كانت عليه بالأمس » .

نحن .. والرواية الجديدة

والسؤال الآن هو هذا :

هل نستورد الرواية الجديدة شتلة خضراء نزرعها في أرض الواقع العربي ليحذو حذوها كتّابنا المعاصرون ؟

وفي رأيي أن **الرواية الجديدة نبات أجنبي خالص** ، وأن اقتلاعه من أرضه نباتاً أخضر لزراعته في واقعنا العربي المغاير ، إنما هو « **تهجين** » أدبي لا ينفع وقد يضر ، وإنما الذي ينفع هو استيرادها « ثماراً » ناضجة وطازجة ، نتذوقها ونهضمها لا على سبيل الاستهلاك وإنفاق العملة الصعبة ولكن على سبيل التمثل والاستيعاب ، والإفادة منها في التعبير عن ذواتنا الأصيلة ، برواياتنا الخاصة التي تعبر عن كل ما فينا من هموم ، وعن كل ما يحدونا من أشواق ، دون أن نتعزل في ذات الوقت عن التيارات الإبداعية في عالمنا المعاصر .



بسم الله الرحمن الرحيم

إعلان مسابقة

يسر النادي الأدبي بأبها أن يعلن لجمهوره الكريم من المثقفين والباحثين السعوديين عن مسابقة ثقافية تخصصية عن هذا الموضوع :

تعتبر قبائل « شهران » من كبريات القبائل في منطقة عسير ذات أصالة ضاربة في أعماق التاريخ ، ولها إمتداد طبيعي يبدأ من الأغوار في تهامة حيث تقطن قبائل (بني ماجور والجهرة) ثم يمتد عبر جبال « الشعف » وسهول السراة حتى وادي « بيشة النخل » والمطلوب إعداد بحثين مستقلين عن هذه القبائل :

الأول : معجم جغرافي بالأسماء المشهورة من الأودية والجبال والمدن والقرى والهجر وموارد المياه والأسواق الإسبوعية والآثار مع إيراد نبذة موجزة عن المعالم الهامة منها .

الثاني : لمحة تاريخية عن هذه القبائل وتعداد بطونها وأفخاذها وذكر أسماء المشاهير من رجالاتها وشعرائها وفرسانها والإستشهاد بنماذج من أقوالهم وقصائدهم المأثورة مع التحدث عن العادات والتقاليد في الماضي والحاضر .

الجوائز :- وقدرها ستون ألف ريال مقدمة من

الشيخ / **عبد العزيز بن سعيد بن مشيط**

يخصص لكل صاحب بحث فائز من البحثين مبلغ ثلاثين ألف ريال ويمكن الجمع بين الجائزتين لمتسابق واحد إذا تقدم بالبحثين معاً وحاز على درجة الفوز .

الشروط :
١- يكتب البحث بلغة عربية فصحى مع إيضاح المصادر .
٢- يطبع البحث على الآلة الكاتبة وتقبل الكتابة باليد إذا كان الخط جيداً .
٣- يوضع البحث في ملف مرتب وترسل نسختان منه أحدهما الأصلية .
٤- يكتب إسم المتسابق وعنوانه في ورقة منفصلة عن البحث .
٥- تشكل لجنة متخصصة للتحكيم وقرارها نهائي ولها الحق في حجب الجائزة عن البحوث إذا لم تكن مستوفاه .
٦- لا ترد النصوص لأصحابها سواء فازت أم لم تفز .
٧- ترسل النصوص إلى النادي الأدبي بأبها « ص ب ٤٧٨ » في موعد أقصاه نهاية شهر ذي الحجة ١٤٠١ هـ .

هذا وسيقام حفل لتوزيع الجوائز في حينه . والله ولي التوفيق ،،

قصة قصيرة

للكاتب الإيطالي : ايتالو كلفينو
ترجمة : د . عيسى الناعوري

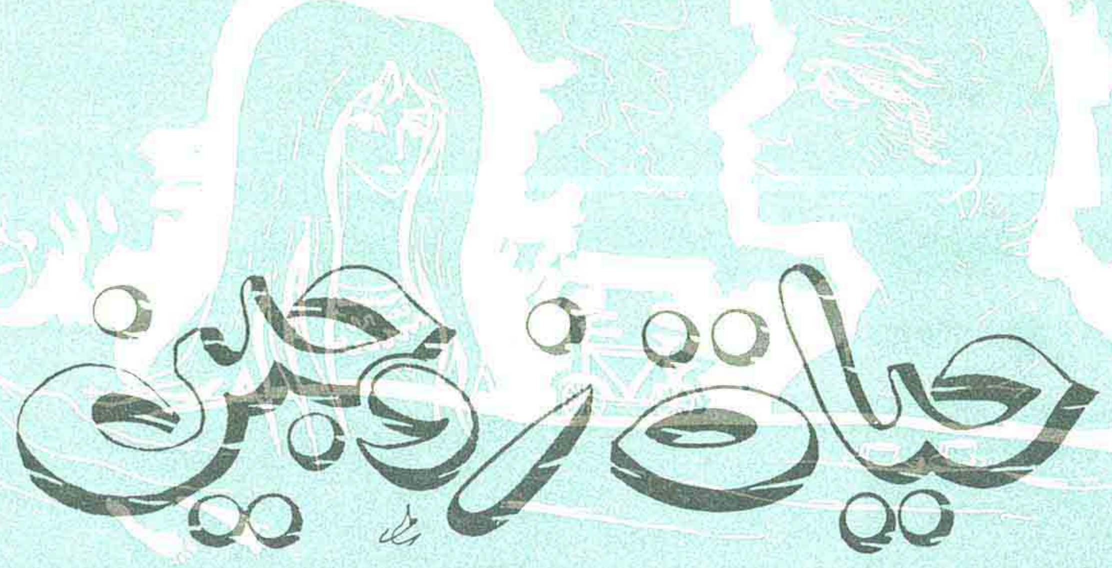
تعريف

(يعتبر ايتالو كلفينو بين كبار الروائيين والقصصيّين الإيطاليّين المعاصرين . وقد اختط في القصة والرواية أسلوباً طريفاً خاصاً ، يجمع بين تصوير الواقع والعاب الخيال الجموح . وهو من الأدباء الذين قفزوا في مرحلة الشباب الباكر إلى مرتبة شيوخ الأدب بسرعة فائقة .

(ولد ايتالو كلفينو في سان ريمو ، على الحدود الفرنسية ، في مقاطعة ليجوريا عام ١٩٢٣ م ، وبدأ حياته الأدبية بعد انتهاء العهد الفاشستي ، فانتقل إلى تورينو ، واتخذ منها مقراً له . وهو يعمل منذ الخمسينات إلى اليوم مديراً للنشر في دار ايناودي للنشر في تورينو ، في المكان الذي خلا برحيل الكاتب والشاعر الإيطالي الشهير (تشيزاره بافيزه) ، الذي انتحر في أحد فنادق تورينو عام ١٩٥٠ م . وفي دار ايناودي نفسها نشرت أقاصيص كلفينو ورواياته الكثيرة ، وقد نالت شهرة واسعة ، وترجمت إلى لغات أوروبيّة أخرى ، ونالت ثناء واسعاً من أقلام النقاد الإيطاليين وغيرهم .

(من مؤلفاته نذكر : درب عشوش العناكب – الغراب يأتي آخراً – الفيكونت المنشطور – الدخول في الحرب – البارون المتوثّب – الفارس اللاموجود – أقاصيص – المدن غير المنظورة . وقد أعيد طبع هذه الأعمال الأدبية مراراً متعددة) .

– المترجم –



حياة زوجين

كان العامل **آرتورو مسولاري** يعمل في النوبة الليلية التي تنتهي في الساعة السادسة صباحاً . ولكي يعود إلى منزله ، كان عليه أن يقطع مسافة طويلة على الدراجة ، عندما يكون الطقس حسناً ، وفي الترام في أيام الشتاء الماطرة . فكان يصل إلى المنزل في الساعة السابعة إلا ربعاً ، أو في السابعة ؛ أي أنه كان يصل أحياناً قبل أن يدق منبّه **السيدة (أليدة) زوجته** ، وأحياناً بعده بقليل . وكثيراً ما كان يختلط في ذهن أليدة صوت المنبّه ووقع الأقدام معاً ، إذ يطرقان سمعها في أعماق نومها : نوم الصباح الذي يلذّ لها أن تطيله قليلاً ، فتروح تدفن وجهها في المخدّة . ثم لا تلبث أن تتمطّى في سريرها ، وتنهض مندفعة ، فتدخل ذراعيها في كمّي الرداء بسرعة عمياء ، وشعرها يتهدّل على عينيها .

بهذا الشكل كانت تظهر في **المطبخ** ، في حين يكون آرتورو قد أخرج من **حقيبته** أوعية الطعام والشراب الفارغة التي كان قد حملها معه إلى العمل ، ووضعها على المغسلة ، وأشعل **الفرن** ووضع عليه **إبريق القهوة** . فما يكاد يبصرها حتى تمر بيدها على شعرها فترفعه عن عينيها ، وتحاول جاهدة أن تفتحهما ، كأنما هي تخجل من هذا الشكل الذي يراها عليه زوجها كلما عاد صباحاً : هذا الشكل المشوّش ، والوجه لا يزال في خمول النعاس . إن الأمر ليختلف كثيراً عندما يكون الاثنان نائمين معاً طوال الليل ، ثم ينهضان على حالة واحدة : حالة الخارج من النوم المشترك .

في بعض الأحيان كان يدخل هو إلى غرفتها ليوقظها ، حاملاً إليها فنجان القهوة ، قبل أن يدق المنبه بدقيقة واحدة . عند ذاك كان يبدو كل شيء في حالته الطبيعية ، فتأخذ يقظتها لوناً من الكسل اللذيذ ، فيرتفع ذراعاها العاريان ليطوّقا عنقه ، ويتعانق الاثنان . وكان آرتورو يرتدي معطفاً مشمّعاً ؛ وحين تحسّه بقربها كانت تعرف كم تكون الساعة عندئذ ، وتعرف ما إذا كان الجو غائماً ، أو كان هنالك مطر أو ثلج ،

حسب برودة المشمّع أو رطوبته . ومع ذلك كانت تسأله : « كم الساعة الآن ؟ » فكان يبتسم ابتسامة شبه تهكمية ، ويمضي يحدّثها عما لقيه في ليلته من حوادث مزعجة ، مبتدئاً من النهاية ، أي من ركوبه الدراجة في العودة ، والوقت الذي غادر فيه المصنع ؛ وهو يختلف عن الوقت الذي دخل إليه في الليلة السابقة ، ويحدّثها عن الخصومات في المصنع والعمل ، والأحاديث التي تدور هناك ، وهكذا .

في تلك الساعة يكون المنزل قليل التدفئة ، فتمضي ، رغم ما تشعر به من برد ، ويمضي هو بهدوء فيخلع ملابسه العليا ويغتسل ببطء ، ويمسح عن ظهره دهون المصنع وغباره .

وتنتبه أليدة حالا فتقول : « يا لله ! كم الساعة الآن ؟ ! » وتهرع لارتداء ملابسها في حركات سريعة ، ثم تمضي الفرشاة في شعرها صعوداً ونزولا ، وتنظر في المرآة وما تزال مشابك الشعر بين شفتيها . فيقف آرتورو خلفها وقد أشعل سيجارة وراح ينظر إليها وهو واقف يدخن ، وفي كل مرة يبدو عليه الاضطراب والانفعال لأنه لا يملك أن يفعل شيئاً . وإذ تنتهي أليدة من تصفيف شعرها ، ترتدي معطفها وهي تسرع الخطى في الممر ، فيتبادلان تحية خاطفة ، ثم تفتح الباب ، فما يلبث أن يسمع وقع خطاها سريعة على السلّم .

وكان آرتورو يبقى وحيداً يتابع وقع أقدام أليدة وهي تبتعد وسط الحديقة ، حتى إذا لم يعد يسمع خطاها البعيدة ، راح يتابعها بأفكاره ، فيسمعها تحثّ الخطى في الحوش ، ثم في البوابة ، ثم على رصيف الشارع حتى موقف الترام . وكان يسمع جيداً صوت الترام حينما يقف وتتدافع الأقدام صاعدة على درجاته القليلة . وعند ذاك يقول في نفسه : « لقد أقلها » . ويتصور زوجته وهي في وسط جماعة من العمال والعاملات في **الترام رقم (١١)** الذي ينقلهم إلى **المصنع** ، كعادته كل يوم . ثم يطفئ عقب السيجارة ، ويغلق النافذة ، ويضطجع على سريره في ظلام الغرفة .

إن السرير لا يزال كما تركته أليدة من جهتها حينما نهضت منه ، أما الجهة الأخرى فلم يمسّها أحد ، فكأنها رُتّبت في تلك اللحظة .

★ ★ ★

وفي موعد عودة أليدة في المساء يكون آرتورو قد نهض وراح يطوف بغرف المنزل ، وقد أشعل المدفأة ، ووضع شيئاً للطبخ . لقد كان يقوم ببعض أعمال المنزل في تلك السويعات التي تسبق العشاء ، كأن يرتب السرير ، ويكنس الغرف ، أو يضع الملابس التي تحتاج إلى غسل في الحمّام . وكانت أليدة ترى أن كل ما يعمله إنما يؤديه بطريقة خاطئة ؛ غير أنه لم يكن يبالي بذلك ، فقد كان همّه أن يتشاغل بالعمل في انتظار عودتها ، كأنما هو بذلك يستقبلها مع بقائه بين جدران المنزل ، بينما تضاء الأنوار في الخارج ، وتطوف هي ببعض المتاجر في وسط الحركة الناشطة في غير أوانها ، في الأحياء التي تكثر فيها النساء اللائي يشترين حاجاتهنّ وحاجات بيوتهنّ في المساء .

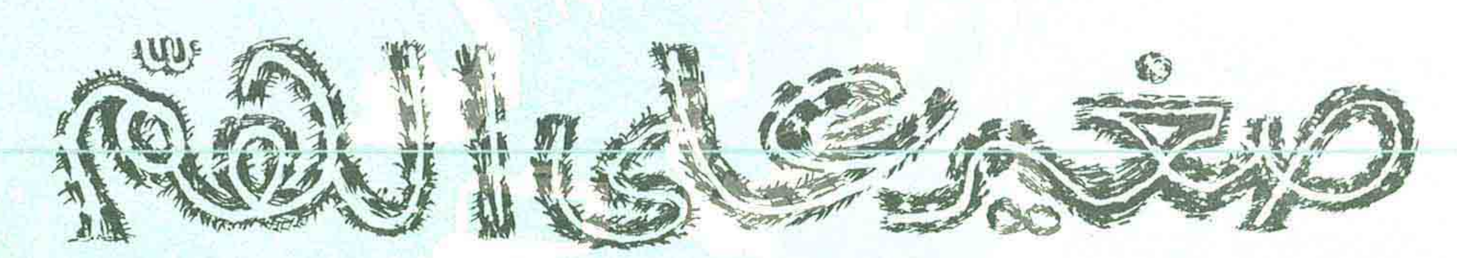
وأخيراً يسمع وقع خطاها وهي تصعد الدرج مختلفاً عنه عندما خرجت في الصباح : فهو الآن ثقيل بطيء ، لأن أليدة مجهدة من عمل النهار ، ومحمّلة بما ابتاعته من السوق في عودتها . فيهرع آرتورو إلى الخارج للقائها ويحمل عنها حملها ، ويدخلان معاً وهما يتحادثان . وإذ تصل إلى المطبخ تتهالك على كرسيّ هناك دون أن تخلع معطفها ، في حين يمضي هو فيفرغ السلّة مما فيها من أشياء . ولا تلبث هي أن تنهض بعد قليل فتخلع معطفها وترتدي ملابس البيت ، ويمضيان معاً في تهيئة طعام العشاء ، وطعام الوجبة التي يتناولها آرتورو في المصنع في الساعة الواحدة ليلاً ثم في فطور الصباح ، وكذلك للوجبة التي يتناولها عندما يستيقظ من نوم النهار . وكانت هي تندفع في العمل أحياناً ، وطوراً تجلس متعبة على كرسيّ من الخيزران وتقول لزوجها كيف يجب أن يعمل ، لأنه يكون قد نال قسطاً كافياً من الراحة . وكان هو مستعداً لأن يقوم بالعمل كله ، ولكنه يبدو مشتّت الذهن يفكر في أمور أخرى . وفي أثناء ذلك يكونان على وشك الوصول إلى الاختلاف أحياناً ، وإلى تبادل بعض العبارات الجافّة القاسية ، إذا تطلب منه هي أن يكون أكثر انتباهاً في العمل وأشد اهتماماً به ، أو أن يكون أكثر تعلقاً بها ، وأشد قرباً منها ليمنحها التعزية والراحة النفسية . أما هو فبعد الحماسة التي كان يلقاها بها عند وصولها ، كان تفكيره يأخذ في الانصراف إلى خارج المنزل ، وعليه أن يسرع في العمل لأن موعد انصرافه أصبح وشيكاً .

وما أن تُعَدّ المائدة ويصبح الطعام كله في متناول اليد فوقها ، لئلا يضطرا إلى النهوض عنها في أثناء العشاء ، حتى تأتي اللحظة التي تنغّص عليهما حياتهما ، لأن وقت بقائهما معاً قصير جداً ، فما يكادان يجدان وقتاً كافياً لرفع الملاعق إلى فميهما ، لتظل يداهما متشابكتين في حنان وألفة لذيذة . ولم يكن آرتورو ينتظر ريثما تسكب القهوة كلها من مصفاة الإبريق ، بل يسرع إلى دراجته ليطمئن إلى أنها في حالة جيدة . ثم يتعانقان وكأن تلك هي اللحظة الوحيدة التي يشعر فيها آرتورو بدفء زوجته . ثم لا يلبث أن يقود دراجته ويهبط بها الدرج . وتمضي أليدة فتغسل الصحون ، وتعيد ترتيب المنزل كله ، حتى الأشياء التي رتبها زوجها من قبل ، فتعيد ترتيبها وهي تهز رأسها متذمرة ، في حين يمضي هو على دراجته مسرعاً في الطرق المعتمة التي لا ينيرها إلا عدد قليل من المصابيح الخافتة ، ولعله قد تجاوز مكان مقياس الغاز .

بعد ذلك تأوي أليدة إلى سريرها وتطفئ النور .



بقلم : فاضل السباعي



في ذلك اليوم البعيد ، دخل آذن **المدرسة** علينا قاعة الدرس ، ليقترب من طاولة معلمنا « **زاهد أفندي** » ، ويقول بصوتٍ خرج من رأس شفتيه : « حرمة في الباب ... تطلب ابنها ! » ، مومئاً بيده إلى التلميذ الصغير ... الذي لم يكن إلاي !

أمي ، في باب المدرسة ، تطلبني !؟

كان قد شَجَرَ ، قبل أيام ، بين **أمي وأبي** خلافٌ شديد ، بينما كنا نحن الصغار نستعد للذهاب إلى المدرسة ، تدخلتْ فيه **جدتي** ، كعادتها ، مناصرة ابنها . ولما عدنا من المدرسة ظهراً ، لم نجد أمنا في البيت . وعلمنا أنها ، بعد ذهاب أبي إلى عمله ، القتْ ملاءتها على رأسها ، وضمّتْ إلى صدرها وليدتها الصغرى ، التي لم يتجاوز عمرها ثلاثة أيام ، ومضت إلى بيت أهلها ، في حَرَدٍ يعلم الله كم يطول ! والجدة ، الصارمة ، لم تحاول منع أمنا من مغادرة البيت ، بل إنها قالت بعد انصرافها على مسمع ممن حولها : « **لسوف تنالين جزاءك عاجلاً ، يا « فضيلة » ! كم نصحتك فما انتصحتِ !** » ، بذلك همست في أذننا فيما بعد زوجة عمنا الأكبر .

لفحني ، في خروجي إلى باحة المدرسة ، بردٌ ارتعد له جسمي الصغير ، فضلاً عما خالجني من خوفٍ ومن توقُّع للمجهول . وإزاء أمي ، المتجلببة بالملاءة السوداء ، وقفتُ في عتبة الباب ، مثل متهم صغير بجرم كبير لم يقترفه .. لا ، ولا شارك فيه أو رضي به على الاطلاق ... فأشبهتُ ، حقاً ، ريشة في مهبّ ريح !

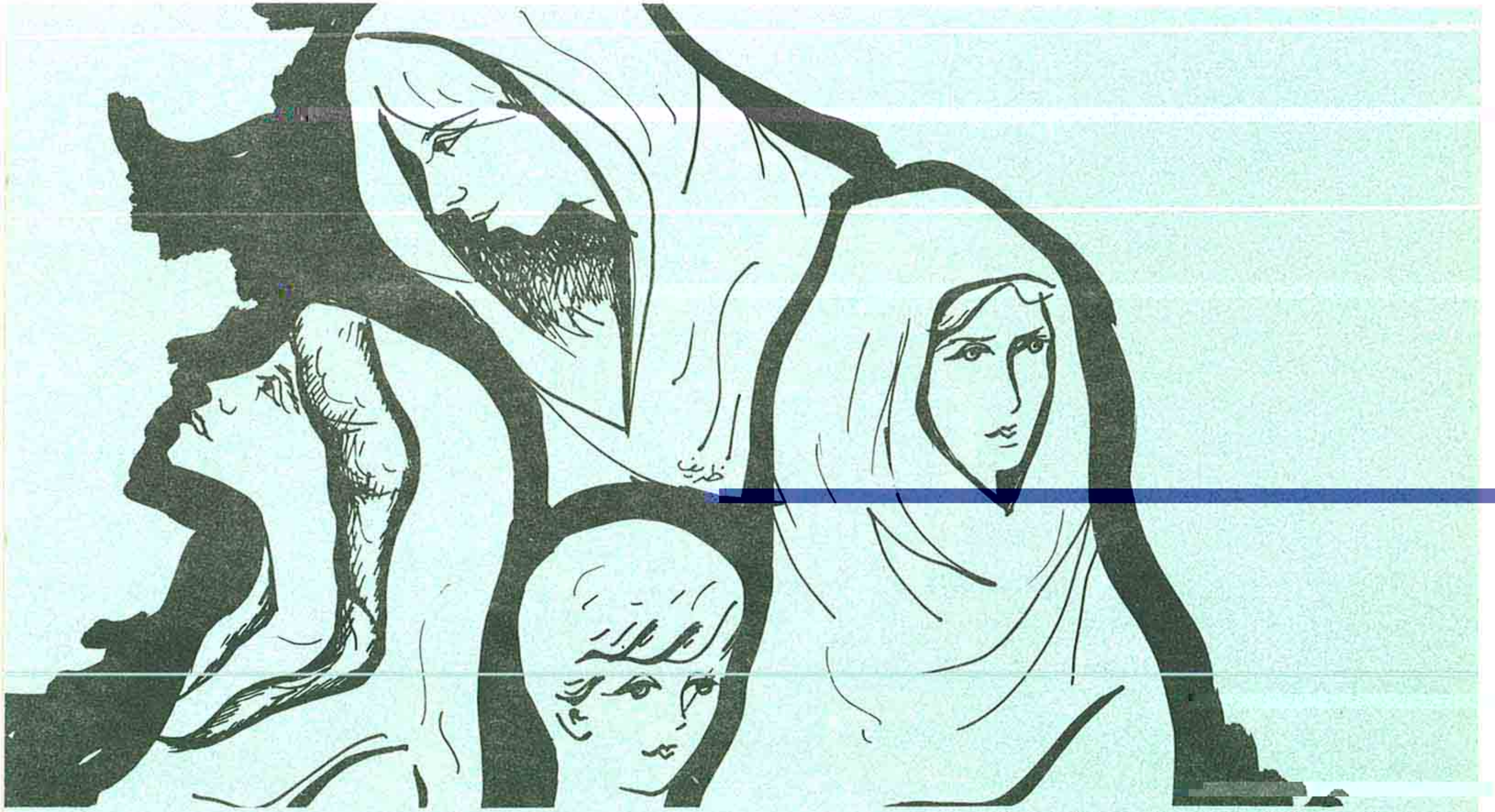
★ ★ ★

كان أبي قد بدا لنا ، في تلك الفترة من حياتنا ، دائبَ الشجار مع أمي ، التي كانت قد أنجبت له ـ عدا الوليدة الجديدة « ريم » ـ خمسة براعم : بنتان وثلاثة صبيان . وكان ما برح يتوعدها بأن يأتي لها بـ « **ضرّة** » ، إذا هي لم تصبح زوجة طيبة ومطيعة ! وكنا ، نحن الصغار ، نحار في معرفة ما ينبغي على أمنا أن تفعله حتى تنال رضا أبينا ، فيكف عن التلويح بوعيده ، ونحن الذين نراها تنهض في الأصباح الباكرة ، توقظ المتكاسل منا ، وتغسل الوجوه ، وتلم الفُرُشَ الممدودة على الأرض ، قبل أن تُقدم لنا طعام الفطور . وفي غيابنا في المدرسة ، تطبخ وتنفخ ، وتغسل الأواني والملابس وصحن الدار ... سلسلة من الأعمال متزايدة ، بتزايد الوافدين على البيت من أطفال يُنجبهم أبي ، المتوعد ، وما كانوا يهبطون علينا من السماء .

منذ أخذت بطن أمي ترتفع بجنينها الأخير ، لاحظنا أن أبي قد مال إلى مهادنتها على نحو ظاهر ، فخف ما بينهما من شجار ، وكف هو عن ترديد وعيده . ظننا أن ذلك كان منه مراعاة لما تستعد له زوجته من عطاء الأمومة ، مع أنه لم يبد نحوها شيئاً من عاطفة الحنان . وقد ظل كذلك حتى ما بعد ولادتها بأيام ثلاثة ، ثم نشب فجأة بينهما خلاف شديد ، لم تجد معه **النُفساء** مناصاً من أن تحمل وليدتها ، وتمضي إلى بيت أهلها !

هل كان ذلك أمراً مبيتاً ، من أبي ومن أمه الداهية ، أعدا له بتدبير وإحكام ؟

غادرت أمي البيت في ساعة ضحى . وقد افتقدناها في عودتنا من المدرسة للغداء . كانت قد تركت لنا « **رضوان** » الصغير وذهبت بأختنا الجديدة وحدها . وفي المساء ، كان شيء ما ، مريب ، يقع في بيتنا !



ــ **أبوك تزوج علي ، يا أنيس !!**

في باب المدرسة ، وقفتُ ، وجهاً لوجه أمام أمي الملتفة بالملاءة السوداء ، أرتجف من البرد ، ومن الحزن ، ومن إحساس بالذنب جعل يسوط ضميري ويعذبني .

كنت أكبرَ إخوتي الذكور ، وتكبرني أختي «**سعدى**» بعام وبعض العام ، وتليني «**ملكة**» و «**عامر**» . . . ولست أدري كيف تمكّن مني ــ أنا الصبي الذي لم يتجاوز العاشرة ــ شعور بأني الملوم في زواج أبي ، وأنه كان علي أن أحُول دون وقوعه ، ولكني لم أفعل في سبيل ذلك شيئاً أي شيء !

في ذلك المساء البارد ، كنا ، أنا وأختي الكبرى ، نجمع الأولاد في تلك الغرفة المرمية في أقصى الدار . مصباح شاحب ، منقل تخبو جذوته ، بساط وطراحة ، وشباك وحيد يطل على أرض الدار لولا أن يقطعه ذاك الدرج الصاعد إلى العلية .

ترامت إلى أسماعنا أصوات . وقفنا ، وراء الباب والشباك ، نستطلع . حتى «رضوان» الصغير أحب أن يشاهد ، فرفعتُه بين يدي . «**يا الله ! فيه أحد ، يا جيران ؟**» .

كانوا رجالا غرباء . وما كان لنا أن نفارق الغرفة ، كذلك حذرتنا الجدة . ولكن الغرباء أقبلوا ، هم ، نحونا . كانوا يَعْتِلون على أكتافهم ما يُشبه أن يكون متاع بيت ، صعدوا به الدرج إلى العلّيّة . وكان برفقة الغرباء نسوة ، غريبات أيضاً !

ارتفعت الزغاريد ، بعد قليل . فعرفنا أن عرساً يُقام في بيتنا ، وأنت غائبة ، يا أمي ! بعض أولئك الغريبات كن يتوقّفن ، في صعودهن الدرج ، وراء الزجاج ، ويحملقن فينا بعيون مفتحة : «فعددهم خمسة !» ، تُصحّح أخرى : «بل ستة . فعنده طفلة أخرى عمرها ثلاثة أيام ، أخذتْها أمها معها !» . وشهقت إحداهن ، ويدها على صدرها : «أولاد مثل الزهرات !» . . . كن يتفرّجن علينا ، يا أمي ، وكأننا حيوانات أليفة في قفص !

ــ **هل هي حلوة ، يا أنيس ؟**

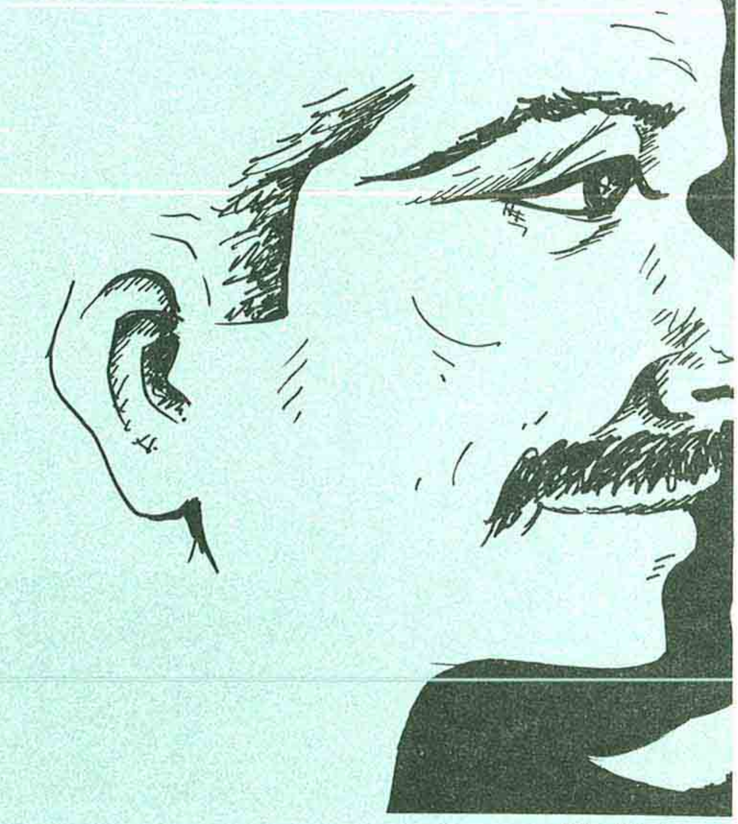
لم نرها ، تلك الساعة . فعندما ملأت الزغاريد أرجاء الدار ، والغريبات يتقدمن بها نحو الدرج ، كان الغم قد ملك نفوسنا . قمت أطفئُ الكهرباء ، وسعدى تحضنا :

«**ابكوا يا أولاد ! أبوكم يتزوج على أمكم !**» .

وفي العتمة ، أخذنا نـُعْوِل ، وكأننا في برية موحشة ، يا أماه ! ضحى اليوم التالي ، كانوا مجتمعين في غرفة جدتي . كانت هناك زوجة عمي ، والمرأة الجديدة ، وامرأتان من الأغراب ، وبينهن أبي وعمي .

طعامُ يوم الجمعة كان يُعد ، وقد أرادوه أن يكون «كبّة» أنواعاً . طلبوا أختي . أهبتُ بها : «**لا تذهبي ، سعدى ! لقد غدروا بأمنا !**» . ولكنها كانت حريصة على أن تتعرف إلى المرأة الجديدة ! هناك أخذتْ تُساعدهم في إعداد الغداء . بين وقت وآخر ، كانت إحداهن تجتاز المسافة ما بين غرفة الجدة والمطبخ .

وفي صحن الدار ، رأيتُها ، يا أمي ! كانت مكحّلة ، محمّرة ، مُبَوْدَرة ، وعلى خديها قرصان أحمران كبيران . ليست جميلة على الإطلاق . تلك اللحظة ، كانت سعدى عائدة إليهم ، فالتقتْ بها في صحن الدار . رأيت أختي ، المنظومة ، تربِت خدَّها ، قرب شجرة «**العسلة**» اليابسة ، قائلة لها : «**تسلمي لي ، ما أحلاك ،**



يا خالتي ! » .

تمزّقتْ أمي المـاً ، مرارة ، قهراً :

ــ آه ، ويسرقون مني أولادي !!

ــ ولكني أومأت لابنتك أن تأتي ، يا أمي . وأمام إخوتي سألتُـها : «**لماذا تتوددين إلى الغريبة ؟ إنها ضرة أمك !**» . فـانتزعت ، فجأة ، من بنصرها خاتماً صغيراً ، ورمته أرضاً ، وأخذت تبكي بحرقة : «**لن أقبل ، بعد اليوم ، هـدايـاها !**» ، وانضمت إلينـا . فلما عرف أبي ما حدث في غرفتنا ، أقبل علي صائحاً : «**مشـاكس ، عنيد ! لن تكون أسعد حالا من أمك !**» . وضربني ضربـاً مـبرّحاً أمام إخوتي . ولكن عيني ، أؤكد لك ، لم تذرف دمعة واحدة ، يا أمي !

ــ ويلاه ! اليوم ، بدأ الظلم والتعذيب بأولادي !

لم تـذرف عينـاي دمعـة وأنـــا أتلقّى الضرب مـن أبي . ولكـن الـدموع كـانـت قـد غسلتني غسـلاً ، لحظة أخذت أمـي رأسي بين يديها ، تمر بشفتيها على شعري ووجهي وعنقي ، فتختلـط دموعهـا بدموعي .

ــ أرأيت ما يفعل أبوكم بي ، يا حبيبي ؟ نَـفْساء ثلاثة أيام ، يُـزعّـلني ويَـخضّ بـدني ، حتى أذهـب إلى بيـت أهلي صباحاً ، والطفلة على يدي ، فيـتزوّج هـو في المساء !! إنـه يريد أن يقتلني ، يا أنيس !

تبيّن لي الآن ، أكثر من أي وقت مضى ، مبلغ القسوة الكامنة في قلب أبي . إنها قسوة لا يعدلها قط ما اعتاد أبي أن يتشكّى منـه مـن تصرفات أمي .

كنا نعرف أن أمنا تأوي بنا إلى النوم ، في بعض الليالي ، وقـد نـال التعب والإعياء منها كل منال . في حين يكون أبي منصرفـاً إلى شـأنه خـارج البيت . وساعة يعود في منتصف الليل ، تكون أمي قـد أوصدت باب غرفتنا بالمزلاج . هو يخبط الباب من الخارج ، وهي تقول له بعنـاد : «**عد من حيث أتيت !**» . وما كنا ، نحن الصغار ، نعـرف مـن أيـن يأتي أبونا متـأخراً ، ولا إلى أين يجب أن يعود ! ولكنا نعلم أنـه يضـطر ، آخر الأمر ، إلى المبيت عند أمه .

وفي الصباح ، تدافع أمي عن تصرفها أمام حماتها : «**لا أريد بقية زوج !**» . وجدتي تحذرها : «**إن ظللت ، يا فضيلة ، على هـذا العقـل ، هـه (وتُمسك بخصلة مـن شـعرها الحنّي) إذا لم يَـطْـقُـكِ بضرّة !**» .

سؤال حائر وثب إلى رأس لساني ، والدمع ما زال يسح من عيني :

لماذا . . . لماذا كنت توصدين الباب دونه ! أهـذا مـا جعلـه يأتي إلى بيتنا بالمرأة الغريبة ، يا أمي ؟!

ــ لو انفطر قلبي مـن الحـزن والقهـر ، وتـركتكم إلى القبر ، يا ولدي ، ترى من يعتـني بـكم ، ويغسـل لـكم ، ويُـغطّـيكم في الليل ؟ آه ، يـا حبيبي ! إن الجيران ، الـذين سمعوا الزغاريد عبر السطوح ، أوصلوا إلي الخبر !

في ذات نفسي هتفتُ : ويحهم ! ولماذا نقلوه ، وهم يعرفون أن أمي في النُّفاس ؟

ــ صبروا خمسة أيام ، وأخـبروني البـارحة . إذن ، فقـد تزوج يوم الخميس ، حتى يتفرغ لها نهار الجمعـة بطوله ! وأي غرفة أعطوها ؟

ــ العليّـة .

ــ ولي أنا ولأولادي الستـة ، الغـرفـة تحت الـــدرج ! يرضاها ربنا ؟ ما اسمها ، يا أنيس ؟

ــ « درية » .

ــ تَـلْـبَـق لها الأسماء ! هل تعرف عمرها ؟

ــ سمعتُها تقول : « عمري عشرون سنة إلا سـنة ! » . فنهـرتها جدتي : « قولي : ١٩ سنة ، يا درية ! » .

ــ آه ! وأمية أيضاً ، يا ولدي ، لا تعرف العـد أكثر من العشرة ! لم يعطوه أبا الستة ! طرق أبواباً كثيرة ، حتى وجـد هذه « الدرة » . أين سمعتها تنطق بعمرها ؟

ــ في بيت جدتي . بعد أن ضربـني أبي ظهـيرة الجمعـة ، جـاءت زوجة عمي تسترضيني ، وهمست في أذني أنه ما كان يجب أن يضربـني . وأخذتني إليهم . وهناك قبّلتُ يده .

ــ وهل قبّلت يدها ، ابني ؟!

ــ لا ، أمي . هي قبّلتني من جبيني ، وقدمت لي حلوى .

ــ آه ، يا ربي ! من أين جاءنا هذا البلاء الأعظم ؟ قبل الضرّة ، ما كانت حياتي معه تُطاق . لن أعود ولو قطعوني وفرموني ! آه ، يا ولدي ! من يغطيكم في الليل إذا انحسر عنكم اللحاف ؟ من يقدم لكم الطعام ثلاث وقعات في اليوم ، أو أربعاً ؟ من يغسل لكم ؟ من أشرف على استحمامكم الأسبوع الماضي ؟

ــ أنا وسعدى ، يا أمي .

ــ والغسيل كومتموه . من يغسله ؟... آه ، من فساد أبيك ، يا ولدي ! رجل ما في الدنيا أسوأ منه ! هل تعدني أن تكون إلى جانبي دائماً ، يا حبيبي ؟ (وطوقتني بذراعها ، ودموعها تنهمر على وجهي) تنصرني عليه ، هذا الظالم الذي عذبني وأهانني ! تجبر خاطري ، يوم تصبح رجلاً ، يا ولدي ، يا حبيبي ، يا أنيس ؟!...

★ ★ ★

لم تغادر أمي باب المدرسة ، إلا لحظة ترامى إلينا رنين الجرس . فتركتني مبلل الوجه ، مكلوم الفؤاد ، مفعم القلب رجاء في أن أشد من أزرها متى آن لي أن أشب عن الطوق .

ما خطوتُ سوى خطوتين ، حتى وجدتني وجهاً لوجه أمام **زاهد أفندي** ، الذي بدا لي كما لو أنه كان كامناً وراء الباب . استوقفني ، وراح يستفسرني بفضول زاد في إيلامي :

« هذه أمك ، إذن ؟ ما سبب خلافها مع أبيك ؟ منذ متى وهي حردانة في بيت أهلها ؟ كم عدد إخوتك ؟ وهل جدتُك قوية إلى هذا الحد ؟ » ...

وأكثر ما أثار غضبي تساؤله :

« ولكن ، لماذا تزوج عليها أبوك ؟ إنها حلوة ! » .

في البيت ، كتمت عن أهلي خبر زيارة أمي ، وما أسررتُ به إلا لأختيّ سعدى وملكة . بدأنا نألف وجود **« زوجة الأب »** بين ظهرانينا ، بمقدار شقائنا من غياب الأم الحانية الخدوم .

جدتي ، الداهية ، تركت الأيام تكر ، أملاً في تليين عريكة الأم الغاضبة الجريح ، وفي إثارة حنانها وعطفها على فلذات الكبد المتروكين . حتى إذا تراءى للجدة أن قد آن الأوان ، بعثتْ بنا ــ نحن الأولاد الخمسة ــ إلى أمي ، برفقة زوجة عمنا التي لم يُقدَّر لها أن تُنجب ، وذلك بعد أن تم تلقينُنا درساً في أن نرفع أصواتنا بالبكاء لحظة نلتقي بأمنا ، وأن نرتمي في أحضانها ، متوسلين إليها أن تعود بصحبتنا إلى البيت !

لما رأى جدي ابنته ، تضعف أمام عاطفتها الدفاقة ، أخذته العزة وثارت في نفسه الكبرياء ... فأنشأ يقول ، ولحيته البيضاء ترتجف من الانفعال :

ــ « اسمعي ، يا بنتي ، يا فضيلة .. زوجك لا يرجى منه خير ، ظالم ومتغطرس ! تذكري قولي : ستجدين أمامك درباً طويلاً من الظلم والعذاب والشقاء ! لولا أن عندك منه ستة أولاد ، لحملتك على أن تتركيه ، وأنت في ريعان شبابك ! » .

والتفت إلى زوجة عمي :

ــ « لماذا لم يكلف نفسه ، صهري العزيز ، عناء المجيء إلينا لاصطحاب زوجته ؟ خجلان من فعلته ؟ أم لأننا أفقر منه حالا ؟ سلّمي لي عليه ، وفهّميه أن القرش لا يجلب سعادة ، ولا يجعل من الظالم إنساناً عادلا ! » .

عادت أمي كسيرة الخاطر إلى بيت الزوجية ، لتعيش على نحو ما وصف جدي . وإنها لتسمع من حماتها ، كلما ثارت فيها كرامة الزوجة المطعونة : « **كم قلت لك يا كنّتي ، فما سمعت !** » .

والمعلم ، الذي استرق السمع والنظر ، يسألني كلما عنّ له : « ألم تعد أمك إلى أبيك ؟ » ... ومنذ قلت : « عادت » ، تغيّر سؤاله : « هل تجدد الشجار بينهما ؟ هل تعيش الضرّتان في وئام ؟ وأبوك ، هل يُفضّل الأولى أم الثانية ؟! » . ولله درّه ! لقد ظل زمناً يلاحقني بتساؤلاته السخيفة ، التي لم أكن أملك الاحتجاج عليها ولا نقلها إلى أمي أو أبي ... وما كف ، إلا بعد أن شاع بيننا نحن تلامذة المدرسة أن « زاهد أفندي تزوج بثانية ! » .

وفي سلسلة المظالم ، التي أحكم طوقها حولنا منذ وطئت زوجة الأب درج العلية ، سمعنا زوجة عمي ، العاقر ، تردد : « نزّلوا عليها ضرّة ، ولم يشفع لها أنها أعطتهم ستة أولاد جواهر ! » . ومن يومئذ ، ازدادت تقرُّباً من حماتها ، وانحيازاً ضد أمي ... أمي التي ظلت تعطي الأسرة أولاداً ، ثم لا تلق إلا الظلم والجحود .

وأما أمل أمي ، في أن أشد من أزرها وأدفع عنها ما يَحيقُ بها من ظلم ، فقد كان يتصاعد مع الأيام تصاعد ما تتلقاه أمي من عناء وشقاء . فأورثني الوعد ، الذي قطعتهُ على نفسي ، همّاً ثقيلاً حملتهُ على كاهلي قبل الأوان ... وما كان أصغرني على حمله ومعاناته ، وأنا أدرج في مراتع اللهو وملاعب الصبا !



بقلم: عبد الله عمر باحكم



هذه حكاية عن طفل صغير، في يوم عيد؛ يوم الصغار المنتظر! والعيد يوم نهيء فيه أنفسنا للفرحة... ! إنه يوم فرحةٍ حتمي.. وعيد الصغار لا يكتمل إلا بالنقود..

وما ألذ النقود!! وما تشتريه من أشياء!

إنها «شيء» مفرح بذاتها، لا تأتي «مكملة» للعيد.. لا.. فهي كل العيد. ينسى الصغير عداها كل شيء؛ وبدونها لا يفرح بأي شيء..!

يا لتلك السعادة الفياضة؛ التي تتركها في النفوس تلك الوريقات الزاهية، الملونة، الوامضة..؛ غامرة القلوب بالبهجة.. والتي تأتي بأشياء كثيرة!

أية أعجوبة صنعها الإنسان.. ليسعد بها نفسه؟!

والنقود.. ليست شيئاً صالحاً للتغزل. لكن ما تفجرّه في النفس من براكين الفرح، والثقة بالذات... شيء لا يمكن تصويره!

يكفي ان تمتلك كمية منها.. وعليك مظاهر ما أمدتك به تلك الكمية؛ لتحس حينئذٍ بطاووس يتقمصك.. وأنت تسير سعيداً مختالا.. توزع على الناس شذى أريحية متوسمة، تطل من بين قسماتك. وليس ضرورياً أن تكون واهباً.. بل يكفي أن تكون مالكاً لها.

والكبار دائماً ما يكونون أقل صدقاً مع أنفسهم ومع غيرهم.. وهم يرددون:

أوه.. «الفلوس».. لا تعني شيئاً اطلاقاً.. فالمرء غني بذاته.. لكن نقوده لا شيء..

وقد يعتصر القائل الضياع وفقدان الأهمية.. لو رأى امرأته تكاد تجن من أجل الحصول على فستان أعوزه ثمنه.. يتأملها وهي «تتعذب» كأنه يشاهد قطة جائعة.. حرمها من «ورك» دجاجة ميتة..

أمّا الصغار.. فلا جدال في أهمية النقود عندهم.. وأهميتهم وهي معهم وقناعتهم بذلك مطلقة ومؤكدة.. بعد ما رأوا.. أنها الوسيلة الوحيدة.. التي تجلب لهم حبيبات «البلي» الزجاجية الملونة.. والمزيد من زجاجات «المياه الغازية الفوّاره». وكافة أنواع «الحلوى».. واللبان «البلّوني».

حساباتهم كثيراً ما تبتدأ هكذا:

قطعة اللبان بقرش واحدٍ فقط.. وأربع «بليّات» بقرش آخر.. أيضاً.. فما مقدار ما تجلبه خمسة ريالات.. العديد.. العديد.. من مثل هذه الأشياء الجميلة المفرحة.. وأما العشرة ريالات.. فتلك إذاً ثروة بلا شك.. ولهذا فدائماً ما يقتنعون بطلب قرش واحدٍ لا غير.. من آبائهم وأمهاتهم.

أحياناً.. يثب الصغير ناحيتك.. ويقف تجاهك.. ويخبرك في زهو مَنْ عَقَدَ صفقةً نادرة مربحة بأن عنده اليوم «فلوساً» كثيرة. تسأله:

كم ؟ فيرد مؤكداً بأن معه خمسة ريالات كاملة . ولا ينكمش أو يهتز كما تتوقع من جراء التفاوت بين حديثه عن الثروة التي يملكها اليوم وتصريحه [illegible] . . بل يخشى أن تستكثرها عليه أو تسرق بعضها منه . لا تفكر مليًّا أنت وبلا قصد تستنكر قائلاً : ــ خمسة ريالات «فقط» ؟ ! . . يحيّر الصغير موقفك ويظنك لا تعرف قيمة المال !

لا زلت أتذكر تلك السعادة الجبّارة . . التي تفجرت كالنهر . . في نفس صغير ــ رأيته ، أعرفه ، وتتبعت وجهته ــ كان يلبس ثياب عيده الجديدة ، ويحمل في جيبه عشرة ريالات كاملة . . ورقة خضراء . . تسر الناظرين .

من في مثل سعادته ساعتها ؟ لا أحد مثله إطلاقاً !

عشرة ريالات كاملة . . حصل عليها بلا صراخ ، وبلا زعيق !

وقد كان يمثّل الغضب والهياج . . إلى حد الاضراب عن الطعام ، أو التهديد بترك المنزل . . حتى تنفحه أمه نصف ريال . . أو بضعة قروش . . يشتري بها مؤونة يوم كامل من اللبان .

أمّا ــ ومعه عشرة ريالات ــ فقد ظن أنه غدا في أهمية الكبار تماماً ، وبحوزته مثل ما يمكن أن يملكوه من نقود ! فبوسعه أن يقصد متجراً «للحلويات» ويحصل على تشكيلة رائعة منها . . يفتتح بها بدوره متجراً . .

وبمقدوره أيضاً أن يشتري بعض ما يشتريه الكبار . . وعلى كل فهو لا يجيد قيادة السيارات ما زال صغيراً لم تُتح فيه الحكاية ولا ينصرف عن هذا التفكير . . وإلا لتخيل أنّ بإمكانه اقتناء سيارة ! وما معه كافٍ لابتياع عربتين صغيرتين من تلك العربات التي تسير بالبطارية والتي كان يظن ــ عندما كان أصغر قليلاً ــ بأنها ربما تكبر معه ، ولا زال يتذكر ذلك اليوم . . ويتعجب !

وتتداخل في نفسه خواطر عن ما يجب أن يفعله الكبار . . ويحسن به أن يقلده . . وما تجبره على الاتيان به عواطفه من تصرفات . . هي تصرفات الطفل الصغير !

فهو يهوى اللعب بكرات البلّي الزجاجية الملونة ، ويغرم بتناول الحلويات ويتلهف على الجري والوثب أمام منزله .

وتتحسس ما معه . . عشرة ريالات كاملة . . تنام في جيبه . . يظنها كافية لشراء خروف .

ماذا لو حمل «خروفاً» إلى أمه ؟ !

ستدهش حتماً . . وتطري رحجان عقله ! . . وتحس أنه قد كبر . . ولم يعد طفلاً يبعثر النقود . . وأصبح قادراً على شراء الأشياء «الكبرى» مثل أبيه !

لكن العشرة ريالات هذه لن يحاسب عليها . . فهي «العيدية» التي كتب عليها أن تضيع وأن تنفجر «صواريخ ورقية» ولفيفات مفرقعة «فراقيع» كقنابل الجند الحقيقية تخيف الكبار أحياناً بقدر ما تضحك الصغار . . وتملأ أذهانهم حبوراً ، وتتطاير مع أعواد «نجوم الليل» الفسفورية .

إنه عيد . . يجب أن نفرح به . . وتلك هي أبرز صور اللهو والفرحة فيه ، صغيرنا مضى ، يطوف «بالجواري» والأزقة . يقف إزاء متاجر اللعب الصغيرة ، و «المباسط» المصفوفة على جوانب الطرق ونواصي الشوارع والتي تظهر مع كل عيد . . يلف ويدور ، يبحث عن الجديد لينتقيه . .

يدخل المحال بجرأة منتصباً واثقاً بنفسه ، لا يعتريه وجل ولا تلعثم ، يراوده إحساس بأن الكل يرحب به . . كيف لا ! ؟ وهو قادر اللحظة على أن يخرم عين أي كبير ــ يستهون بشأنه ــ بورقته الخضراء هذه !

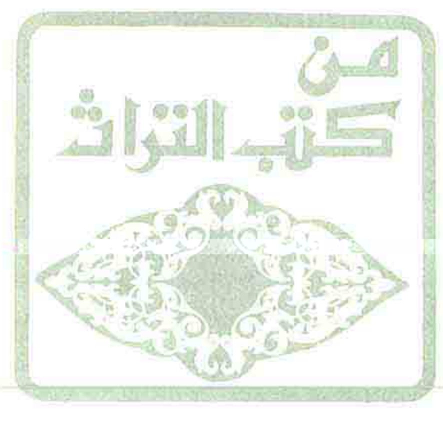
وتوقف متأملاً ما هو معروض فوق إحدى «المصاطب» المنصوبة في ركن شارع ؛ كل ما عليه «لعب متنوعة» ، وتخلو من الحلوى الرخيصة الثمن . . واللبان . . لذا لم تكن هدفاً لجل الصغار ذوي القروش القليلة . .

كان الوحيد الشجاع الذي وقف أمامها متفحصاً . . تمعن المعروضات بروح من العزم على امتلاك إحداها وشعور الإعجاب بما يراه . . وعندما خاطبه البائع أحسّ تاماً بمقدار ما في عباراته من إغراء له وحث على الشراء . .

وقبل أن يمسك البائع بأرخص الموجود ليريه له ، وقف شيخ عجوز رث الثياب وبصوت خفيض فيه ضعف طلب منه أن يعطيه بعضاً مما أعطاه الله . . وشرح الشيخ موجزاً حالة ابنته الصغيرة وحاجتها إلى دواء لا يقدر على شرائه .

حاول البائع أن ينهره وقد ارتسمت بخاطره صور شتى لأساليب الاستجداء ، لكنه أحجم وتردد ودون أن يدعه يكمل وصف أزمته أو يعاود السؤال قال في لامبالاة : ــ إن الله كريم أيها العم ، وهو يهم بأن يعرض على الصغير اللعبة التي اختارها له . . ويتأهب لأن يسرد له مزاياها . .

لم يترك صغيرنا لنفسه فرصة للتفكير يقتنع خلالها او يتيقن من صدق حاجة ذلك الشحاذ لتلك النقود . . رغم كثرة المستجدين . . وإعراض الكثيرين عن التصدق ولم تقيّده رغبة التملك . . فقد شدته المأساة . . وثارت في نفسه دوافع الشفقة ودعاه داعي الإحسان على المسكين والعطف على الضعيف ، وبلا تردد أخرج النقود من جيبه . . العشرة كاملة . . سلّمها للشحاذ وقال في عزم وصدق وصفاء سريره : ــ خذ . . اشتري الدواء .



كتاب الحيوان للجاحظ

تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون

(الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي هذا العام)

الطبعة الثانية ١٩٦٥م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

إعداد وعرض : رقتية صالح طه

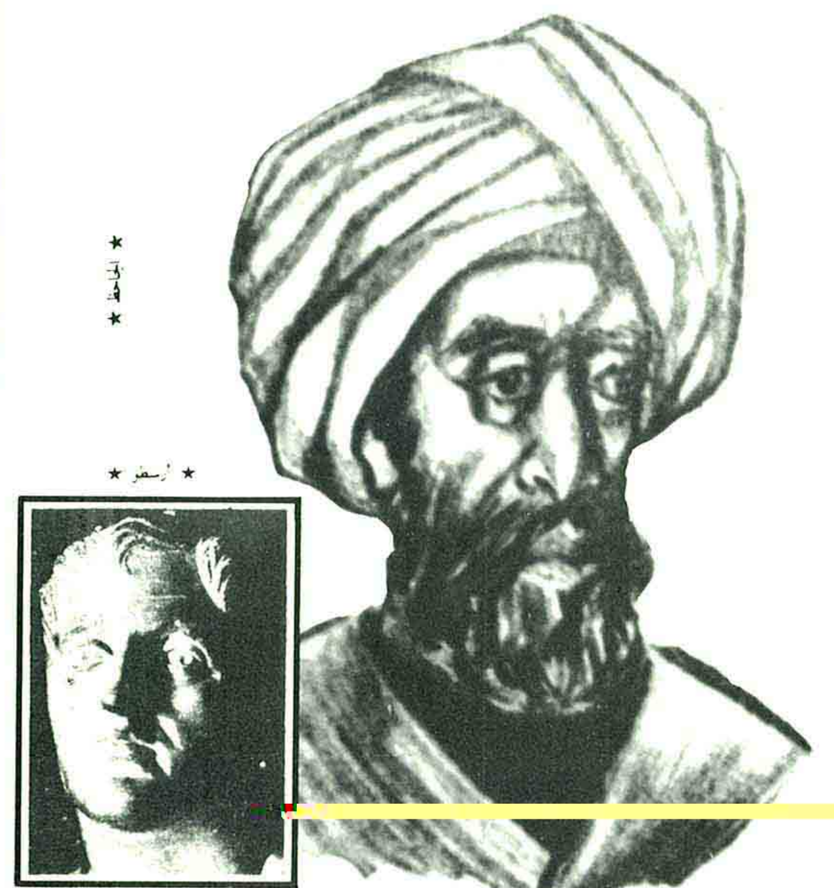
التعريف بالمؤلف

هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، الليثي ، أبو عثمان ، الشهير : بالجاحظ كبير أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة . مولده ووفاته في البصرة . فلج في آخر عمره . وكان مشوه الخلقة . مات والكتاب على صدره . قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه .

عاش **الجاحظ في العصر الذهبي** للأمة العربية : عصر **هارون والمأمون** ، والعلوم والآداب والفنون يومئذ تزخر بها **معاهد البصرة وبغداد والكوفة وقرطبة** ، وسائر عواصم الإسلام ، ولقد عاصر الجاحظ ثلاثة ممن ضربوا بسهم كبير في وفارة الإنتاج الفكري والتأليف ،

وهؤلاء هم : **أبو عبيدة معمر بن المثنى ١١٠ ــ ٢٠٩ هـ** ، وكان من أهل **البصرة** ، وتصانيفه تقارب مائتي مصنف ، والثاني **أبو الحسن علي ابن محمد المدائني ١٣٥ ــ ٢٢٥ هـ** ، له نحو مائتين وأربعين مصنفاً والثالث هو : **هشام بن محمد الكلبي الكوفي** ت ٢٠٦ هـ ، له نحو ([illegible]) كتاباً .

ولقد عاش **الجاحظ** ما بين ١٦٣ ــ ٢٥٥ هـ/ ٧٨٠ ــ ٨٦٩ م .



★ الجاحظ ★

★ أرسطو ★

من مؤلفاته

خرج **الجاحظ** عن زهاء (٣٦٠) مؤلفاً في ألوان شتى من المعرفة، ولقد ذهب معظمها، من كتبه نذكر: **البيان والتبيين، سحر البيان، التاج، البخلاء، المحاسن والأضداد، ذم القواد، تنبيه الملوك، مسائل القرآن، النبي والمتنبي، جمهرة الملوك، الأصنام، صياغة الكلام، الاستبداد والمشاورة في الحرب، الربيع والخريف، المعلمين، الجواري، النساء، البلوان، المغنين.**

والخليفة **المأمون** العباسي، كان من قراء **الجاحظ** ومن المقدرين لعلمه وفضله في كتبه.

وكانت كتب **الجاحظ** تذاع وتنتشر، وتطير إلى الآفاق، في حياته، للرغبة الملحة فيها، ولحرص الناس على ما فيها من خير كثير.

وكان **الجاحظ** أول واضع لكتاب عربي جامع في علم الحيوان، وقد كان قبله وفي عصره محاولات شتى لطائفة من العلماء. علماً بأن اليونانيين كانوا قد سبقوا العرب في التأليف في علم الحيوان ككتب: **ديمقراطيس، وأرسطاطاليس، وأرسطو.**

كتاب الحيوان

يقع هذا الكتاب في **ثمانية مجلدات أنيقة**، من إصدار **مكتبة الجاحظ في القاهرة**، ولقد نال هذا الكتاب **الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمي** في المسابقات الأدبية التي نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠م.

ولقد اعتمد الجاحظ في تأليفه لهذا الكتاب على خمسة أمور رئيسية:

- **أولها:** الينبوع الذي لا ينضب من القرآن الكريم والحديث الشريف.
- **الثاني:** الشعر العربي وبخاصة البدوي منه.
- **ثالثها:** كتاب الحيوان لأرسطو.
- **رابعها:** المنازعات الكلامية التي ولدها المعتزلة.
- **خامسها:** الخبرة الشخصية للمؤلف نفسه.

ولقد ألف الجاحظ كتابه «**الحيوان**» وهو في سن عالية، والفالج الشديد وقال **الحصري**: «ومن إحدى عجائبه أنه ألف كتاب الحيوان وهو على تلك الحال».

المجلد الأول

بدأ هذا المجلد بمقدمة بلغ عدد صفحاتها (١٠٥) صفحات، ولقد ذكر **الجاحظ** في بداية المقدمة ما يلي: «**جنبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة سبباً، وبين الصدق سبباً، وحبب إليك التثبت، وزين في عينك الانصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عز الحق، وأودع صدرك برد اليقين، وطرد عنك ذل اليأس، وعرفك ما في الباطل من الذلة، وما في الجهل من القلة**».

ثم يتعرض الجاحظ لذكر عدد من المصادر والكتب والأشعار التي رجع إليها، ولموضوعات أخرى مثل: قتل **لقمان بن عاد** لنسائه وابنته، حديث **سنمار**، عناية العلماء بالملح والفكاهات، أقسام الكائنات، تقسيم النامي، تقسيم الطير، تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم، وسائل البيان، ما يعجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان، مزج الهزل بالجد في الكتاب، نعت الكتاب، كون الاجتماع ضرورياً، البيان ضروري للاجتماع، خطوط الهند، نفع الحساب، فضل الكتابة، فضل القلم، فضل اليد، فضل الكتاب، السماع والكتابة، حرص الزنادقة على تحسين كتبهم، **مسجد دمشق**، صفة كتب الزنادقة، فضل التعلم، التخصص بضروب من العلم، جمع الكتب، ضروب من الخطوط، أقوال الشعراء في الخط، الكتابات القديمة، فضل الكتابة وتسجيل المعاهدات والمحالفات، الرقوم والخطوط، الخط والحضارة، تخليد الأمم لمآثرها، تخليد العرب لمآثرها، طمس الملوك والأمراء آثار من قبلهم، تاريخ الشعر العربي، **صعوبة ترجمة الشعر العربي**، قيمة الترجمة، شرائط الترجمان، ترجمة كتب الدين، مشقة تصحيح الكتب، بين أنصار الكتب وأنصار الشعر، ما ابتدعه **الحجاج** من السفن والمحامل الجهازات، الترغيب في اصطناع الكتاب، الكتاب قد يفضل صاحبه، أفضل الكتب، مواصلة السير في خدمة العلم، **كتب أبي حنيفة**، وجوب العناية بتنقيح المؤلفات، تداعي المعاني في التأليف، مقايسة بين الولد والكتاب، ما ينبغي أن تكون عليه لغة الكتب، وموضوعات أخرى.

ثم يتعرض بعد هذه المقدمة إلى باب وضعه تحت عنوان (**ذكر ما يعتري الإنسان بعد الخصاء وكيف ما كان قبل الخصاء**).

أما **الباب الثاني** فقد جاء تحت عنوان: (**ذكر ما جاء في خصاء الدواب**).

وجاء **الباب الثالث** تحت عنوان: (باب مما قدمنا ذكره، وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق) أما **الباب الرابع** فقد ورد تحت عنوان (**باب ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معايبهم**) وينتهي المجلد الأول الذي يبلغ عدد صفحاته ٤٨٠ صفحة بباب: (ذكر من هجا مأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس)، ولقد استشهد ببعض أبيات الشعر، نذكر منها:

قال **الفرزدق**:

إذا أسدي جاع يوماً ببلدة
وكان سميناً كلبه فهو آكله

وقال **مساور بن هند**:

بني أسد إن تمحل العام فقعس
فهذا إذن دهر الكلاب وعامها

وقال **حسان بن ثابت** يذكر هذيلاً :

إن سرك الغدر صرفاً لا مزاج لـه
فأت الرجيع وسل عن دار لحيان
قوم تواصوا بأكل الجار بينهم
فالكلب والشاة والإنسان سيان

المجلد الثاني

ويقع هذا المجلد في (٣٨٣) صفحة ، ولقد خصص للحديث عن **الكلب** .

قال **طفيل الغنوي** :

أناس إذا ما أنكر الكلب أهله
حموا جارهم من كل شنعاء مطلع

وقال : بأن جميع أصحاب المعارف قد أكدوا بأن **الكلب أشد ثباتاً وأصدق حساً** .

وقال أيضاً بأن **داء الكلب ينتقل بالوراثة** وأثبت ذلك بقصة رواها عن **الأسور بن أوس بن الحمرة** .

كذلك أورد **الجاحظ** مقايسة بين **الكلب والديك** ، ومقايسة بين **الكلب والثعلب** ، وأخرى بين **العصفور والكلب** وغيرها . وعن أنفة الكلب قال الجاحظ : إن الكلب لا يرضى بالنوم والربوض على بياض الطريق ، وعلى عفر التراب ، وهو يرى ظهر البساط ، ولا يرضى بالبساط وهو يجد الوسادة ، ويرضى بالمطارح دون مرافق المطارح فمن نبله في نفسه أنه يتخير أبداً **أنبل موضع في المجلس** ، ولقد اتخذ **معاوية** المقصورة لأنه رأى كلباً على منبره .

المجلد الثالث

وهو يقع في (٥٤٧) صفحة ، خصص منها حوالي ٣٠٠ صفحة للحديث عن **الحمام** ، وفي الصفحات المتبقية تحدث **الجاحظ** عن **الذبّان والغربان والجعلان والخنافس** ، وعن **الهدهد والرخم والخفاش** .

المجلد الرابع

وهو يتألف من (٥٠٣) صفحات ، تحدث فيها **الجاحظ** عن :

الذرة والنمل ، القرر والخنزير ، الحيات ، خشاش الأرض ، وموضوعات أخرى كالقول فيما اشتق لـه من البيض اسم والقول في النيرات .

المجلد الخامس

ويقع هذا المجلد في (٦١١) صفحة ، تحدث فيه المؤلف عن النار وعن الصفد والخلاف والوفاق ، وعن الماء ، وعن مديح النصارى واليهود والمجوس والأنذال وصغار الناس ، ثم تعرض لأجناس الطيور التي تألف دور الناس ، وللعقارب والفأر والجرذان والسنور والبرغوث والبق والجرجس والشران والفراش والعنكبوت والنحل والقراد والحبارى والضأن والماعز والضفادع والجراد والقطا ثم انتهى بإيراد بعض النوادر من الشعر والحديث .

المجلد السادس

وهو مؤلف من (٥١٥) صفحة خصصت للحديث عن **الضب** ، وعن **أسماء لعب العرب** ، وعن القول في **تفسير قصيدة البهراني** ، وتحدث هذا الجزء أيضاً عن **الأعراب الذين ادعوا بأنهم يرون الغيلان ويسمعون عزيف الجان** ، ثم تعرض للأرنب ، وللهجرس ، والقنفذ والضبع واليربوع والورل وأشباه ذلك . كما تعرض إلى النوادر والأحاديث التالية :

باب نوادر وأشعار وأحاديث ، باب من القول في العرجان ، باب أحاديث في أعاصيب المماليك ، باب عن الشهب واستراق السمع .

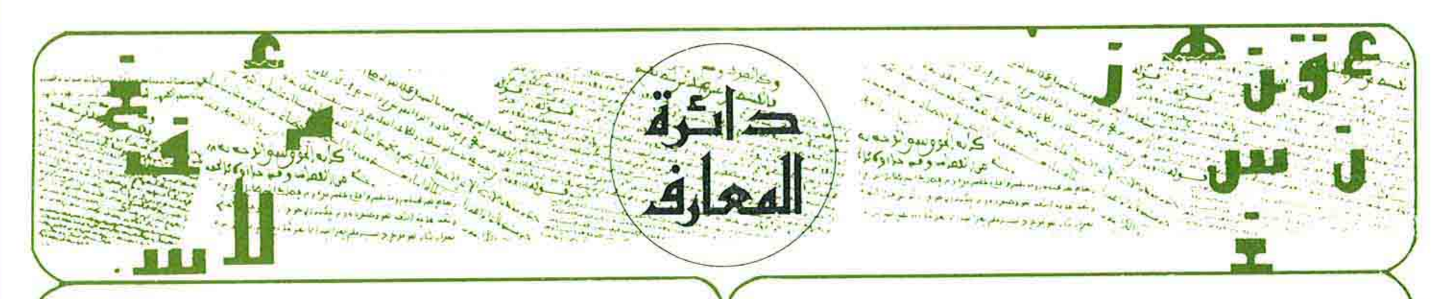
المجلد السابع

ويتألف هذا المجلد من (٥١٦) صفحة ، تحدث في النصف الأول من هذا المجلد عن القول في **إحساس أجناس الحيوان** وعن اتباع الرخم والنسور والعقبان للجيوش ، وعن **عادات صغار الحيوان** ، وعن الثعلب والقنفذ والطير والضب وعن الفأر والعقرب والدب وعن الأسماك ، والإبل ، والفهود ، والنسر ، والخيول ، والطيور ، وعن أسماء النجوم والروح وتحدث أيضاً عن **اختلاف طبائع الحيوان وما يعتريها من الأخلاق** . وعن موضوعات أخرى متعددة مثل :

أقل الحيوان نسلاً وأكثره ، ما جاء في الفيلة ، معارف في البيض ، ضروب من العداوات ، نصوص من كليلة ودمنة ، أشراف السباع وسادتها ، الكركدن ، العنقاء ، أعاجيب الولادة ، عجائب الدلفين واللحم والكوسج ، خيل النهر ، الأسد ، النمر ، الجاموس ، فرس الماء ، شيء من الطرف والحكم والأشعار ، الهجاء ، الزنديبل ، الجن والجان ، الناس والنسناس ، خصائص كسرى ، الذئاب ، السقنقور ، الظلف ، التداوي بفرس الماء وبنات عرس ، وموضوعات أخرى .

أما القسم الثاني من هذا المجلد ، بالإضافة **للمجلد الثامن** الواقع في (٣٣٤) صفحة فقد خصص للفهارس المختلفة التي بلغ عددها (١٧) فهرساً .

وأخيراً نقول بأن لا يعرف فضل هذا الكتاب إلا من نظر فيه طويلاً ، وتناول نواصيه بالدرس والتبيين . فهو صورة ظاهرة لثقافة العصر العباسي المتشعبة الأطراف .



الذَّرِّيَّـــة



الإلكترون :

يعتبر الإلكترون **من الوحدات الأساسية المكونة لبنية الذرة** ، حيث تعادل كتلته ١٨٣٦/١ من كتلة ذرة **الهيدروجين** ، أما شحنته فتعادل ــ ٤,٨٠٣ × ١٠ ^-١٠^ وحدة كهرواستاتيكية . وقد اعتبر الإلكترون أصغر وأدق الجسيمات الدقيقة لفترة طويلة ، وكل الإلكترونات متساوية الشحنة والكتلة وتتشابه في لفّها ، سواء كانت إلكترونات لمادة **الحديد أو الماء أو الخشب** أو غيرها . ويختلف عدد الإلكترونات في كل ذرة عن الأخرى طبقاً لموقعها في الجدول الدوري للعناصر **لمندليف** ، الذي رتبت فيه **العناصر الكيميائية** طبقاً لأعدادها الذرية .

وتدور الإلكترونات حول **النواة** ، ونظراً لحركتها الدائمة فهي لا تستقر في مدار محدد نظراً لارتباط شحنتها السالبة بشحنة النواة الموجبة ، ومن ثم فإن الإلكترونات تتواجد فيما يسمى بسحابة الاحتمال ، ولكي ينطلق **الإلكترون** من مدار إلى آخر لا بد من انبعاث أو اكتساب الفوتونات ، ولا يمكن تركيز الإلكترونات كلها في الذرة الواحدة في مدار واحد نظراً لاختلاف طاقاتها ، وتعتمد الخواص الكيميائية للعناصر على عدد وتركيب الإلكترونات في المدار (الغلاف) الأخير . وإذا وجهنا سيلاً من الإلكترونات في مادة موصلة أو شبه موصلة فهذا هو التيار الكهربي .



البروتون :

أحد الجسيمات المستقرة التي تدخل مع **النيوترون** في تركيب كل **نوى الذرات للعناصر الكيميائية** باستثناء عنصر واحد هو **الهيدروجين الخفيف** الذي تتكون نواته من **بروتون** واحد فقط ، وكتلة البروتون تعادل كتلة الإلكترون ١٨٣٦ مرة ، أما شحنته فإنها **موجبة** وتساوي عددياً شحنة الإلكترون **السالبة** . والعدد الذري للعنصر يقدر بعدد البروتونات الموجودة في ذرته ، وهو مساو لعدد الإلكترونات الخارجية الموجودة في **الذرة المتعادلة** .



التريتيوم :

نظير مشع ثقيل للهيدروجين ، وزنه الذري ٣ ، وتتكون نواة **التريتيوم** من بروتون واحد **ونيوترونين** ، وفترة نصف العمر له هي ١٢ سنة ، وتعرف فترة نصف العمر بأنها الوقت الذي خلاله يتحلل نصف المادة الأصلية . والتريتيوم نظير غير مستقر ، فهو يضمحل مبتعثاً إلكتروناً وضديد نيوترينو ، ويتحول إلى نظير خفيف **للهيليوم** هو **الهيليوم ٣** . ويمكن الحصول على التريتيوم من **المفاعلات الذرية** ،

وهو يشكل خطراً شديداً على جسم الإنسان بسبب نشاطه الإشعاعي القوي ، وتطايره الزائد .



الثوريوم :

عنصر طبيعي ثقيل **من العناصر المشعة** ، وزنه الذري ٢٣٦,٠٥ وعدده الذري ٩٠ ، وهو يتميز بأن فترة نصف العمر له هي أطول فترة على الإطلاق بين العناصر الطبيعية المشعة ، حيث تبلغ ١٤,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة ، ولا يمكن استخدام الثوريوم كوقود نووي في حالته الطبيعية العادية . بل يمكن ذلك بواسطة قذفه بالنيوترونات في المفاعلات الذرية .



أشعة جاما :

إحدى أنواع **موجات الإشعاع** التي تصدر من نوى الذرات المشعة الطبيعية أو الصناعية ، وهي **موجات كهرومغناطيسية** مشعة ذات طاقة عالية ، وطول موجة قصير جداً (١٠ أنجستروم أو أقل) ومن ثم فإن قدرة اختراقها كبيرة . ولذلك فإن لها أخطاراً كبيرة على الإنسان والكائنات [illegible] الخرسانة والرصاص وأجهزة معقدة أخرى . **وتستخدم أشعة جاما في أغراض علمية وتكنولوجية كثيرة ، وهي تفيد في علاج السرطان ، وحفظ وتعقيم المواد الغذائية ، والأدوية ، وفي شتى مجالات العلم المختلفة .**



الحالة البلازمية للمادة :

كلنا نعرف أن المادة يمكن أن تتواجد في ثلاث صور فيزيائية ، هي الحالة **الصلبة ، والسائلة ، والغازية** ، وكمثال لذلك الماء فهو يتواجد في هذه الثلاث صور (صلب : ثلج ، سائل ، غاز : بخار الماء) ، وفي الحقيقة فإن الكون الفسيح يحتوي على كميات ضئيلة من هذه الصور الثلاث ، حيث يجزم العلماء أن ٩٠٪ من كل المواد التي في الكون (النجوم والكواكب والفراغات الموجودة بين هذه النجوم والكواكب) تتكون في حالة أخرى غير الصلابة والسيولة والغازية ، يطلق عليها اسم : **البلازما** .

وإذا سخنا غازاً لملايين الدرجات ، فإن الروابط بين الإلكترونات والنواة في الغاز تضعف وتتفكك ، وتنفصل الإلكترونات ، ويحدث التأين . وإذا سخنا الغازات المتأينة ملايين الدرجات في التفاعلات النووية الحرارية نحصل على البلازما ، والبلازما وسط كهربي متعادل ، وله قدرة على توصيل التيار الكهربي أفضل من النحاس . **وأهم استخداماتها هو إنتاج الطاقة الكهربائية مباشرة من الطاقة الحرارية .**



خاصية النشاط الإشعاعي :

وهي تعني التفتت التلقائي لنواة الذرة ، عن طريق انبعاث إشعاعات جسيمية أو كهرومغناطيسية منها ، وقد اكتشف هذه الظاهرة **العالم بيكريل** عام ١٨٩٦ م ، والنشاط الإشعاعي إما طبيعي أو مستحث ، وينتج النوى المشع صناعياً في التفاعلات النووية ، وعموماً فإنه ينتج من تفتت النواة إشعاعياً تحولها إلى نواة عنصر آخر ، فمثلاً ينتج عن تفتت **الراديوم** بانبعاث جسيمات ألفا تحوله إلى **غاز الرادون** ، وأهم أنواع الإشعاعات هي **أشعة ألفا** وهي جسيمات موجبة ثبت أنها نوى **عنصر الهيليوم** ، **وأشعة بيتا** وهي جسيمات سالبة ثبت أنها إلكترونات أو جبة ـ وهي البوزيترونات ، وأشعة جاما . وترجع أهمية النشاط الإشعاعي إلى أنه كان المفتاح لدراسة نواة الذرة ، كما أن **له تطبيقات كثيرة في ميادين العلوم والطب والتصنيع والزراعة .**



الديوتيريوم :

ويطلق عليه أحياناً ـ **الهيدروجين الثقيل** ـ وقد اكتشف في عام ١٩٣٢ م ، ولا تختلف قشرته الإلكترونية عن قشرة الأيدروجين العادي في أي شيء ، فهي تحتوي على إلكترون واحد فقط ، غير أن نواته أثقل من نواة الأيدروجين العادي بمرتين تقريباً ، وهي تتكون من جسمين مرتبطين ببعضهما ارتباطاً وثيقاً ، أحدهما بروتون والآخر جسم متعادل : أي **نيوترون** .

ويشكل **الديوتيريوم** نسبة صغيرة من إجمالي الهيدروجين الموجود في الطبيعة ـ حوالي ٠,٠١٥٦٪ ـ من الهيدروجين الإجمالي . ومع ذلك فإنه يمكن للإنسانية أن تحصل من هذه الكمية على مصدر غير محدود للطاقة ،

حيث سيصبح في المستقبل وقوداً للمنشآت الحرارية النووية المنتجة للطاقة . **ويستخدم الديوتيريوم الآن حالياً في التكنيك النووي كمادة متفجرة .**



الذرة :

الذرة Atom **كلمة يونانية** تعني « **غير قابلة للقسمة** » حيث اعتقد قدماء **الفلاسفة اليونانيين** أن الذرات هي نهاية تفتت الأشياء ، وقد اعتبر **جون دالتون** الذرة وحدة بناء المادة ، وتعرف الذرة علمياً بأنها « أصغر جزء من العنصر يحمل خواصه ويدخل في التفاعلات الكيميائية » ، وهي تتكون من نواة تدور حولها الإلكترونات ، والنواة تتكون من جسيم شحنة موجبة يسمى **البروتون** ، ومن جسيم متعادل الشحنة ويسمى **النيوترون** ، أما الإلكترون فإن شحنته سالبة ، وعدد الإلكترونات يساوي عدد البروتونات في نواة الذرة الواحدة ، لذلك فإن الذرة تكون متعادلة كهربياً ، وكل من الجسيمين أو الأجسام التي تحمل شحنتين مختلفتين في الإشارة ، ينجذب بعضها إلى بعض بقوة كهربية استاتيكية .

وهكذا فإن الإلكترون لا يطير مبتعداً عن النواة ، بل يدور حولها كما تدور الأرض حول الشمس ، منجذبة إليها بقوة الجذب ، والإلكترون يدور في مدارات محددة تماماً ، واقعة على مسافات مختلفة من النواة ، وهو بذلك يشكل القشور الإلكترونية للذرة ، ونحن نرمز إلى القشور بالحروف ك ، ل ، م ، ن ، . . . إلخ ، وذلك إذا بدأنا العد من جهة النواة ، فالإلكترون الذي يتحرك في أقرب قشرة إلى النواة يسمى بالإلكترون ك . . . وهكذا ، وترجع اختلافات العناصر إلى اختلاف أعدادها وأوزانها الذرية ، ويمكن أن يتواجد العنصر الواحد في أكثر من نوع من الذرات ، لها نفس العدد الذري ، ولكنها تختلف في العدد الكتلي وتسمى النظائر ، والعدد الكتلي يساوي مجموع أعداد البروتونات والنيوترونات في نواة الذرة ، وقد أمكن تحويل ذرة عنصر إلى ذرة عنصر آخر عن طريق التفاعلات النووية ، وينتج من انشطار نواة الذرة تحرر كمية هائلة من الطاقة **يمكن استخدامها في الأغراض العسكرية التدميرية أو في المفاعلات النووية للأغراض السلمية .**



الراديوم :

عنصر أبيض لامع ، من العناصر الطبيعية ذات خاصية النشاط الإشعاعي ، وهو يتآكل بتعرضه للهواء ، ويمكن الحصول عليه من سلسلة من التفاعلات الذرية تبدأ **باليورانيوم ٢٣٨** ، ويصعب استخلاص الراديوم من خاماته الطبيعية نظراً لاحتوائها على كميات صغيرة منه ، وترجع أهمية الراديوم إلى أنه كان أول عنصر مشع أمكن اكتشافه وفصله في صورة نقية ، حيث قام بذلك **الزوجان بيير وماري كوري** في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، **ويستخدم في علاج السرطان وعمل بعض أنواع الطلاء والورنيشات المضيئة .**



الزركونيوم :

عنصر معدني عدده الذري ٤٠ ووزنه الذري ٩١,٢٢ وله أربعة نظائر ، وهو عنصر موجود بكثرة وموزع بانتشار في قشرة الأرض ، ونظراً لشدة تفاعله الكيميائي فإنه يوجد فقط في صور مركبات ، **وهو عنصر نووي** هام حيث **يستخدم في المفاعلات النووية كمادة إنشائية .**



السيكلوترون :

جهاز اخترعه **أرنست لورانس** ، يمكن بواسطته زيادة سرعة جسيمات **ألفا والبروتونات والديوترونات** وهو كمعجل للجسيمات النووية يستخدم تياراً كهربياً ذي تردد عالي جداً وثابت ، مع مجال مغناطيسي ثابت ، **وهو يستخدم في تحطيم الذرات عن طريق القذائف النووية** (من بروتونات وديوترونات وجسيمات ألفا) ، أما السيكلوترون الذي يستخدم تياراً كهربياً متغيراً فيسمى السينكروترون .



الانشطار النووي :

تم اكتشاف أسرار الانشطار النووي لأول مرة عام ١٩٣٨ م ، على يدي **العالمين الألمانيين : أ . هان ، و ف . شتراسمان** ، حيث وجدا أن **اليورانيوم** الذي تعرض للقذف **بالنيوترونات** يحتوي على **الباريوم واللنثانوم** ، وهما عنصران أخف مرتين تقريباً من اليورانيوم ، وفي عام ١٩٤٠ م ، تم اكتشاف الانشطار التلقائي لنواة اليورانيوم ، ويرجع

ذلك إلى عدم استقرار النواة ، فكلما كانت النواة أثقل ، كلما كانت أقل استقراراً ، ويقترن انشطار اليورانيوم بانبعاث نيوترونين أو ثلاثة في إمكاناتها أن يشطرا بدورهما نواتين أخريين أو ثلاث ، وتزداد كمية النيوترونات الطليقة ويزداد عدد النوى المنشطرة تحت تأثيرها وتتسارع العملية كمتوالية هندسية ، وينشأ تفاعل الانشطار المتسلسل الذي يتحقق في القنبلة الذرية . ويصحب انشطار النواة الثقيلة تحرر هائل من الطاقة ، فانشطار كيلوجرام واحد من اليورانيوم ٢٣٥ يعطي كمية من الطاقة قدر الكمية التي نحصل عليها من حرق كمية مماثلة من البترول مليوني مرة .



الصاروخ الفوتوني :

لقد وجد العلماء أن كمية الطاقة التي نحصل عليها من الانشطار النووي لا تتعدى ١, ٪ من إجمالي الطاقة الكامنة في المادة ، كما وجدوا أن طاقة الاندماج النووي لنويات العناصر الخفيفة أيضاً لا تتعدى ١٪ من الطاقة الكامنة ، ولكي يتم تحويل كل الطاقة الكامنة بالمادة إلى إشعاع ، لا توجد في الطبيعة إلا عملية واحدة هي **الفناء الزوجي** Pair Annihilation حيث تصطدم مادتان أو جسيمان لكل منهما خواص فيزيائية معاكسة للآخر ، ومثال ذلك **الإلكترون** وضديده **البوزيترون** ، **والبروتون** وضديد **البروتون** ، حيث ينتج عن هذا الفناء الناتج من التصادم تحرر كل الطاقة الكامنة ، والتي تظهر في صورة فوتونات ، هذه الفوتونات لها ضغط ويمكن قياسه .

وقد تخيل العلماء **إمكانية بناء صاروخ فوتوني** ، في داخله مصنع نووي ذي قدرة هائلة ينتج كميات هائلة من جسيمات الذرة الدقيقة وأضدادها ، وتتصادم هذه الجسيمات وأضدادها في غرفة خاصة بهذه الآلة فتبيد بعضها البعض ، وتنتج الفوتونات التي يتم تجميعها بواسطة مرآة ضخمة مركبة في ذيل الصاروخ ليتم توجيهها إلى الاتجاه المطلوب ، ويستخدم ضغط الفوتونات في دفع الصاروخ بسرعة الضوء (٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية) ، ولكن بناء هذه الآلة ليس سهلاً كما يبدو نظرياً ، فالحصول على أضداد المادة أمر صعب المنال ، ولكن كثيراً من الأحلام أمكن تحقيقها ، وربما لو أمكننا اختراع هذا **الصاروخ الفوتوني** في المستقبل لأمكن البشرية أن تغزو الفضاء المتناهي وتخرج من عالم المجموعة الشمسية إلى أعماق المجرة والكون .



ضديد المادة

تتكون ذرة المادة من نواة شحنتها موجبة وإلكترونات شحنتها سالبة ، ويتخيل العلماء وجود ضديد للمادة تكون النواة شحنتها سالبة . والإلكترونات شحنتها موجبة ، ولف ضديد الإلكترون — وهو البوزيترون — يعاكس اتجاه لف الإلكترون .

وقد شجعهم على هذا التخيل اكتشاف ضديدات الجسيمات ، **ففي** عام ١٩٣٢ م ، **اكتشف العالم الأميركي أندرسون جسيم البوزيترون في الأشعة الكونية** ، وإن جاء ذلك بعد أن تنبأ **العالم الإنجليزي ديراك** في ١٩٢٨ م ، بوجود الإلكترون ذي الشحنة الموجبة (البوزيترون) . كما أمكن للعلماء بعد ذلك إنتاج ضديد البروتون ، وأمكن تصنيف ما يعادل خمسة عشر زوجاً من الجسيمات الأولية وأضدادها حتى الآن ، وعموماً فإن ضديد الجسيم يختلف عن الجسم في الشحنة واتجاه اللف ، لكنه يساويه في الكتلة ومقدار الشحنة . وعند اصطدام جسيم بضديده أو المادة بضديدها ، تتحول الطاقة الكامنة بكتلة كل منهما إلى فوتونات أي إلى طاقة إشعاع .



طاقة نووية :

اصطلاح يطلق على الطاقة التي تتحرر من نواة الذرة ، وهي تكون في صورتين :

- **الأولى** : إما بانشطار نويات العناصر الثقيلة كاليورانيوم والبلوتنيوم .
- **الثانية** : وهي تكون باندماج نويات العناصر الخفيفة **كالهيدروجين** لتكوين عناصر ذات وزن ذري أكبر (**الهيليوم**) وكمية الطاقة التي نحصل عليها في هذا التفاعل تبلغ ١١٧,٥ مليون كيلووات ساعة لكل كيلوجرام من الهيدروجين ، أي خمسة أضعاف الطاقة التي تتحرر من انشطار كيلوجرام واحد من اليورانيوم ٢٣٥ .

ويمكن استخدام الطاقة النووية في الأغراض العسكرية كصناعة الأسلحة الذرية ، ويمكن استخدامها في الأغراض السلمية كتوليد الكهرباء والتدفئة وإدارة السفن .

ومن المعروف أن تفاعلات **الاندماج النووي** هي مصدر **طاقة الشمس والنجوم** حيث تتفاعل نويات غاز الهيدروجين في الشمس وتندمج معاً على غرار ما يحدث في **القنبلة الهيدروجينية** .



ظاهرة التحول الكهروضوئي :

ظاهرة اكتشفها **العالم الروسي ستوليتوف** عام ١٨٧٢ م ، حيث

أخذ دورقاً مفرغاً من الهواء ووضع فيه لوحين معدنيين ، وربطهما ببطارية كهربية ، وكان طبيعياً ألا يمر التيار الكهربي ، لكنه عندما وجه ضوء مصباح زئبقي على أحد اللوحين تولد تيار كهربي في الدائرة الكهربية ، وعندما أطفأ ضوء المصباح توقف مرور التيار ، فاستنتج من ذلك وجود عوامل ناقلة لتيار الكهرباء في الدورق عرفت فيما بعد باسم الإلكترونات ، وهي لم تظهر إلا عند توجيه الضوء على اللوح ، وقد [illegible] العالم **اينشتين** في عام ١٩٠٥م ، هذه الظاهرة وأوضح أن سر التيار الكهربي يعود إلى انطلاق الإلكترونات من المعدن بتأثير الضوء .



عداد جيجر :

جهاز صممه **العالم الألماني هانز جيجر** (١٨٨٢ ـ ١٩٤٥م) **يستخدم في قياس الإشعاعات الذرية** ويتكون من أنبوبة زجاجية محكمة الغلق ، مملوءة بغاز أو بخار تحت ضغط منخفض ، وعلى محور الأنبوبة الزجاجية يوجد سلك معدني رفيع يمر داخل أسطوانة معدنية ، وعند دخول أي جسيم مشع داخل الغاز يتم تأين هذا الغاز ويمكن قياسه وتوضيح كمية الإشعاع على العداد .



الغبار الذري :

عبارة عن بقايا المواد المشعة التي تهبط على سطح الأرض ، والتي تنتج من جراء التفاعلات أو التفجيرات النووية ، وهو يسبب تلوثاً للبيئة ، كما **يضر بصحة الإنسان حيث يسبب أمراضاً خطيرة كاللوكيميا وسرطان العظام** .



الفوتون :

يعتبر **الفوتون كمية الطاقة الضوئية المرئية أو غير المرئية** ، ولذلك يعتبر الضوء سيلاً من الفوتونات ، ولقد كان **ألبرت أينشتين** أول من عرف الفوتون بدقة كجسيم وذلك في عام ١٩٠٥م ، ويمتلك الفوتون طاقة وكمية حركة ، وهو يتمتع أيضاً بكتلة تساوي طاقته مقسومة على مربع سرعة الضوء ، غير أنه ليس له كتلة سكون ، ولذلك من المستحيل أن نتصور الفوتون في حالة سكوت فهو دائم الحركة بسرعة تساوي سرعة الضوء (٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية) وهو جسيم ليس له أي شحنة كهربية ، فهو متعادل كهربياً ، وهو يعتبر مثالا واضحاً يؤكد الطبيعة المزدوجة : الموجية والجسمية للمادة .



قنبلة ذرية :

هي سلاح له تأثير انفجاري وقوة تحطيم عالية ، حيث يحدث تفاعل نووي انشطاري متسلسل لنوى وقود ذري **كاليورانيوم ٢٣٥** أو **البلوتونيوم ٢٣٩** ، **والعناصر الرئيسية في مكونات هذه القنبلة هي** : شحنة الوقود الذري ، وجهاز التفجير ، وجسم القنبلة ، وقبل الانفجار تكون مادة الوقود النووي في داخل القنبلة مقسمة إلى جزءين أو أكثر ، وكل جزء تكون كتلته أقل من الكتلة الحرجة ، لكن مجموع هذه الأجزاء كلها يزيد عن الكتلة الحرجة . ويصمم جهاز التفجير بحيث يمكن أن يضم هذه الأجزاء معاً بسرعة عالية جداً ، وعندما تتعدى كتلة الوقود الذري الكتلة الحرجة يتم التفاعل المتسلسل ، وينشأ الانفجار الذري الذي يكون مصحوباً بموجة انفجارية عالية وإشعاع يتسبب في تلوث المنطقة المحيطة بالانفجار ، ويتسبب في تلوث الهواء والماء والتربة . **وقد استعملت القنبلة الذرية لأول مرة في الحرب العالمية الثانية ، حيث أسقطتها الولايات المتحدة الأمريكية على هيروشيما باليابان** في ٦ أغسطس (آب) ١٩٤٥م . ثم أتبعتها بأخرى على **ناجازاكي** بعدها بثلاثة أيام .



الكتلة الحرجة :

تنشطر نويات العناصر الثقيلة المشعة عند قذفها بالنيوترونات ، ويمكن للنيوترونات أن تمتص في **اليورانيوم ٢٣٨** كما يمكن أن تهرب دون أن تقوم بدورها في بدء التفاعل المتسلسل ، ولكي يتم ذلك يجب أن يجمع في حجم معين كمية كافية من النوى القابلة للانشطار ، وهو ما يسمى بالكتلة الحرجة ، وذلك لكي يكون عدد النيوترونات المؤثرة والمؤدية إلى الانشطار أكبر من عدد النيوترونات التي تمتص أو تهرب من التفاعل .



الليثيوم :

عنصر كيميائي في أول **الجدول الدوري لمندليف** ، عدده الذري

٣ ووزنه الذري ٦,٩٤ ودرجة انصهاره ١٨٠°م ، لونه أبيض فضي ، طري جداً ، ويوجد طبيعياً في عدد من المعادن ، **ويستخدم الليثيوم في الفيزياء النووية للحصول على جسيمات ألفا بطاقات مختلفة** ، وعند قذف الليثيوم بنيوترون نحصل على نظير ثقيل للهيدروجين **(التريتيوم)** ، ويمكن استخدام ديوتيريد الليثيوم Lithium Deuteride كمفجر نووي في القنبلة الهيدروجينية .



مفاعلات نووية :

المفاعل النووي عبارة عن آلة تستخدم لإحداث تفاعل الانشطار النووي المتسلسل المستمر الذي يمكن التحكم فيه ، ويمكن الاستفادة من الطاقة النووية الناتجة في توليد الكهرباء ، وتصنف المفاعلات حسب الغرض من إنشائها ، أو حسب طاقة النيوترونات المسببة لاستمرار التفاعل ، أو حسب نوع مركبات التفاعل ، ويتم التحكم في التفاعل المتسلسل بحيث يبقى دائماً عند مستوى ثابت ، ويتم تنظيم سرعة التفاعل عن طريق قضبان التحكم ، وهي تصنع من **البورون** أو **الكادميوم** وهما عنصران يتميزان بشدة امتصاصهما للنيوترونات ، **ويستخدم المفاعل الذري في الأبحاث العلمية والطبية ، وفي إنتاج الكهرباء ، والمواد المنشطرة** .



النيوترون :

اكتشفه **العالم الإنجليزي جيمس شادويك** عام ١٩٣٢م ، وهو أحد الجسيمات الأولية التي تدخل في تركيب نواة الذرة ، وكتلة **النيوترون** تعادل ١٨٣٨,٦ مرة كتلة الإلكترون ، وهو جسيم متعادل كهربياً ، ولا يكون النيوترون مستقراً خارج النوى ، لذا **يستخدم كقذيفة نووية في المفاعلات الذرية** ، ويمكن الحصول على النيوترون عن طريق إطلاق جسيمات ألفا على عنصر البريليوم . ومتوسط عمر النيوترون تقريباً ١٧ دقيقة .



قنبلة هيدروجينية :

وفيها تتحرر **الطاقة النووية** الناتجة من اندماج أنوية **الهيدروجين** ، التي تندمج لتكون نواة أكثر ثقلاً ، ويلاحظ أن **ظاهرة الاندماج النووي** لا يمكن تحقيقها إلا عند درجات حرارة مرتفعة جداً ، لتصل المادة إلى حالة **البلازما** حتى يمكن حدوث الاندماج ، ويلزم لذلك إثارة حرارية عالية جداً حتى يمكن اتحاد الأنوية التي تحمل نفس الشحنة الموجبة ، ويمكن الوصول إلى درجة الحرارة المطلوبة لذلك عن طريق تفجير قنبلة ذرية توضع داخل القنبلة الهيدروجينية ، والطاقة الناتجة عن تفجير **القنبلة الهيدروجينية** تعادل أضعاف الطاقة التي نحصل عليها من تفجير **القنبلة الذرية** ، ويعتقد أن خليط الديوتيريوم والتريتيوم يعتبر أفضل خليط يصلح للاندماج النووي .



وقود نووي :

يطلق هذا الاصطلاح على كل العناصر الطبيعية والصناعية ، التي يمكن لنوى ذراتها أن تحرر جزءاً كبيراً من الطاقة الحرارية ، وتستعمل الذرات الثقيلة القابلة للانشطار كوقود ذري في المفاعلات الذرية مثل **أنوية اليورانيوم ٢٣٥** والبلوتونيوم ٢٣٩ ، أما أنوية اليورانيوم ٢٣٨ فيمكنها أن تقتنص **النيوترونات** لتتحلل إلى عنصر **النبتونيوم** ثم إلى **البلوتونيوم ٢٣٩** القابل للانشطار ، وفي المستقبل عندما يتم التحكم في التفاعلات النووية الحرارية الناتجة من اندماج نويات العناصر الخفيفة ، عندئذ يمكن أن نعتبر نظائر **الهيدروجين** (البروتيوم والديوتيريوم والتريتيوم) وقوداً نووياً .



اليورانيوم :

عنصر طبيعي فلزي مشع وزنه الذري ٢٣٨,٠٧ وهو عنصر جامد لونه أبيض فضي ، درجة انصهاره هي ١١٣٠°م ، ويمكن اشتعاله تحت ضغط الجو العادي عند درجة حرارة ١٠٠° مئوية ، وله ثلاثة نظائر مشعة هي : **اليورانيوم ٢٣٨** وتبلغ نسبته في الطبيعة ٩٩,٢٧٪ ، واليورانيوم ٢٣٥ وتبلغ نسبته ٠,٧٢٪ ، واليورانيوم ٢٣٤ وتبلغ نسبته ٠,٠٠٦٪ ، وفترة نصف العمر لليورانيوم ٢٣٨ هي ٤,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة ، واليورانيوم ٢٣٥ تعادل ٧١٠ ملايين سنة ، واليورانيوم ٢٣٤ حوالي ٢٥٠,٠٠٠ سنة ، ويمكن الحصول على عدد من نظائر اليورانيوم صناعياً وأهمها اليورانيوم ٢٣٣ الذي ينتج من قذف **عنصر الثوريوم** ٢٣٢ بالنيوترونات . ويعتبر اليورانيوم ٢٣٨ مصدراً لسلسلة تحلل ينتج عنها **الراديوم** ، وتنتهي **بالرصاص** ٢٠٦ ، ومن أهم خامات اليورانيوم الموجودة في الطبيعة **البتشبلند والكارنوتايت** .

مناقشات و تعليقات

الجانب الأخلاقي والقانوني في مشكلة ازدواجية النشر

تتسابق المجلات العربية الراقية اليوم على خطب ود القارئ واجتذابه، وهي تسعى في سبيل ذلك إلى إتحافه بأجود ما لديها من مادة سمينة تجمع بين الدقة العلمية والتشويق الصحفي. على أن كل من يحاول النفاذ إلى الأعماق السحيقة للقارئ وصولا إلى استكناه ميوله وسبر رغباته القرائية، يكتشف أن خير ما يرضيه ويأسر اهتمامه المادة الصحفية الجديدة التي لم يسبق نشرها في مجلة أو صحيفة أو كتاب، أو إذاعتها عبر محطة إذاعة أو تلفزيون. فالجدة تكاد تسبق الجودة وتحتل الدرجة الأولى في سلم اهتمامات القراء.

ولكن المجالات في سعيها إلى إرضاء القارئ وتلبية تطلعه إلى الجدة وإلى إرواء تعطشه إلى الاطلاع على المواد غير المألوفة بالنسبة إليه، تصطدم بعقبة احتمال ازدواجية النشر التي لم يعد بالإمكان الاستهانة بها أو التقليل من شأنها بعد أن أصبحت محل شكوى من قبل عدد من المجلات الراقية: فقد تقوم مجلة بنشر مقال قيّم وممتع لكاتب ما، ثم يتضح بعد فترة أن المقال ظهر في الوقت نفسه في مجلة أخرى، أو أن هذه قد سبقتها إلى نشره. **وهذا لا يسيء إلى المجلة التي أعادت نشر المقال فحسب، بل إن الاساءة تلحق أيضاً حتى بالمجلة التي كانت سباقة إلى نشره**، ذلك أن من مصلحة أية مجلة راقية أن تنفرد بنشر دراسة ما حتى تبق هي المرجع الوحيد لهذه الدراسة بالنسبة للباحثين والدارسين يرجعون إليها وحدها دون غيرها عند الاقتضاء، والدليل على ذلك أن بعض المجلات الراقية (كمجلة الفكر العربي) تحظر صراحة إعادة نشر ما نشر فيها إلا بإذن خاص منها.

وفي بعض حالات الازدواجية قد تكون المجلة مسؤولة وذلك عندما يزودها كاتب بمقال ويمر أكثر من عام دون أن تعلمه بمصيره رغم استفساره عنه. وحتى لا يفقد المقال جدته ومناسبته قد يبعث الكاتب بنسخة ثانية منه إلى مجلة أخرى. فإذا تم ذلك دون إخطار المجلة الأولى به، تصبح إمكانية نشر المقال في المجلتين واردة.

وفي حالات أخرى يكون الكاتب هو المسؤول. وذلك عندما يبعث إلى مجلة بنسخة ثانية من مقال سبق أن أرسل نسخة منه إلى مجلة ما قبل أن تمضي فترة طويلة من الزمن وقبل أن يتأكد من أن المجلة الأولى لن تنشره. وهناك أخيراً حالات نادرة جداً يبعث فيها بعض المرتزقة، ولا أقول الكتّاب، بنسختين أو أكثر من مقالة واحدة إلى مجلتين أو أكثر.

العامل الأخلاقي والعامل القانوني

إن مشكلة ازدواجية النشر التي برزت على وجه الخصوص بعد صدور مجلات تعتمد في تحريرها على الأقلام العربية من كافة بلاد العرب لا على الأقلام المحلية وحدها (**كمجلات الفيصل والمجلة العربية والفكر العربي والكويت**) تتضمن جانبين: الجانب الأخلاقي والجانب القانوني. فلو أن العلاقات بين الكتّاب والمجلات تقوم دائماً على أسس أخلاقية، وتتم بطرق يترفع فيها كل طرف ترفعاً وجدانياً عن محاولة الاساءة إلى الطرف الثاني، لما كانت هنالك مشكلة ازدواجية نشر، ومن جهة ثانية فلو أن نقابات الصحافة أو اتحادات الكتّاب سنّت تشريعات لتنظيم العلاقات بين الكتّاب والمؤسسات الصحفية المختلفة حتى يقوم التعامل بين الطرفين على أسس قانونية واضحة، تحدد واجبات وحقوق كل طرف، وتعاقب كل تجاوز وإساءة، لما كانت هناك مشكلة ازدواجية نشر.

وإذا كان من غير الممكن تغيير أخلاق بعض الكتّاب الذين يتسببون بازدواجية النشر لعدم تذرعهم بالصبر أو لرغبتهم في الحصول على مكاسب سريعة آنية، أو تبديل أخلاق بعض المسؤولين الذين يصمّون الآذان عن استفسارات الكتّاب ويصرون على عدم إعلامهم بمصير أعمالهم المرسلة لهم، وإذا كانت نقابات الصحافة لم تشعر حتى الآن بالحاجة إلى سن تشريعات لتنظيم العمل الصحفي، فهل معنى ذلك أن علينا أن نقف مكتوفي الأيدي لا نحرك ساكناً حيال مشكلة ازدواجية النشر؟!.

مقترحات عملية

إن هناك بضعة اقتراحات متواضعة رأينا أن نتقدم بها على صفحات مجلة «الفيصل» آملين أن تمهد السبيل أمام حل مشكلة الازدواجية:

مناقشات و تعليقات

● **أولا** : طالما أن المجلات الراقية التي تجيب الكتّاب عن استفساراتهم وتعلمهم بمصير أعمالهم ومنها مجلات (**الفيصل وقافلة الزيت والتراث الشعبي**) لا تعاني إلا بدرجة محدودة من مشكلة ازدواجية النشر ، على عكس المجلات التي لا ترد على الكتّاب والتي أصبحت فيها الازدواجية ظاهرة شائعة تتكرر باستمرار ، فإن هذا يجب أن يقنع الجميع بأن إعلام المجلة الكاتب بمصير أعماله المرسلة لها ، رغم ما ينطوي عليه من مصاعب كبيرة وما يستلزمه من جهود مرهقة ، هو وسيلة ممتازة للحد من ازدواجية النشر ، الأمر الذي يجعل من واجب المجلات التي لم تُعِد نفسها للرد على الكتّاب ، أن تعيد النظر بسياستها حرصاً على مصلحتها ومصلحة الكتّاب والقراء معاً ، وإذا كانت إمكاناتها الإدارية لا تسمح لها بذلك يمكنها أن ترد على الكتّاب ضمن زاوية بريد المجلة مشيرة إلى اسم الكاتب وعنوان المقال بأحرف رمزية منعاً للحساسيات التي قد تنشأ من جراء ذكر الاسم أو العنوان الصريحين .

● **ثانيا** : يستطيع الكاتب الذي يتعامل مع المجلات التي ليست لديها ترتيبات لإعلام الكتّاب بمصير أعمالهم ، أن يحدد للمجلة فترة زمنية معينة تنشر المجلة خلالها المقال إذا شاءت نشره ، فيكتب على رأس المقال مثلاً عبارة : « هذا المقال صالح للنشر من تاريخ كذا حتى غاية تاريخ كذا » وبعد انقضاء الفترة المحددة يغدو الكاتب في حل من الالتزام تجاه المجلة بشأن المقال ويصبح له ملء الحق في التصرف به . وعلى المجلة في هذه الحالة ألا تشعر بالحساسية تجاه تحديد فترة زمنية لنشر المقال ، وألا تعتبر ذلك إنذاراً لها للإسراع بالنشر ، بل الأحرى أن تنظر إليه على أنه وسيلة لجأ إليها الكاتب لمنع نشوء نزاع بينه وبين المجلة بشأن المقال في المستقبل .

● **ثالثا** : إذا نشرت مجلة عملاً لكاتب ثم اتضح لها أنه سبق أن نشره في مجلة أخرى ، يستحسن أن تستفسر المجلة من الكاتب عن سبب حدوث ذلك طالبة منه التبرير والتفسير ، فإذا جاء جوابه غير مقنع ، وإذا تبين للمجلة أن الازدواجية متعمدة من قبل الكاتب للحصول على كسب ، فإن من حقها عندئذ أن تشهّر به وتفضحه في باب بريد المجلة أمام القراء والمجلات الأخرى . فمثل هذا الإجراء كفيل بأن يجعل المرتزقة يفكرون أكثر من مرة قبل محاولتهم الإقدام على غش مجلة ما وخداعها .

● **رابعاً** : عندما تتعامل المجلة مع كاتب غير معروف بالنسبة لها ولم يسبق أن تعاملت معه من قبل ، يستحسن إذا نشرت له مقالا ما أن تؤخر دفع المكافأة المالية له إلى حين تأكدها في المستقبل من أن المقال لم يسبق نشره من قبل . ورغم أن من غير اللائق أدبياً أن تهبط العلاقات بين المجلة والكاتب إلى هذا المستوى ، إلا أن المهم في المرحلة الحالية الحد من مشكلة ازدواجية النشر التي تعكر العلاقات بين الكتّاب والمجلات ، وتشيع جو عدم الثقة بينهما ، والطريقة التي اقترحناها يمكن أن تشكل رادعاً يثني بعض المرتزقة عن محاولة الكسب المادي غير المشروع بواسطة ازدواجية النشر .

بعد هذا الاستعراض السريع لمشكلة ازدواجية النشر ، وطرق معالجتها يتضح لنا أن الحل يجب أن يقع بصورة رئيسية على عاتق نقابات الصحافة التي عليها أن تسن قوانين وأنظمة مناسبة لمنع التجاوزات الصحفية ومعاقبة المتجاوزين . . . ولكن إلى أن تتحرك هذه النقابات وتباشر مسؤولياتها في هذا المجال فإن من واجب الكتّاب المخلصين والمجلات الراقية أن يتعاونوا على حل المشكلة . فعلى الكتّاب أن يتذرعوا بالأناة ويساعدوا المجلات وبخاصة التي يصلها أعداد هائلة من المقالات (كمجلات **الفيصل والمجلة العربية والفكر العربي وعالم الفكر**) ، بالصبر وبعدم التسرع ، وعلى المجلات أن تساعد الكتّاب ، بقدر ما تسمح لها إمكاناتها الإدارية ، بالرد على استفساراتهم بشأن الأعمال التي يرسلونها لها ، وعليها ألا تضيق ذرعاً بهذه الاستفسارات .

وإذا أمكن القضاء على مشكلة ازدواجية النشر أو الحد منها على أقل تقدير ، فإننا على ثقة بأن مسار التعامل الصحفي سيأخذ منحى جديداً يحقق مصلحة الفكر والثقافة بشكل أفضل ، لأنه سيصبح بمقدور أية مجلة أن تنشر أي مقال مشوق يصلها من أي كاتب في أي مكان يقيم ، حتى ولو كان كاتباً مغموراً ، دون خوف من احتمال كون المقال قد نُشِرَ في مجلة أخرى من قبل ، ودون خشية من أي غش أو خداع . كما سيغدو بوسع أي كاتب ، مهما كان مغموراً ، أي يبعث بأي مقال إلى أية مجلة وهو على

مناقشات و تعليقات

ثقة بأن المقال سيلقى الاهتمام اللازم وأن المجلة لن ترفضه لمجرد الخوف من احتمال كونه قد نُشر من قبل . وفي هذا ، كما هو واضح كل الفائدة للمجلة وللكاتب وللقارئ على حد سواء .

ياسر الفهد
سورية

«كشاجم» أحواله من ديوانه

تعقيباً على مقال **الدكتور محمد بن سعد الشويعر** القيم عن «**كشاجم الشاعر العالم والواصف المبدع**» في العدد (٣٩) من «**الفيصل**» ، أود أن أدرج الملاحظات السريعة الآتية لافتاً العناية إليها :

١ ـ إنَّ وفاته حسب ما جاء على ظهر ديوانه المخطوط ، وحسب ما ورد في ترجمته المبتسرة المصدر بها ديوانه المطبوع في **بيروت** بالمطبعة الأنسية سنة ١٣١٣هـ ، كانت سنة ٣٣٠ هـ(الديوان : ٣) ، وهذا التاريخ أراه الأصوب .

٢ ـ وانطلاقاً أرجح أن (كشاجم) لم يكن من الشعراء الذين تحلَّقوا حول **سيف الدولة الحمداني في حلب** ، ودليلي أن سيف الدولة دخل حلب مؤسساً إمارته فيها سنة ٣٣٢ هـ ؛ أي بعد وفاة كشاجم بنحو سنتين .

٣ ـ ويدعم هذا الرأي خلو ديوان كشاجم من أي إشارة إلى سيف الدولة فضلاً عن عدم تضمنه أي قطعة أو قصيدة في مديحه .

٤ ـ أما ما قيل عن وفاة كشاجم سنة ٣٥٨هـ ، بدلالة مديحه **لكافور** ، فهذا ما ينفيه الديوان أيضاً إذ لا يحتوي على أي مديح له ، وكل ما في الأمر أنه كان لكشاجم غلام اسمه كافور قال فيه بعض المقطوعات القصيرة ، ومن ذلك الهجاء الذي يقول في أوله :

أكافور قبحت من خادم
ولاقتك مسرعة جائحة

(الديوان : ٣٢)

٥ ـ وفيما يتعلق بكنيته فهي لا شك «**أبو الفتح**» ، أما ما ذكره الدكتور الشويعر من أنها كانت «أبا النصر» فهذا يجافي الحقيقة لأن هذه الكنية كانت لابنه الذي كان شاعراً أيضاً ، ولو رجع الدكتور الشويعر إلى «**يتيمة الدهر**» **للثعالبي** لتيقن من ذلك بنفسه ، ووجد بعض القطع الشعرية تحت عنوان : أنشدني أبو نصر ابن أبي الفتح كشاجم بصيداء الشام لنفسه . . . إلخ (١ : ٢٨٥) .

٦ ـ وهذه الكنية كانت أيضاً (لجده) **السندي** حيث يذكر كشاجم في تضاعيف قصيدة يمدح بها الرشيد (؟!) :

يا ابن مولى أبي نصر السندي ركن الخلافة الموطود (مدور)

ويذكر في القصيدة نفسها :

من سطور أعدها جدي السندي من حسن نقشه في النقود (مدور)

٧ ـ والسندي هذا كما يصرح كشاجم في شعره كان جده (. . .) ومن اسمه يتضح أنه كان سندياً (= هندياً = باكستانياً) (انظر بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب **للدكتور محمد يوسف** بمجلة **اللسان العربي** ، يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣ م) .

٨ ـ والسندي هذا أيضاً كان مولى **أبي جعفر المنصور** ، وكان أميراً على **دمشق** فأخرب سورها في **فتنة أبي الهندام** في سنة ست وسبعين ومائة في خلافة **هارون الرشيد** ، وولي القضاء ببغداد وكانت وفاته هناك ، (وترجمته في مرآة الزمان نسخة دار الكتب المصرية ، الجزء السادس ، الورقة ٤٢) .

٩ ـ أما بصدد (ديوان كشاجم) حيث أكاد أنتهي من تحقيقه ، **أقول** هنالك عدة نسخ متفرقة منه ، وثمة نسخة خطية بمكتبة الأستاذ **مصطفى السقا بمصر** ، ونسخة أملكها ، أما ديوانه المطبوع في زمن **السلطان عبد الحميد** ، في بيروت سنة ١٣١٣ هـ ، فطبعته سقيمة على ورق أصفر بحروف صغيرة غير مشكولة ، ويقع في نحو (١٨٨) صفحة وقصائده مرتبة أبجدياً ، وتدور موضوعاتها حول مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووصف أجزاء القرآن الكريم ، ونجابة ولده ، وشكوى الحظ والزمان ، ووصف الثلج والطبيعة ، وبعض المغنين ، ومدح بعض الأمراء والرؤساء إلخ . . .

١٠ ـ وأخيراً أذكر أنه كان من شعراء **الإمارة التنوخية** التي كانت قائمة في **اللاذقية** وله في بعض أمرائها قصائد عدة .

إحسان جعفر
اللاذقية ـ سورية

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

ج ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

أنشأ المسلمون العرب أعظم جسر في بريطانيا أقيم على نهر « التايمس » في عهد أحد الخلفاء الأمويين . . ما اسم هذا الجسر . . ولماذا أطلق عليه هذا الاسم ؟

السؤال الثاني :

أين تقع مراكز السمع ، والشم ، والتذوق ، والإحساس في الإنسان ؟

السؤال الثالث :

إلى أين يرجع أصل الهنود الحمر؟

السؤال الرابع :

اذكر أسماء مؤلفي الأعمال التالية :

البرصان والعرجان والعميان والحولان ــ الربع الخالي ــ بيجماليون ــ رصف المباني في شرح حروف المعاني ــ تاجر البندقية .

السؤال الخامس :

ضرس العقل عند الإنسان . . لماذا أطلقت عليه هذه التسمية ؟

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد (٥٢)

الاسم : ....

المهنة : ....

العنوان : ....

....

نتائج مسابقة العدد الخامس والأربعين

● فازت بالجائزة الأولى وقيمتها (٢٠٠٠) ألفي ريال سعودي من منطقة الرياض الأخت منيرة ناصر إبراهيم الغنام.

● وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ دباب محمد وعنوانه 81 شارع منصور الذهبي / سوق أربعاء الغرب — المغرب.

● وفازت بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي من دمشق — سورية الأخت بدرية غالب خطاب.

وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● الأخ سهل السلامي وعنوانه 155 نهج المنجي سليم، صفاقس — تونس.

● الأخ حسين إلياس إبراهيم وعنوانه: دولة قطر، قيادة الشرطة، قسم شرطة أم سعيد، ص. ب (٩٢٠).

● الأخ السيد عبد اللطيف السيد محمد وعنوانه: بور سعيد، مساكن ناصر، بلوك (٤) شقة (٢) مصر.

● الأخت ندى سالم سليمان سالم من وادي السير — الأردن.

● الأخ محمد أحمد مكية، بواسطة أحمد مكية، بعلبك — لبنان.

● الأخ وليد سليمان جلبوط جامعة حلب، كلية الطب — سورية.

● الأخ عارف نومان الخليوي، ثانوية حطين، سكاكا — الجوف.

بالإضافة إلى عشر جوائز قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتي ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● الأخ الشاعر عزيز وعنوانه: المخش الثاني، رقم الدار 148، تطوان — المغرب.

● الأخت نفيسة علي محمد خير من الخرطوم — السودان.

● الأخ خميس سالم أبو زور من المنيا، أرض سلطان، عمارة سيد بهجت شقة (١٠) مصر.

● الأخ عبد الزهرة عبد الجبار علي من البصرة، عشار محلة التميمية، رقم الدار ٥٣/١٩١ دور الشركة — العراق.

● الأخت عائشة كنونة من الجزائر كلية اللغة والأدب العربي.

● الأخ موسى مروان موسى من دبي، الإمارات العربية المتحدة، ص. ب: (١١١١٣) بواسطة السيد محمود جرادات.

● الأخت منال أحمد خليل المنصور من المنامة — البحرين.

● الأخ محمد صلاح عبده من عمان ص. ب (٢٣٠٥٦) الاردن.

● الأخ محمد محمد كامل عاشور، بلدية بلجرشي، بلجرشي.

● الأخ عبد القادر ديبا، ص. ب (111) أدرار — الجزائر.

أجوبة مسابقة العدد الخامس والأربعين

ج ١ الزهراوي (٣٢٤ — ٤٠٤ هـ) أحد أطباء العرب... لقب بأبي الجراحة بين أطباء عصره.. وقد نال هذا اللقب لأنه عقم آلاته الجراحية بمادة الصفراء، وقام بجراحة صابونة الركبة، واستخراج الحصاة من المثانة، وشق القصبة الهوائية، وتوسيع الرحم.. إلخ.

ج ٢ كانت نهاية الصليبيين في الشام على يدي الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون، حيث حاصر عكا وفتحها سنة ٦٩٠ هـ، ثم صور وصيدا وبيروت.

ج ٣ خط الاستواء السماوي: دائرة وهمية على الكرة السماوية في مستوى خط الاستواء الأرضي.

ج ٤ أعدى من السُّليك.. وأعدى من الشنفري: تعني سرعة العدو لشهرة السليك بن السلكة، والشنفري بسرعة العدو، وهما شاعران صعلوكان جاهليان.

ج ٥ أعذني ربِّ من حصر وعيٍّ
ومن نفس أعالجها علاجا

قائل هذا البيت النَّمر بن تولب.

ج ٦ «ديوان الأشعار الستة».. من كتب التراث حسب رواية الشنتمري عن الأصمعي.. والشعراء الستة هم: امرؤ القيس، والنابغة الذبياني، وعلقمة، وزهير، وطرفة، وعنترة.

ج ٧ اليعسوب: ذكر النحل، واليرقة: طور مبكر من أطوار النمو في الحيوانات التي يتغير بنيانها تغيراً كبيراً عندما تصل إلى طور البلوغ.

ج ٨ الهليوم عنصر غازي بالغ الخفة لا لون له يستخدم في المناطيد لأنه أخف من الهواء وغير قابل للاحتراق أو الانفجار.

ج ٩ جرِزَت الأرض ذهب نباتها بقحط أو جراد وصارت جرداء فهي جُرُز. وقد ذكرت في القرآن الكريم في سورتي السجدة: ٢٧ والكهف: ٨.

ج ١٠ المقصود بقول العلماء «طاقة التشميس» هو الطاقة الإشعاعية التي تصل إلى الأرض من الشمس. ومن العوامل المؤثرة: بعد الشمس من الأرض، وطول النهار، وحالة الجو، وزاوية التعرض.



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

AL FAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

ALAWI TAHA ALSAFI
Editor-in-Cheif

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات
الكويت	٦٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة
الأردن	٤٠٠ فلس
ج . ع . اليمنية	٦ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
العراق	٤٠٠ فلس
سورية	٥ ليرات
لبنان	٥ ليرات
ليبيا	٨٠٠ درهم



EUROPE – AMERICA – ASIA

Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	$	5

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعودياً
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150
Others : S.R.250
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، العمارية ، الرياض